العدد (٧٠٠) محرم ١٤٤٥ هـ - يوليو ٢٠٢٣م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

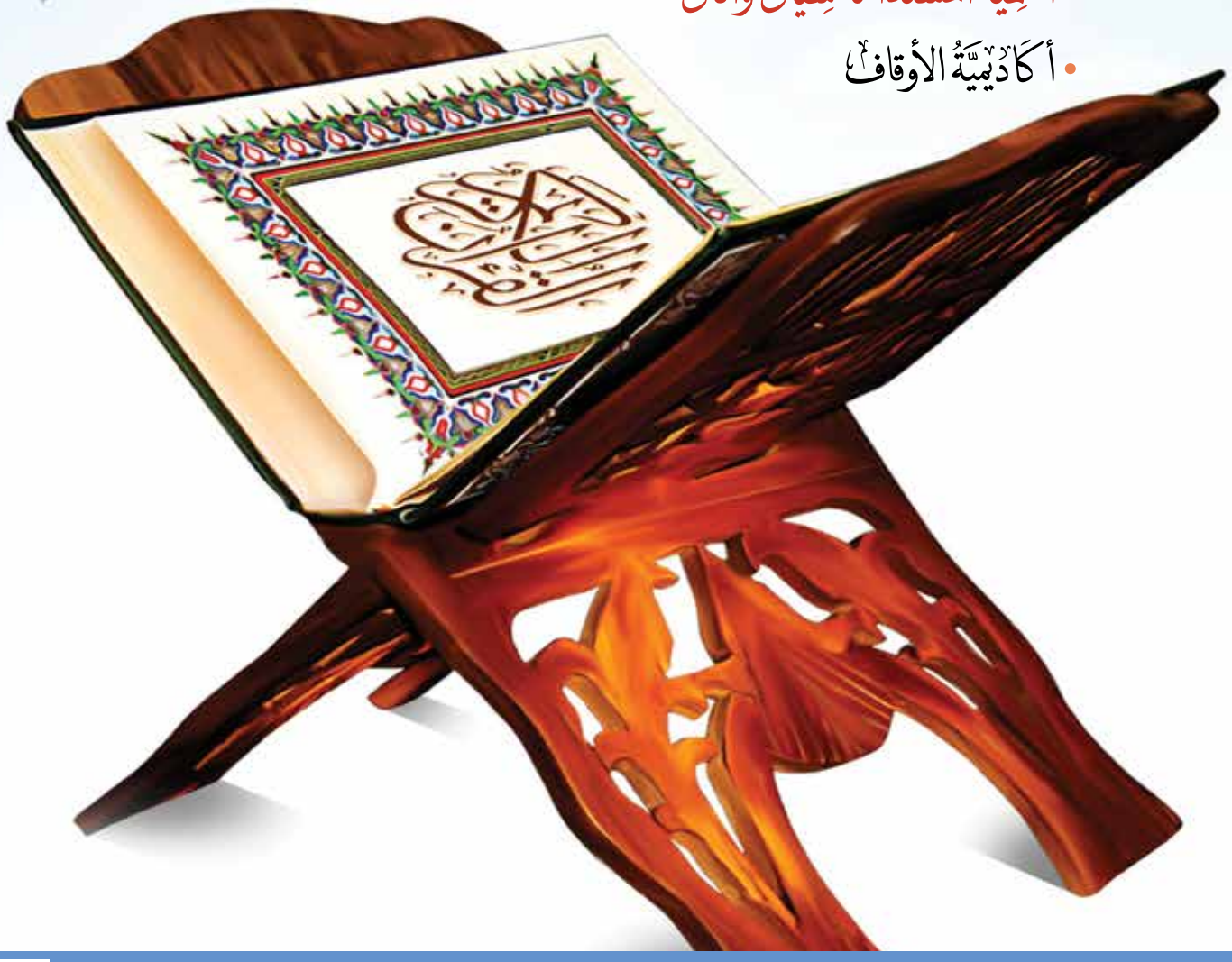
الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

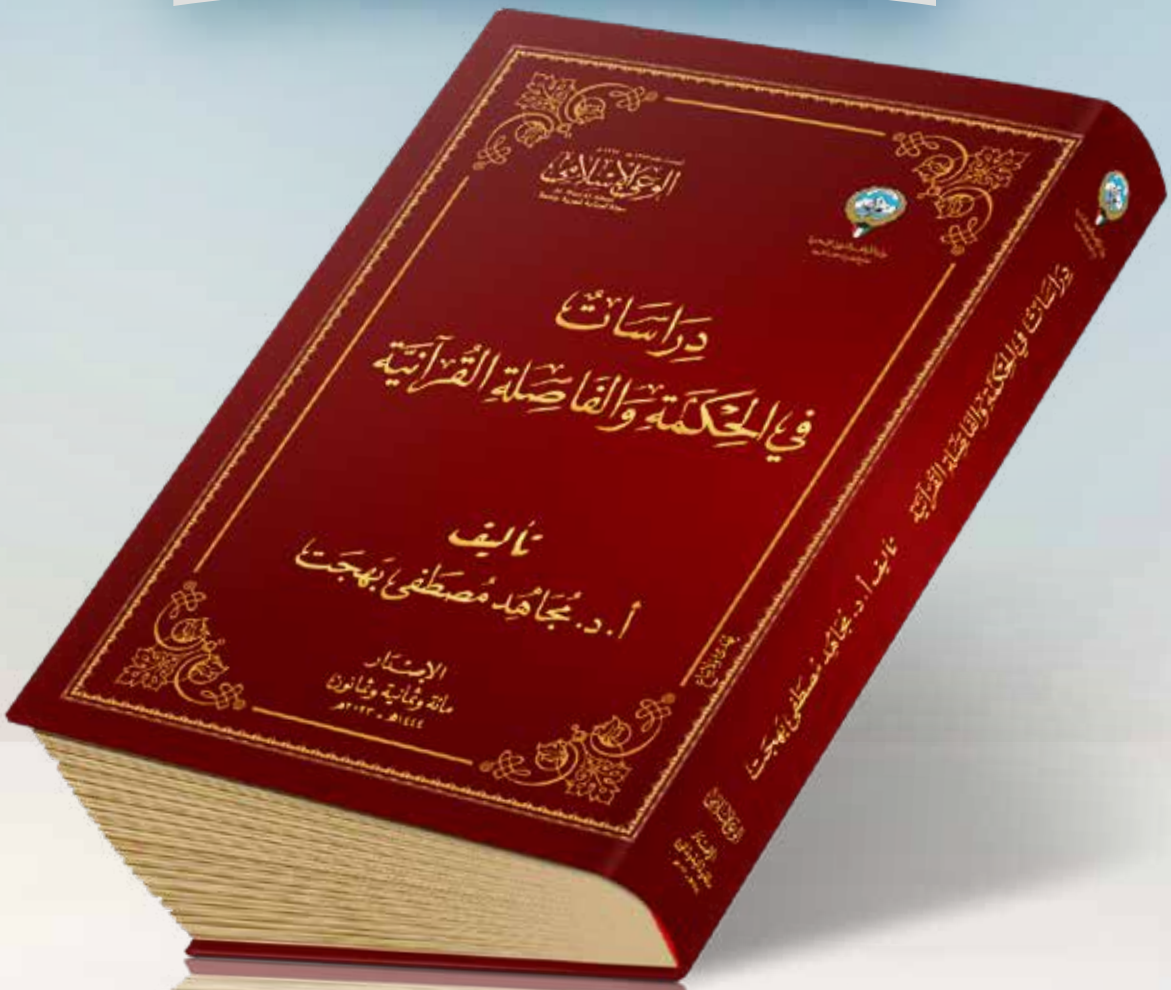
AL-Waei AL-islami

انتفاضة الأمة للقرآن

- الحياة.. تسامح
- التنمية المستدامة سياق وآفاق
- أكاديمية الأوقاف



جديدنا



دراسات في الحكمة والفاصلة القرآنية

إصدار جديد من إصدارات مجلة (الوعي الإسلامي) بوزارة الأوقاف في دولة الكويت، للأستاذ الدكتور مجاهد مصطفى بهجت، ويتناول الكتاب معنى الحكمة ودلالاتها في أسماء الله تعالى وصفاته مع بيان معناها في السياق القرآني، بطريقة علمية إيمانية.



فهد محمّد الخزّي
رئيس التّحرير

وليعفوا وليصفحوا

العفو والتسامح ينبعان من قلب سليم وخلق كريم وطبع حليم، فقد وصفت عائشة، رضي الله عنها، النبي ﷺ بقولها «كان خلقه القرآن»، فهو يأخذ بهديه، ويتبع منهجه من غير عوج، ولا التواء، فإن العفو والسماحة لا يسكنان إلا قلبا خاليا من الأحقاد والأضغان، وإن من يعمل ليقود الخلق إلى الحق لابد أن يكون نظره إلى الصفح والتسامح لا إلى الأحقاد والأضغان التي من شأنها أن تشد صاحبها إلى الوراء.

قال سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف:١٩٩)، وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (متفق عليه).

كما وصفت عائشة، رضي الله عنها، رسول الله ﷺ بقولها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادما؛ إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما لعن رسول الله ﷺ من لعنة تُذكر، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتى إليه، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله عز وجل فينتقم لله، وما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه» (رواه البخاري)، وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فصلت:٣٤-٣٥).

فالعفو هو التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه عن عموم الناس، خصوصا من لم يُعرفوا بالشر، فيزلُّ أحدهم الزلة فيُعفى عنه ويُتسامح معه، فالعفو أمر فوق كظم الغيظ، فهو المسامحة المطلقة؛ فأن تكون مسلما سمحا، هذا هو أقرب طريق إلى الجنة، وهو سبب في قضاء الله لحوائجك، فقد تكون سماحة العبد سببا لسماحة الله له ومغفرته له ذنوبه وفوزه بأعظم خير الدارين؛ وأصل ديننا السماحة، فالإسلام دين سماحة ويسر ورفع للحرج في تكاليفه وفرائضه وأوامره، لا يفرض على الناس شيئا فوق طاقتهم، ولا يكلفهم بما لا يستطاع.

هذا، ولا تنقطع مجالات التسامح في الإسلام، فتسامح مع المخطئين، وتسامح مع أسرى الحرب، وتسامح حتى مع الحيوانات... ويزداد الأمر حسنا عندما يكون هذا التسامح بين أبناء الوطن الواحد، والمدينة الواحدة، وتضيق الدائرة حتى تصل إلى الأسرة الواحدة؛ فالسماحة والمساهلة والتيسير على خلق الله -عز وجل- سبب في عفو الله عن العبد وتجاوزه عنه.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٧٠٠/ محرم ١٤٤٥ هـ
العام الواحد والستون
يوليو ٢٠٢٣م

في هذا العدد



٦
التوجيه البلاغي لاقتران الأسماء الحسنى



١٨
وجاهدهم به جهاداً كبيراً



٤٠
العفو واستقرار العلاقات الاجتماعية



٦٤
التنمية المستدامة.. سياق وآفاق



رئيس التحرير
فهد محمد الخزّي

المراقب المالي والإداري
طلال عثمان العثمان

التحرير
علاء الدين عبدالفتاح
أمين حميد عبدالجبار
د. تركي محمد النصر

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
شركة الألفين لصناعة الورق

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND

المحتويات

٣	**الافتتاحية**/ وليعفوا وليصفحوا	فهد محمد الخزي
٦	**قرآن**/ التوجيه البلاغي لاقتران الأسماء الحسنى	د. أحمد راشد إبراهيم
١٠	**سنة**/ هدي النبي (ص) في معاملة من آذاه	د. حمدي طنطاوي
١٤	**ملف خاص**/ انتفاضة الأمة للقرآن	محمد ثابت توفيق
١٦	«فزعة كويتية» لنصرة المصحف الشريف	عبدالله الظفيري - فهد الشمري
١٨	وجاهدهم به جهاداً كبيراً	أحمد عبدالمنعم عيد
٢١	الكويت.. رفض قاطع للمساس بالأديان والمقدسات	جاسم الجاسم
٢٢	**تقرير**/ أكاديمية الأوقاف	علاء الدين عبدالفتاح
٢٦	**ملف العدد**/ العفو إكسير الأخلاق	د. مسعود صبري
٢٩	التسامح يعزز العلاقات الاجتماعية	عايد الجاسم
٣٠	التسامح بين أبناء الأسرة الغزنوية في بلاد الهند	د. علاء محمد عبدالغني
٣٢	الحياة.. عفو وتسامح	الطيب حسين
٣٦	العفو أساس العلاقات الأسرية	نادر أبو الفتوح
٣٨	قيمة التسامح	حسن عبدالعال محمود
٤٠	العفو واستقرار العلاقات الاجتماعية	د. صلاح فضل توقة
٤٤	التسامح بين الزوجين نماء واستمرار	أحمد المنزلاوي
٤٧	العفو والتسامح بين الأقارب	د. آندي حجازي
٥٠	إياك والفجور في الخصومة	د. ناجي عبدالله الخرس
٥٤	**لغة وأدب**/ الجمع بين الرؤية العلمية والبيان الأدبي	د. محمود صالح البيلي
٥٨	في رثاء صديق.. رحلت بكيراً	د. أحمد تمام سليمان
٥٩	ما بين هزل وجد	محمد قنبر
٦٠	شعر الهوية والثورة	فاطمة طاهري
٦٢	**تزكية**/ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل	صبغة الله الهدوي
٦٣	**شذرات**	عمرو طه
٦٤	**تنمية**/ التنمية المستدامة.. سياق وآفاق	د. سامي العدواني
٧٠	**أسرة**/ الحنان وأثره في تربية الطفل	د. محمد حسني عمران
٧٢	اضطرابات السلوك الاندفاعي	ياسر محمد عبدالسلام
٧٤	الاختصارات الخمسة المشوهة للزواج	أحمد نصيب علي
٧٦	**قضايا**/ صعود وسقوط الدولة العباسية	عايد العرفج
٧٨	**شخصيات**/ من أعلام الدعوة.. الشيخ عمر العرباوي	د. مرزوق العمري
٨٢	**تاريخ**/ إسلام البلغار	د. نادية هشام عدلي
٨٦	**مناسبات**/ انضمام الكويت إلى جامعة الدول العربية	حسن عباس
٨٨	**تراجم**/ المتفق والمفترق	د. رياض العيسى
٩٠	**أعلام الوعي**/ حسين مؤنس	هشام الصباغ
٩٢	**كنوز الوعي**/ المفصل في أحكام المرأة	ياسين محمد كتاني
٩٤	**ينابيع المعرفة**	تركي محمد النصر
٩٦	**بريد القراء**	التحرير
٩٨	**مسك الختام**/ حقيقة الحياة	د. راوية نورالدين عتر

كلمة العدد

تعبير وتسامح

حرية التعبير حق أساسي يضمن للأفراد القدرة على التعبير عن آرائهم وأفكارهم بحرية دون قيود. ومع ذلك، يجب أن يكون لهذا الحق حدود وضوابط، حيث لا ينبغي أن يؤدي إلى التحريض على العنف، الكراهية، أو الاعتداء على حقوق الآخرين.

وحرق مقدسات الآخرين، مثل حرق نسخة من القرآن الكريم أو أي نص ديني مقدس، يعتبر تصرفا مسيئا لا يحترم مشاعر المؤمنين بهذه الديانات. إنه ينتهك حقهم في العبادة ويسيء إلى قيمهم ومعتقداتهم. على الرغم من أن البعض قد يرون أن هذا يدخل ضمن حرية التعبير، فإنه من المهم أن نتذكر أن حرية التعبير ليست بمعزل عن المسؤولية الاجتماعية.

من جهة أخرى، التسامح قيمة مهمة يجب أن تكون جزءا من مجتمعاتنا. ومع ذلك، ليس من المعقول أن نطالب بالتسامح مع أفعال تنتهك كرامة الآخرين وتسبب لهم آلاما نفسية. إن الاعتذار والتعهد بعدم تكرار تلك الأفعال هو أقل ما يمكن القبول به.

كما إن الحوار المفتوح والاحترام المتبادل بين الأفراد من مختلف الثقافات والديانات هو الطريقة الأكثر بناء لتحقيق فهم متبادل وتعايش سلمي.

إن حرية التعبير تتضافر مع مسؤولية، ويجب أن تتم ممارستها بحذر مع احترام للآخرين وحقوقهم.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير . للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك باسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. أحمد راشد إبراهيم راشد
مدرس البلاغة والنقد الأدبي
والأدب المقارن



التوجيه البلاغي لاقتران الأسماء الحسنى

المتأمل في كتاب الله تعالى يعلم أن كثيرا من الآيات الكريمة مختومة باسم من أسمائه الحسنى سبحانه، وأحيانا تكون الآية مختومة باسمين من الأسماء الحسنى، وهذا الأمر كذلك موجود في الأحاديث النبوية، إلا أننا هنا سنقصر دراستنا على نماذج من الآيات القرآنية التي ختمت باقتران اسمين ببعضهما مثل: «العزيز الحكيم»، و«الغني الحميد»، و«العزيز الرحيم»، و«العزيز العليم»، و«السميع العليم»، و«التواب الرحيم»، و«الغفور الرحيم»، و«واسع عليم»، و«السميع البصير»، و«الغني الحميد»، و«الخبير البصير»، و«العفو الغفور»، و«الغني الكريم»، و«اللطيف الخبير»، و«الشكور الحليم»، و«الفتاح العليم»، ومن تأمل القرآن وجد أمثلة هذا الاقتران كثيرة جدا في الكتاب العزيز.

هذا، وقد صرف بعض العلماء جهدهم في دراسة أسماء الله تعالى وبيان معانيها، وهذا مبثوث في كتب التفاسير واللغة؛ إلا أنهم لم يفردوا دراسة اقتران الأسماء الحسنى بباب خاص، فنرى المفسرين[1] يقررون تفسير الآية مشيرين إلى معاني الكلمات الواردة فيها ومن بينها الأسماء الحسنى التي تختم بها الآيات، من غير تخصيص لبيان الفائدة البلاغية المرجوة من اقتران هذه الأسماء ببعضها.

وإذا كانت البلاغة العربية متمثلة في علومها الثلاث تبحث في الوجوه التي يصير بها الكلام بليغا بمفرداته وتراكيبه، فإن البحث في مناسبة اقتران الأسماء الحسنى ببعضها في فواصل الآيات ومناسبتها للآية المذكورة فيها يندرج في إطار عمل البلاغة العربية وعلومها من حيث إنها «مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال»[2]، فإذا ختمت الآية الكريمة باقتران اسمين من الأسماء الحسنى ففي هذا دليل على مناسبة اقترانهما ببعض للآية

التي ذكرا فيها وتعلقهما بالحكم الذي تشتمل عليه الآية، وسنرى هذا فيما يلي من النماذج القرآنية التي هي محل هذه الدراسة.

أولا: العليم الحكيم

اقترن الاسمان الكريمان في ختام قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة:٣٢)، والذي هو «خبر من الله جل ذكره عن ملائكته، بالأوبة إليه، وتسليم علم ما لم يعلموه له، وتبريهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئا إلا ما علمه تعالى ذكره».[٣]، فما دلالة كل من الاسمين؟ وما وجه بلاغة مناسبتهما للآية الكريمة؟ والجواب عن هذا على النحو التالي:

أما العليم: «فهو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق. وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، والآدميون -وإن كانوا يوصفون بالعلم- فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله -سبحانه- علم حقيقة»[٤].

وأما الحكيم: «فهو المحكم لخلق الأشياء. ومعنى الإحكام لخلق الأشياء، إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها»[٥].

هذا عن دلالة الاسمين الكريمين، وأما عن وجه مناسبتهما للآية الكريمة وبلاغتهما؛ فالمتأمل في سياق الآيات يعلم أن الآية الكريمة محل الدراسة كانت قولا للملائكة عند مراجعتهم لربهم تبارك وتعالى عندما أخبرهم بأنه سيجعل في الأرض خليفة، وكونه تعالى سيجعل في الأرض خليفة يلزم منه أن يكون سبحانه عليما بأحوال هذا المخلوق، واضعا إياه في موضعه المناسب، «فلما خلق آدم وعلمه أسماء كل شيء مما جعله الله له وبين يديه، وعجزت الملائكة عن معرفتها وأنبأهم آدم بها: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ فاعترفوا لله بسعة العلم، وكمال الحكمة، وأنهم مخطئون في مراجعتهم ربهم في استخلافه آدم في الأرض التي خلقت له وهيئت لنزوله»[٦].

وإذا كان الأمر كذلك فإن ختم الآية الكريمة بهذين الاسمين الكريمين فيه من تمام المناسبة والبلاغة ما يطابق حال الملائكة ومراجعتهم لربهم تبارك وتعالى، وما يستلزمه خلق الله لآدم وذريته من علم وحكمة.

ووجه آخر من وجوه بلاغة المناسبة وهو أن اقتران الاسمين فيه دلالة على كمال الرب تبارك وتعالى، وفيه تمجيد له سبحانه، وذلك باعتبار أن العليم يتضمن كمال العلم، والحكيم يتضمن كمال الحكمة.

والوجه الثالث من هذه الوجوه هو أن اجتماع الاسمين فيه دلالة على كمال آخر وهو أن علمه سبحانه وتعالى مقرون بالحكمة، وليس علما فحسب، فمن من البشر من قد يكون صاحب علم، لكنه لا يملك حكمة في بيان هذا العلم أو الانتفاع به على الوجه الصحيح.

ثانيا: العزيز الحكيم

يقترن هذان الاسمان في مواضع عديدة من كتاب الله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩)، وإذا كنا قد بينا دلالة اسم الله (الحكيم) فإننا هنا سنبين دلالة اسمه سبحانه العزيز؛ سعيا إلى معرفة الأوجه البلاغية في اقتران الاسمين الكريمين في ختام هذه الآية.

«والعزيز: هو المنيع الذي لا يغلب. والعز في كلام العرب على ثلاثة أوجه. أحدها: بمعنى الغلبة، والثاني: بمعنى الشدة والقوة. يقال منه: عز يعز -بفتح العين- من «يعز» والوجه الثالث: أن يكون بمعنى نفاسة القدر. يقال منه: عز الشيء يعز -بكسر العين- من يعز، فيتأول معنى العزيز على هذا، أنه الذي لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له، ولا نظير. والله أعلم»[٧]، وثلاثة المعاني هذه التي وردت في بيان معنى العزيز كلها حقيقة في ذات الله تعالى فهي عزة كاملة تامة لا نقص فيها.

والمتأمل في الآية الكريمة وفي دعاء الخليل وابنه عليهما السلام وختمهما الدعاء بالاسمين الكريمين يخلص إلى أنهما يقولان: «كما أن بعثك لهذا الرسول فيه الرحمة السابغة، ففيه تمام عزة الله وكمال حكمته، فإنه ليس من حكمة أحكم الحاكمين أن يترك الخلق سدى عبثا، لا يرسل إليهم رسولا، فحقق الله حكمته ببعثه، كما حقق حكمته لئلا يكون للناس على الله حجة، والأمور كلها: قدريها وشرعيها، لا تقوم إلا بعزة الله، ونفوذ حكمه»[٨]، فإذا كان قولهما عليهما السلام: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: العزيز الذي لا يعجزه شيء، وهو قادر على كل شيء،

الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها؛ بحكمته وعدله»[٩] فهذا فيه تمام مناسبة الاسمين لما ورد في الآية الكريمة من إرسال رسول إليهم؛ لأن إرسال الرسول يتطلب المنعة والشدة والقوة وعلو قدر الرب تبارك وتعالى الذي يبعث هذا الرسول، كما أن إرسال هذا الرسول بحاجة إلى حكمة، فلا بد أن يكون الرسول من جنس من يرسل إليهم، ويتكلم بلسانهم؛ حتى يتمكن من إبلاغهم الرسالة التي يأتيهم بها، ولا يمكن لأحد أن يخلق لهذا الرسول هذه الصفات إلا ربه تبارك وتعالى العزيز بعزة كاملة يعز بها رسوله، الحكيم بحكمة تامة يضع بها الأشياء في مواضعها، ويرزق بها نبيه المرسل لهداية الناس.

وعليه، فإن ختم الآية الكريمة بهذين الاسمين فيه من تمام المناسبة والبلاغة ما يطابق حال دعاء الخليل وابنه عليهما السلام بقولهما: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إذ إنه لا يملك بعث رسول من أنفس المبعوث فيهم، وتكليفه بتلاوة الآيات عليهم، وتعليمهم الكتاب والحكمة، لا يملك هذه كله إلا الرب العزيز الحكيم سبحانه الذي له معاني العزة والحكمة.

ومن ناحية أخرى فإن اقتران الاسمين في ختام الآية فيه تنبيه إلى كمال عزة الله وحكمته، وكلاهما يدل على كمال الرب تبارك وتعالى.

ومن ناحية ثالثة فإن اقتران الاسمين فيه كمال آخر للرب تعالى، فعزته سبحانه مقرونة بالحكمة، «فعزته لا تقتضي ظلما وجورا وسوء فعل كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيئ التصرف، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل»[١٠].

وبمثل هذا التوجيه يمكن القول في اقتران الاسمين الكريمين في قوله تعالى:

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة: ٢٠٩) فالمعنى هنا «فإذا عرفتم عزته وهي قهره وغلبته وقوته وامتناعه، وعرفتم حكمته -وهي وضعه الأشياء موضعها، وتنزيلها محالها- أوجب لكم ذلك الخوف من البقاء على ذنوبكم وزللكم، لأن من حكمته معاقبة من يستحق العقوبة: وهو المصر على الذنب مع علمه، وأنه ليس لكم امتناع عليه، ولا خروج عن حكمه وجزائه، لكمال قهره وعزته»[١١].

وبالتوجيه نفسه يمكن القول في اقتران الاسمين في بيان عقوبة السارق في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة:٣٨) «فإنه سبحانه «عزيز حكيم» في انتقامه من هذا السارق والسارقة وغيرهما من أهل معاصيه، «حكيم» في حكمه فيهم وقضائه عليهم»[١٢]، فالعزة والقوة والمنعة مقرونة بالحكمة في هذا الحكم الذي به يرتدع كل من تسول له نفسه أن يسرق أو يفكر في السرقة.

ثالثا: العزيز العليم

وقد ورد اقتران هذين الاسمين في القرآن الكريم مرات عديدة في سياق الكلام عن خلق الليل والنهار والشمس والقمر، ومنها قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (الأنعام:٩٦)، فقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ يعني أن «الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف العليم بكل شيء، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وكثيرا ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر، يختم الكلام بالعزة والعلم، كما ذكر في هذه الآية»[١٣].

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (يس: ٣٧)، وقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت:١٢). والناظر في الآيتين السابقتين يعلم أن الجمع بين الاسمين يفيد «أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزة الله وعلمه، وليس أمرا اتفاقيا لا يمدح به فاعله ولا يثنى عليه به كسائر الأمور الاتفاقية»[١٤].

وأما عن وجوه البلاغة في اقتران الاسمين فأولها: مطابقة الاسمين لما دلت عليه الآية تمام المطابقة، فالذي يخلق هذه الأجرام العظيمة ويتحكم في أمرها ويدبر سيرها هو العزيز الذي لا يمانع في شيء أراده أو خلقه، العليم بما يقع في هذه الأجرام وغيرها من الأجرام الكونية العلوية والسفلية.

والثاني هو دلالة العزيز على تمام العزة وكمالها ودلالة العليم على تمام العلم وكماله، وكلاهما دال على كمال الرب تعالى في أسمائه وصفاته التي تتضمنها هذه الأسماء.

والوجه الثالث هو كمال آخر في حق

الله تعالى؛ لأن اقتران العزيز بالعليم فيه إشارة إلى أن عزته سبحانه مقرونة بالعلم، فقوته سبحانه ومنعته وغلبته صادرة عن علمه بأحوال خلقه وكونه وتسيير أمورهما كما يقتضيه علمه سبحانه وتعالى.

رابعا: العزيز الرحيم

كثر اقتران هذين الاسمين في ختم قصص الأنبياء مع أممهم التي أرسلوا إليها، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الشعراء: ٩)، وقد وقعت بعد عدة آيات فيها تسلية للنبي ﷺ في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار وذلك في بداية سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ (الشعراء: ١ـ ٨) فبعدما انتهت هذه التسلية بين الله تعالى أنه هو العزيز الرحيم فقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: الذي عز كل شيء وقهره وغلبه، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: بخلقه، فلا يعجل على من عصاه، بل ينظره ويؤجله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر». [١٥].

وأما اقتران الاسمين هنا ففيه من البلاغة وتمام المناسبة وجوه؛ أولها: مطابقة الاسمين لدلالات الآيات السابقة ومعناها، فإذا كانت هذه الأمم المعاندة لرسلهم قد كذبت بآيات الله فإن ما قدره سبحانه لهم من الخذلان والهلاك والعذاب من آثار عزته ومنعته عزوجل، وما قدره سبحانه لرسله من النصر والتأييد فمن آثار رحمته تبارك وتعالى.

وثانيها: أن كل اسم من الاسمين يتضمن كمالا تاما لصفته، فالعزة تامة، والرحمة تامة مثلها، غير أنها خاصة للمؤمنين.

وثالثها: أن اقتران الاسمين يفيد تمام الكمال في حقه تعالى، فالعزة هنا مقرونة بالرحمة؛ لبيان ما يستحقه كل طرف من الطرفين، فما أصاب المعاندين لرسلهم من الخذلان إنما هو بعزة الله تعالى، وما نزل على الأنبياء وأتباعهم المؤمنين بهم من رحمة ونصر وتأييد فمن آثار رحمة الله تعالى؛ لأن «الرحيم خاص للمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٣)»[١٦]، وبهذا الاقتران يتضح أن عزة الله تعالى في عقوبته للمعاندين تقابلها رحمته تعالى بالأنبياء والمؤمنين.

ورابعها: أن المتأمل في اقتران الاسمين يرى تقديم العزيز على الرحيم، وهذا فيه بيان ظهور الحق وانتصاره دائما، فلا بد بداية من انهزام الباطل وخذلانه؛ ليتبين الحق وأهله، ولتكون لهم الغلبة والنصرة أبدا.

وخامسها: أن اقتران الاسمين فيه بيان تمام عدل الله ورحمته كل فيما يخصه، وكل في أهله وفيمن يستحقه، وبيان أن الرحمة هي الغالبة دائما فقد انتهت الآية بالرحيم؛ حتى يبقى القلب متعلقا بها، ومؤملا في نيلها، وراغبا فيها، ولتفتح الباب واسعا أمام المعاندين للرجوع إلى الله وعدم التمادي في كفرهم وعنادهم لرسلهم.

الهوامش

١- ينظر في هذا: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، (ط١)، مؤسسة الرسالة (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م). والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (٥٣٨هـ)، (ط٣)، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٧هـ). ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، (ط٣)، دار إحياء التراث العربي بيروت، (١٤٢٠هـ)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق احمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢)، دار الكتب المصرية، القاهرة، (١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م). وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، (ط٢)، دار طيبة للنشر والتوزيع، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م). والتحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(١٣٩٣هـ)، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤م).

٢- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٧٣٩هـ)، تحقي محمد عبد المنعم خفاجي، (ط٣)، دار الجيل، بيروت،(١/ ٤٤).

٣- تفسير الطبري، (٤٩٣/١).

٤- شأن الدعاء، أبو سليمان الخطابي(٣٨٨هـ)، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، (ط٣)، دار الثقافة العربية،(١٤١٢هـ، ١٤٩٢م)، (ص٥٧).

٥- شأن الدعاء، (ص٧٣).

٦- القواعد الحسان لتفسير القرآن، الشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، (ت١٣٦٧هـ)، (ط١)، مكتبة الرشد الرياض، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، (ص٥٥).

٧- شأن الدعاء، (ص٤٨).

٨- القواعد الحسان، (ص٥٦).

٩- تفسير القرآن العظيم، (٤٤٥/١).

١٠- فقه الأسماء الحسنى، د.عبد الرزاق بن عبدالمحسن البدر، (ط١)، دار التوحيد للنشر، الرياض، (١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، (ص٤١).

١١- القواعد الحسان، (ص٥٦).

١٢- تفسير الطبري، ٢٩٨/١٠.

١٣- تفسير القرآن العظيم،(٣٠٥/٣).

١٤- فقه الأسماء الحسنى، (ص٤٢).

١٥- تفسير القرآن العظيم، (٦/ ١٣٦).

١٦- شأن الدعاء، (٣٨).

د. حمدي طنطاوي محمد
باحث أكاديمي



هدي النبي ﷺ في معاملة من آذاه

أذية النبي ﷺ ليست كأي أذية، بل أذية قد يراد بها دعوته ورسالته وإقامة دينه، والنبي ﷺ أوذي في أهله وفي نفسه وفي دينه، فكان ﷺ مرة يصبر، ومرة يدعو على من آذاه، ومرة يدعو الله لهم، لكنه ﷺ ما رمى الأذى بالأذى ولا خالط لسانه الفحش قط، بل كان غاية ما في نفسه ﷺ إسعاد من حوله بدين الله، وتربية أصحابه على الفضيلة، وإرساء قواعد الصبر والإحسان والتغافل بين الناس؛ لبناء دولة مسلمة تبلغ عنه دين الله، وتقيم فيما بينها شريعة الله، وتلقى الله على منهجه وطاعته وبره وإحسانه ﷺ، كان النبي ﷺ يرسي منهجا ويرسخ عقيدة، فكان يسامح مرة ويعفو مرة ويعاقب مرة، أما وإن مات النبي ﷺ فحقه محفوظ وكرامته مصونة وعرضه غال، فلا عفو إلا بعد توبة واستتابة، فإن تاب وإلا قتل[1].

عقوبة ولي الأمر لمن سب النبي ﷺ

عن ابن عباس: «أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه،

فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه فأخذ المعول فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس فقال: «أنشد الله رجلا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام». فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المعول فوضعته في بطنها، واتكأت عليها حتى قتلتها. فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر»[٢]، ومعنى هدر، أي: باطل. ومن فوائد الحديث فقه الصحابة رضي الله عنهم وحبهم لرسول الله ﷺ وإخلاصهم له وتقديمه على خاصة أهلهم وأنفسهم، ومنه أن سب النبي ﷺ ردة وجب فيها إقامة الحد، وفيه علمه ﷺ بأحوال الرعية وحرصه على نشر الأمن ومنع الظلم بين الناس، وفيه حسن كلامه وتلطفه في مواقع الشدة والقسوة، وفيه صدق الصحابة وتحملهم المسؤولية وكثرة عملهم وقلة كلامهم وتقديمهم العذر وتعريفهم السبب؛ لأنه هو مقصد الكلام ومنتهى السؤال، وفيه أن ردة المرء وكراهيته لرسول الله ﷺ لا تمنع من رحمة المرأة بزوجها أو الزوج بزوجته، وأن الابن الحسن أو الأبناء الحسان لا يمنع أن يكونوا من أم أو أب عاق، وأن الرجل في بيته ولي أمر يجوز له إقامة الحد على من وليهم.

جواز انتداب ولي الأمر أحد الرعية لإقامة الحد

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله؟ فقام محمد ابن مسلمة فقال: أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: نعم، قال: فأذن لي أن أقول شيئا، قال: نعم، فأتاه، فقال: إن هذا الرجل قد سألنا الصدقة، وقد عنانا[٣]، قال: وأيضا لتملنه، قال: اتبعناه، فنحن نكره أن ندعه، حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره، وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين، قال كعب: أي شيء ترهنوني؟ قال: وما تريد منا؟ قال: نساءكم، قالوا: سبحان الله! أنت أجمل العرب نرهنك نساءنا؟ فيكون ذلك عارا علينا، قال: فترهنوني أولادكم، قالوا: سبحان الله! يسب ابن أحدنا، فيقال: رهنت بوسق أو وسقين، قالوا: نرهنك اللأمة (يعني: السلاح)، قال: نعم. فلما أتاه ناداه، فخرج إليه وهو متطيب ينضح رأسه، فلما أن جلس إليه ـ وقد كان جاء معه بنفر ثلاثة أو أربعة ـ فذكروا له، قال: عندي فلانة، وهي أعطر نساء الناس، قال: تأذن لي فأشم؟ قال: نعم، فأدخل يده في رأسه فشمه، قال: أعود؟ قال: نعم، فأدخل يده في رأسه، فلما استمكن منه، قال: دونكم، فضربوه حتى قتلوه»[٤]. وكان كعب بن الأشرف يعادي النبي ﷺ ويحرض المشركين على قتله، ويشبب بنساء المسلمين[٥]. ومن فوائد الحديث جواز ندب ولي الأمر أحد الرعية لإقامة الحد عليه، وفيه فضيلة عدم تعيين المندوب ابتداء وجعل الأمر خيرة بين الناس، وفيه تثبت المندوب من نية ولي الأمر، وفقه الصحابي لتعيينه النية، وفيه حضور ذهنه واحتياجه لإذن ولي الأمر في سعة التصرف، وفيه جواز عدم تسمية المسألة المأذون فيها وعدم علم ولي الأمر عما أذن فيه إذا كان يعلم حال المأذون له وصلاح دينه، وفيه جواز الحيلة على العدو، وحب العربي للطيب واستخدامه له في غالب أوقاته وفخره بزوجته وتعيين ما تفضلت به على سائر الناس.

دعاء النبي ﷺ على من آذاه

وكان لهب بن أبي لهب يسب النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: اللهم سلط عليه كلبك[٦]. فكان النبي ﷺ يدعو على من سبه متى رأى أنه مستحق للعقوبة.

تغافل النبي ﷺ عمن آذاه

كان كفار قريش من شدة كراهتهم للنبي يقلبون اسمه ويسمونه مذمما، وكانت العوراء زوجة أبي لهب تقول:

مذمما قلينا ودينه أبينا وأمره

عصينا[٧].

ومذمم اسم مفعول من التذميم بمعنى مذموم، والنبي ﷺ يعلم قصدهم وتعريضهم به لكنه ﷺ كان يتغافل عنهم ويعرض عن إساءتهم وكان يقول لأصحابه: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد»[٨].

وكانوا بين الحين والآخر يرمون التهم على رسول الله ﷺ؛ للنيل منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ (التوبة:٦١)، ويعنون بقولهم أذن: أنه ﷺ يسمع من كل أحد ويصدق كل ما يسمع، وأنهم إذا قالوا قولا وجاءوا له وحلفوا أنهم ما قالوا، صدقهم ﷺ، ولذلك لما قال لرجل منهم: «علام تشتمني أنت وأصحابك؟ قال: «ادعهم» فدعاهم فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا، وما فعلوا حتى تجاوز عنهم»[٩]، والنبي ﷺ كان يعلم قولهم ولا يخفى عليه حالهم وأنهم كانوا معروفين معينين، ليس للنبي ﷺ وحده، بل إن صحابة النبي ﷺ كانوا يعرفونهم ومع ذلك لم يعاقبهم ﷺ وإن كانت جريرتهم تستحق العقوبة بدليل قوله تعالى عقب هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة:٦٣)، لكنه ﷺ لم يعف عنهم عفوا مطلقا بل عفو مقيد بقوله: «معاذ الله أن تتسامع الأمم أن محمدا يقتل أصحابه» نصيحة نصحها النبي لعمر بن الخطاب يوم أن قال له رجل: «اعدل يا محمد» فذكر له علة ترك العقوبة وأنبأه بأن القادم أسوأ وهو مروقهم من دين الله تعالى فقال: «إن هذا وأصحابا له يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق المرماة من الرمية»[١٠]، فإذا أظهروا رأيهم ونصبوا للقتال فقتالهم حينئذ واجب، بل بشر النبي ﷺ من قتلهم أو قتلوه بالجنة فقال: «طوبى لمن قتلهم أو قتلوه»[١١].

أما وإن رأيهم لم يظهر بعد، وأنهم يعملون في الخفاء دون أن يطلع عليهم أحد فإن رسول الله ﷺ يرى أن بناء دولة وتأخر عقوبة خير من عقوبة عاجلة ودولة مفككة؛ «لأن قتل من يظهر عند الناس العبادة والصلاح قبل استحكام أمر الإسلام ورسوخه في قلوب الأبعدين منفر لهم عن الدخول في الإسلام»[١٢]. وقوله ﷺ: «إن هذا وأصحابا له» من قبيل الإخبار لا من قبيل تقرير العلة.

شغله ﷺ بالعبادة عن أذية الناس

ثم إنهم اتهموه بالجنون والسحر والكذب وكانوا لا يدعون فرصة يتهكمون بها عليه إلا تهكموا عليه ﷺ قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر:٦)، وقال: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص:٤)، والنبي ﷺ سيد العقلاء يعرض عن أذيتهم ويترك



إساءتهم عاملا بوصية ربه سبحانه وتعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمل:١٠)، فكان يصبر على أذاهم وكان يدارهم فلا يتعرض لهم بأذية ولا عتاب، ولكنه ﷺ بشر وكان ربما اشتد عليه شتم المشركين وأذيتهم فكان مع الصبر يفزع إلى التسبيح والعبادة عاملا بكلام الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ (الحجر:٩٧-٩٩)

أي: إذا تأذيت بسماع السوء منهم، فافزع إلى الله فيما نابك وضاق منه صدرك بالتسبيح والتحميد. وكن من الساجدين المصلين، يكفك، ويكشف الغم عنك، فكان ﷺ إذا



حزبه أمر فزع إلى الصلاة[١٣].

رجحان عقله وفضله ﷺ وتلطفه بأصحاب المعاصي ومقابلته الإساءة بالإحسان

لما سألت عائشة، رضي الله عنها، النبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الاخشبين، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا[١٤].

من فوائد الحديث وقوف علم بعض الصحابة على أن أشد بلاء وقع فيه النبي ﷺ كان يوم أحد، وأن أمورا من البلاء والأذى وقع فيها النبي ﷺ خفيت عن خاصة أهله، ومنه جواز تعيين اسم من كان سببا في الهم والأوجاع والأذى إذا كان هذا على سبيل الإخبار، وكان النبي ﷺ عرض نفسه على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فرده أقبح رد، فطلب منه النبي ﷺ أن يكتم أمره فحرض عليه سفهاء قومه حتى رضخوه بالحجارة فأدموا رجليه ﷺ[١٥]. ومن فوائده أن الملك لله تعالى وأن لكل جزء منه ملكا يقوم به ولا يتصرف فيه إلا بإذنه سبحانه وتعالى، ومنه سعة رحمة النبي ﷺ بأصحاب المعاصي وتقديمه بقاء شرك متحقق لأجل توحيد متوقع.

الهوامش

١ـ انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ص:٥٤٧، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

٢ ـ سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ٤/ ١٢٩/ ٤٣٦١، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٣ ـ عنانا: من العناء وهو التعب، أي: أتعبنا، انظر: التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي، ٢٥٢٦/٦، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤ـ سنن النسائي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ٨٧/٣/ ٢٧٦٨ المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، والحديث عند البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ١٤٢/٣/ ٢٥١٠ دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥ ـ التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ١١٦/١٦/ ٢٥١٠، دار النوادر، دمشق – سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، شرح سنن أبي داود لشهاب الدين الرملي، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، ١٣/ ٢٢ ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٦ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ٥٨٨/٢/ ٣٩٨٤، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٧ ـ الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، ٦/ ٣٦٧/ دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٨ ـ صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ٣٥٣٣/١٨٥/٤، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩ـ المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ١٢/ ١٢٣٠٧/ ١٢٣٠٧، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

١٠ ـ مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١١ ـ سنن أبي داود، ٤٧٦٥/٢٤٣/٤.

١٢ ـ التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣١/ ٥٧٤.

١٣ ـ بذل المجهود في حل سنن أبي داود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري، ٥/ ٣٢٩، مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦م.

١٤ـ صحيح البخاري، ٣٢٣١/١١٥/٤.

١٥ ـ انظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم للهرري، ٣٢٧/١٩، دار المنهاج – دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

محمد ثابت توفيق
كاتب وأديب وناقد مصري



انتفاضة الأمة للقرآن

فوجئ المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها صبيحة عيد الأضحى المبارك الأخير (١٠ من ذي الحجة ١٤٤٤هـ ٢٨ من يونيو ٢٠٢٣م) بسماح السلطات السويدية لمجموعة من المتطرفين بمحاولة للإساءة لكتاب الله تعالى «القرآن الكريم»، وعلى إثر انتشار المقطع المصور للواقعة المؤسفة استنكرها كتاب، ونددت بعض الدول الإسلامية لأعلى مستوى وسحبت السفير أخرى، وزاد مسلمون بأن «الفعل القبيح» لم يكن متوقعا ببداية أحد أيام أعياد المسلمين ومرافقته لوقوف عشرات الآلاف منهم بمكة أداء لشعيرة الحج المقدسة، وأن الأمر إهانة قوية مباشرة لسويداء القلب من أكثر من ألفي مليون، أو ملياري مسلم يمثلون نحو ربع سكان هذا العالم، وفي المقابل صمتت السلطات تماما، وإن كان من المتوقع تقديمها اعتذارا «باردا» بعد فترة ما اضطرت للأمر للمحافظة على بعض مصالحها «الرسمية» مع الدول العربية والإسلامية.

هل هي إساءة؟

نعرف جيدا ونلمس عبر تعاملاتنا مع الغرب أنه يكيل بأكثر من مكيال، ويخصنا بأسوئها مع الأسف الشديد، وإلا فهل تستطيع دولة ذات أغلبية أو غيرها الإقدام على حرق كتاب يدين الغرب له بالفضل؟ أم إن الأخير سيقيم الدنيا ولن يقعدها حينها؟ أم إن المسلمين يترفعون عن مثل هذه الأفعال الدنئية مصداقا لتعاليم رب العزة؟ من مثل قوله عزوجل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(الأعراف:١٩٩)، لكن ماذا لما يقابل الغرب هذا الترفع الإسلامي بفعل كهذا وبإذن رسمي من دولة لها مصالح وتجارة وعلاقات مع المسلمين ودولهم؟

نجيب بإذن الله على هذه الأسئلة خاصة السؤال الأخير لكن بعد وقفة للإجابة عن سؤال بدهي يقودنا إليها: هل حرق نسخة من كتاب الله يسمى إساءة؟ خاصة وأن لدينا إطارا مقدسا مرجعيا تأسيسيا من قول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ

لَحَٰفِظُونَ﴾(الحجر:٩)؟ وبدهي أن من حفظ الله لكتابه عدم تحريفه أو الإساءة إليه، وما فعله أولاء الجهلاء ما هو إلا محاولة من جانبهم لإغاظة المسلمين في يوم فرح لهم ينتظرونه من العام للآخر، وبالتالي فإن محاولات الإساءة المتكررة سواء للرسول العظيم ﷺ؛ أو للقرآن الكريم المنزل عليه لا تمسهما، وإن تعددت وتكررت، بل لا تتعرض لهما من الأساس، وإنما هي محاولات فاشلة خائبة بالأكثر تصب في منزلة المكايدة الحضارية والسياسية، ولعلنا نحن المسلمين لا نحسن التعبير في هذه المواجهة، فحتى توصيف مثل هذه الأفعال نلحقه مباشرة برسولنا العظيم أو «القرآن الكريم»، وكأن أولاء الموتورين نجحوا والعياذ بالله في مساعيهم التافهة الحقيرة.

سبب تكرار المحاولة

● إذن فلماذا يحاول الغرب تكرار محاولات الإساءة لديننا الحنيف ومقدساتنا المعظمة؟

– إننا نمعن في قراءة الأمر كلما حدث على وجهه الظاهري الذي يستوجب منا استنكارا وشجبا وتنديدا؛ ثم انصرافا من جانبنا ونسيانا وعودة لما اعتدناه من سابق حياة، ثم نفاجأ مجددا بتكرار مثل هذه الأفعال لا قدر الله فلا نملك إلا أن نعيد الكرة، وهلم جرا، ولو أننا أحسنَّا النظر وترونا ودرينا لفهمنا السبب المباشر لهذه الأفعال وغيَّرنا ما بأنفسنا حتى لا يمكِّن الله الآخر من مثل هذه الأفعال والمحاولات التي لا تسر، وتدبرنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(الرعد:١١).

إننا كثر كمسلمين في عالم اليوم ولكننا غير مؤثرين فيه للأسف الشديد، تلفنا الفرقة على المستوى العام مصداقا لقول رسولنا العظيم: عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال ﷺ: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدانيا، وكراهية الموت». رواه الترمذي.

إن كل مسلم غيور على دينه وكتاب ربه ورسوله ليستشعر الأسى الشديد من تكرار مثل هذه المحاولات العبثية، وتذرُّع الغرب الزائف بالحرية الكاذبة محاولا النيل من مقدساتنا التي حفظها الله وحماها، ولكن هذه الأفعال الخائبة الواهنة تشير إلى ضعفنا وتشرذمنا وتفرقنا، كمسلمين نملك مقومات وحدة كلمة وقوة عقائدية واقتصادية كبرى، ومع هذا نظل في منطقة بعيدة عن سيادة العالم وإعادة بث النور والعدالة والطمأنينة بين جنباته، كما فعلت حضارتنا العربية الإسلامية لقرون، بل لا نستطيع اليوم إصمات كل محاول التعرض إلينا، ولكن السؤال الأهم والأوجه والأكثر مباشرة ومرارة:

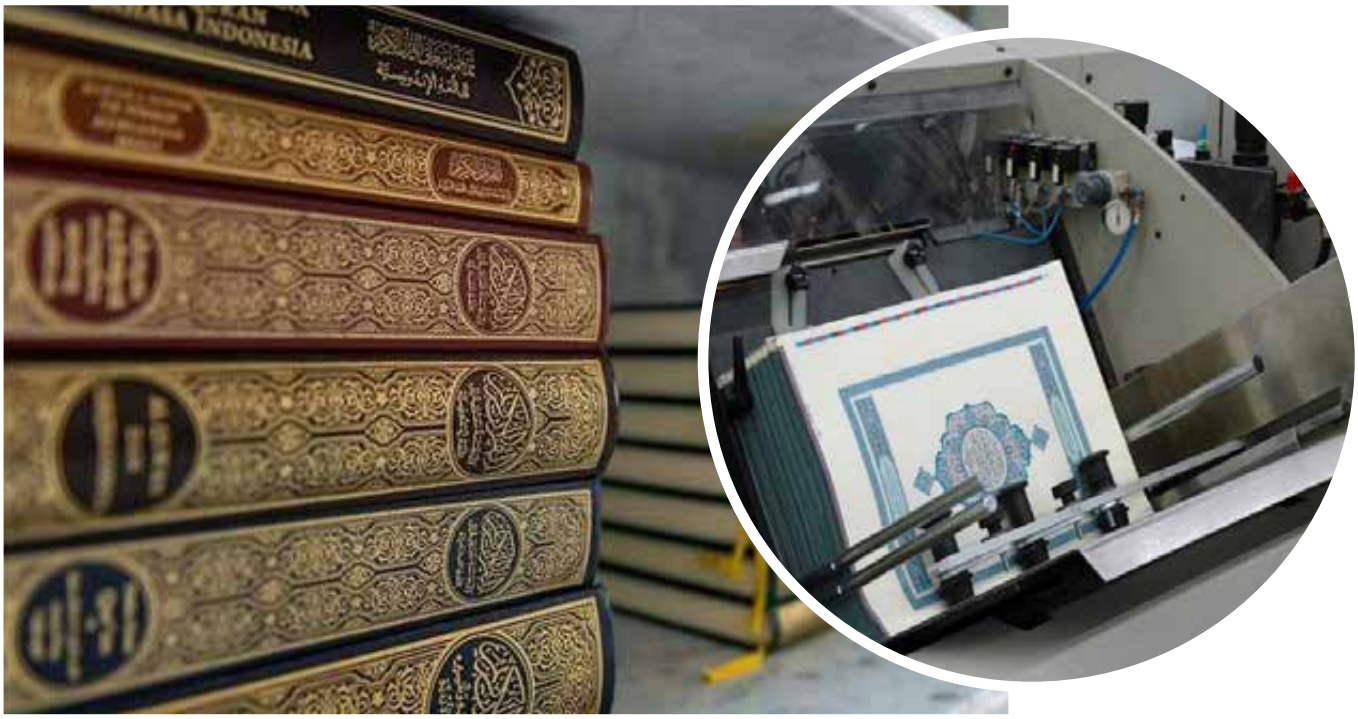
● وماذا فعلنا نحن المسلمون بأنفسنا ليحترمنا الآخرون ويقروا لنا مجهوداتنا، ويبتعدوا عن مثل هذه الأفعال القميئة التي تسيئ لحضارتهم لكنها تسيئ إلينا؟

– إننا إذا ما تلفتنا أولا لتخصص كل منا وجدنا أنفسنا مقصرين في حق قدراتنا وإمكانياتنا قبل أمتنا ومحاولة إعادة وجه حضارتنا المشرق في وجه حضارة استهلاكية لا تحترم إلا المادة والاستهلاكية وتنبذ الضعفاء، بل إننا إذا قارنَّا درجة قدرتنا على إجادة الفعل وفق قول الله تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(التوبة:١٥)، وقول الرسول العظيم ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنا الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» حسنه الألباني في صحيح الجامع.

يستشعر المرء الأسى الشديد لما يجد المسلمين لا يؤدون أعمالهم كما أمرهم الله تعالى ورسوله العظيم، ولو أنهم فعلوا لتبوأت وتولت أمتهم أعلى مكانة في العالم ولما استطاع الآخرون أن يحاولوا الإساءة إليهم، ولو أننا للأسف قارنَّا مجهوداتنا وقدراتنا الكبرى التي لا نستغلها بقدرات شركة تضم عددا من مواقع التواصل الاجتماعي التي تنقل لنا حدثا لا يسرنا كمحاولة الإساءة لكتاب الله لأخذتنا قشعريرة من تطوير الشركة لقدراتها كل عدة أيام، بحيث تبدو متجددة في اختلاف لون، أو تجديد إمكانية، أو إضافة خاصية، وتسهيل أخرى.

إننا بحاجة كبرى لأن نعود لبارئنا على المستوى الفردي فنقرر التوبة عن التقصير في أعمالنا والمهام الموكلة إلينا، بحيث نحسن من أعمالنا، نتقبل النصيحة المناسبة، وننبذ حتى على مستوى المصلحين عادة أن نحتفي بالموافقين لنا في الرأي، ونترك الآخرين. ويوم يوفقنا الله تعالى لإحسان أعمالنا وتجويدها والسهر عليها –إذا لزم الأمر– نكون وضعنا أقدامنا على الخطوات الأولى اللازمة لغدنا ومنعتنا الحضارية الرادعة لكل من تسول له نفسه التعرض لمقدساتنا، نسأل الله تعالى أن يمن علينا برؤية هذا اليوم على مستوى وطننا العربي الإسلامي عاجلا غير آجل بإذن الله.

عبدالله الظفيري
فهد الشمري



«فزعة كويتية» لنصرة المصحف الشريف

شهدت الكويت انتفاضة حكومية شعبية غاضبة تجاه جريمة حرق المصحف الشريف من قبل أحد المتطرفين في مملكة السويد.

ولم تقتصر «الفزعة الكويتية» لنصرة المقدسات الإسلامية على التصريحات الإعلامية وبيانات الإدانة والاستنكار وردود الفعل الغاضبة إزاء هذه الحادثة المستفزة والاعتداء المشين على المصحف الشريف، إنما كانت ثمة خطوات عملية تجاه نصرة الدين الإسلامي وكتاب الله الكريم.

فعلى الصعيد الحكومي كانت دولة الكويت سباقة في إدانة واستنكار هذا الفعل الخطير الذي يؤجج ويؤذي مشاعر المسلمين حول العالم. وقال وزير الخارجية الشيخ سالم الصباح، إن الحكومة ممثلة بوزارة الخارجية، اتخذت كل الخطوات الضرورية تجاه حرق المصحف الشريف في السويد.

وأضاف: «أصدرنا بيان شجب واستنكار لهذا الفعل، وقمت بالاتصال



صورة من الزميلة الأنباء



بوزير الخارجية السويدي، واستدعينا سفيرة السويد المحالة إلى الكويت من أبو ظبي، لتسليمها مذكرة احتجاج شديدة اللهجة، والخطوة الأخرى الواجب اتخاذها كعالم إسلامي، هي السعي لسن قوانين دولية تجرم الإساءة إلى كل الأديان السماوية».

وعلى صعيد مجلس الأمة فإنه أصدر بيانا أعرب فيه عن إدانته واستنكاره الشديدين لحرق نسخة من المصحف الشريف، واصفا ما حدث بأنه خطوة استفزازية جديدة من شأنها تأجيج مشاعر المسلمين حول العالم.

وعبر المجلس عن أسفه الشديد لتكرار مثل هذه الانتهاكات المسيئة للمقدسات الإسلامية تحت غطاء حرية الرأي والتعبير الزائفة.

ودعا مجلس الأمة حكومات الدول وبرلماناتها إلى ضرورة اعتماد مواقف رسمية وقانونية حاسمة لرفض هذه الإساءات المشينة، وتغليظ العقوبات ضد مرتكبيها، وتبني إجراءات فورية صارمة لمنع مثل هذه الأعمال الهمجية، وضمان عدم تكرارها مستقبلا، حيث إن تركها والسماح بها على الصورة المشاهدة الآن لن يؤديا إلا إلى زيادة التعصب والكراهية، وخلق بيئة متطرفة يصعب السيطرة عليها والتحكم بمآلاتها.

وفي موازاة هذه التحركات الرسمية والشعبية، قامت الكويت بطباعة ١٠٠ ألف نسخة من المصحف الشريف مترجمة إلى اللغة السويدية بناء على توجيهات رئيس مجلس الوزراء سمو الشيخ أحمد نواف الأحمد الصباح.

وقال رئيس الهيئة العامة للعناية بطباعة ونشر القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما د. فهد الديحاني، إن الهيئة تلقت التكليف بمتابعة وزير الإعلام ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية عبدالرحمن المطيري لتنفيذ التوجيهات والتنسيق مع وزارة الخارجية تمهيدا لتوزيعها في مملكة السويد، لافتا إلى أن هذه المبادرة تهدف إلى التأكيد على سماحة الدين الإسلامي ونشر المبادئ والقيم الإسلامية والتعايش الإيجابي بين البشر جميعا في جو يسوده المحبة والتسامح والسلام.

وفي حين سارع الكثيرون إلى مقاطعة المنتجات السويدية للتعبير عن رفضهم الإساءة إلى كتاب الله الكريم وعدم مراعاة قدسية هذا الكتاب واحترام مشاعر المسلمين، بادرت الجمعيات التعاونية والأسواق المركزية إلى وقف بيع السلع والبضائع السويدية. وأعلن اتحاد الجمعيات التعاونية الاستهلاكية عن حصر جميع التعاميم التي صدرت للجمعيات بجميع المنتجات السويدية والبالغ عددها ٢٥٩ منتجا تابعة لـ ٢٣ شركة، إذ سيتم التعميم للجمعيات التعاونية بهذه المنتجات حتى تتخذ الإجراء اللازم من جهتها.

أحمد عبدالمنعم عيد
كاتب وباحث



وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا

القرآن الكريم كتاب الله تعالى أنزله على رسوله ﷺ ناسخا لكل ما سبق من الكتب ومهيمنا عليها، وجعله الله تعالى هاديا ومرشدا للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ففي كل باب ترتجي فيه البشرية الهداية يكون القرآن وحده هو الذي يهدي إلى التي هي أقوم ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء:٩).

وجعل الله تعالى ذكر الأمة وشرفها في هذا القرآن إن حافظت عليه ودافعت عنه وأقامته في واقعها قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (الزخرف:٤٣-٤٤).

ووصف الله تعالى القرآن بالروح فهو حياة قلوب المؤمنين: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ (الشورى:٥٢-٥٣).

ووصف
الله تعالى الناس
قبله بالموات وأهله بأنهم لا يستوون مع غيرهم قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:١٢٢).

وهو سلاح المؤمنين الماضي على أعدائهم الموجع لهم، والذي أمر الله رسوله أن يجاهد الكافرين به، فهو أمضى من أي سلاح، قال عز من قائل: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان:٥٢).

وأعداء المسلمين يعلمون علم اليقين أن القرآن الكريم هو سلاح المسلمين الماضي، وأنه أقوى من أي قوة تزيت الباطل، واستساغت الكفر ورضيته منهجا وطريقا، ويفهمون تمام الفهم معنى ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾، وأن الأمة متى تمسكت بهذا الكتاب فستكون لها الغلبة، فكان همهم الأول محاولة تشويه القرآن الكريم والطعن فيه كما قال المبشر تاكلي: «يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماما، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد فيه ليس صحيحا»[١]، وفي الجزائر كانت تعمل فرنسا على مسح هوية الجزائريين، واستخدموا كل الوسائل على رأسها المذابح، وكان الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول بمناسبة مرور مئة عام على احتلالها: «يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم... ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم»[٢].

لكن الحاكم هذا
خاب سعيه فقد علم أنه مهما فعل فلن يستطيع تغيير هوية أمة اعتصمت بكتاب الله، فقد قامت فرنسا بتجربة عملية قامت فيها بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تماما.

وبعد أحد عشر عاما من الجهود هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون... ولما ابتدأت الحفلة، فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري.

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مئة وثمانية وعشرين عاما؟![٣].

أجاب لاكوست، وزير المستعمرات الفرنسي: «وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!»[٤].

القرآن أقوى من فرنسا، هذه هي الحقيقة التي يعترف بها كل من عادى الإسلام أن القرآن هو سر قوة المسلمين، وهو المحرك لهم، وما دام المسلمون متمسكين به فلن نستطيع أن نفرض الحضارة الغربية، بل لن تكون الحضارة الغربية نفسها في أمان في ظل وجود القرآن، وهذا التفكير ليس بتفكير العوام لنقلل من شأنه، بل تفكير الرؤوس فيهم وأصحاب القرار والأمر والنهي منهم مثل جلادستون رئيس وزراء بريطانيا لمدة ١٢عاما من (١٨٦٨م، إلى عام ١٨٩٤م)، فقد كان يحذر من القرآن وتأثيره فيقول: «ما دام هذا القرآن موجودا، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان»[٥].

وقد واجه القرآن الكريم منذ نزوله على رسول الله ﷺ الكثير من حملات التشويه، والعديد من محاولات صد الناس عنه، وباءت كلها بالفشل، وخابت مساعي أوغاد البشر، وبقي القرآن هو القرآن، يزداد تجذرا في قلوب المسلمين كلما ازدادوا في محاربته،

بل إن من أجمل ما قيل في القرآن الكريم في بداية نزوله ما جاء على لسان صنديد من صناديد الكفر أراد أن يساوم رسول الله ﷺ على دينه فلما استمع لرسول الله ﷺ وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ (النحل:٩٠)، قال: أعد. فأعاد ﷺ. فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر. ثم قال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى[٦].

وفي كل عصر من العصور يخرج من يطعن في القرآن ويقول فيه ما يمليه عليه هواه المريض، ويزينه عقله الضحل، ظنا منه أنه يستطيع أن يقضي عليه، وبالتالي يقضي على الإسلام، لكن الله تعالى في كل مرة يستنطقهم بالحق، ويستخرج منهم أعظم الأوصاف في القرآن الكريم والتي تصبح حجة عليهم وعلى أتباعهم، فهذا شبلي شميل (١٨٥٠-١٩١٧م) كبير الملاحدة في عصره، والذي كان حربا على الدين، رآه أحد تلامذته يقرأ القرآن فتعجب منه وعاب عليه فقال عدة أبيات من أجمل ما قيل في القرآن:

دع من محمد في سدى قرآنه
ما قد نحاه للحمة الغايات
إني وإن أك قد كفرت بدينه
هل أكفرن بمحكم الآيات
ومواعظ لو أنهم عملوا بها
ما قيدوا العمران بالعادات
نعم المدير والحكيم وإنه
رب الفصاحة مصطفى الكلمات
من دونه الأبطال في كل الورى

من سابق أو لاحق أو آت[٧]

وفي هذا العصر قد شاهدنا الكثير من المحاولات التي يرى من ظاهرها أنها إهانة للقرآن الكريم ويفسح لها المجال ويعطى أصحابها التصاريح الرسمية التي تبيح لهم فعل ما يشاؤون بالقرآن كحرقه أو تمزيقه، وهذه المحاولات تهدف في حقيقتها إلى قياس مدى تعلق المسلمين بكتابهم، هل فتر حبهم له؟ هل ضعف تمسكهم به؟ هل قلت غيرتهم عليه؟ ومن خلال ردود الأفعال من المسلمين يستطيعون وضع البرامج وتطويرها لقطع صلة المسلمين بكتابهم شيئا فشيئا، لكن بفضل الله تعالى في كل مرة يرون أن الأمة ما زالت متمسكة بالقرآن الكريم متعلقة به غيورة عليه، لا يتأخر الواحد من أفراد هذه الأمة عن فداء القرآن بماله ونفسه.

والمحاولة الأخيرة التي قام بها أحد المجرمين في السويد واجه من سمحوا بذلك حملة من الغضب اضطرتهم بعد الدفاع عن الفاعل بدعوى حرية التعبير إلى الاعتذار للمسلمين وتبرؤهم من الفاعل.

وكانت الكويت في كل مرة صاحبة اليد البيضاء والموقف المشرف دفاعا عن القرآن الكريم، فردة الفعل في الكويت لا تقتصر على عموم الناس وإنما يمتد الموقف إلى المسؤولين في الحكومة أو في مجلس الأمة الذي دعا أعضاؤه إلى اتخاذ إجراءات تتعدى الشجب والتنديد، وإلى دعوة منظمة المؤتمر الإسلامي لاتخاذ موقف موحد تجاه الإساءة إلى مقدساتنا وعلى رأسها القرآن الكريم ورسولنا محمد ﷺ وإلى التعامل مع الغرب بالمنطق الذي يفهمونه، كما طالبوا بسن قانون يجرم الإساءة إلى المقدسات الإسلامية ومعاقبة من يفعل ذلك كما يجرم من ينكر الهلوكوست.

وهذه الفزعة التي قامت بها الحكومة ووزارة الخارجية الكويتية دفاعا عن القرآن الكريم ومعهم مجلس الأمة بكل أعضائه ترسل رسالة للعالم أن للإسلام أهلا يدافعون عنه، وأن أمة القرآن ما زالت متعلقة به، تغضب لأجله غضبة تقوم لها الدنيا، ويتناسى معها المسلمون كل الحسابات السياسية، ولا ننسى الشعب الكويتي الذي يؤكد مع كل موقف مدى ارتباطه بهويته والتصاقه بدينه وحبه للقرآن الكريم، وهذا أمر ليس بغريب على دولة أولت القرآن رعايتها، وجعلته من أولوياتها من خلال إنشاء دور القرآن الكريم المجانية في كل المناطق وحلقات القرآن المجانية التي توجد في المساجد تسهيلا وتيسيرا على كل من أراد حفظ القرآن الكريم بالإضافة إلى المراكز المتخصصة في القراءات والسند كالأترجة وابن الجزري.

فموقف الكويت، حكومة وشعبا، ليس مستغربا فهو موقف بلد عاش بالقرآن، وبذل الجهد والمال لخدمته ورعاية أهله وتكريمهم.

أدام الله تعالى علينا نعمة الإسلام والقرآن، ورد الله كيد الكائدين في نحورهم، وحفظ الله تعالى الكويت، أميرا وحكومة وشعبا، وأدام الله عليها نعمة خدمة الدين والقرآن والدفاع عنه وأكرمها الله كما أكرمت أهله.

الهوامش

١ - التبشير والاستعمار: ص٤٠.
٢ -المنار، العدد ٩-١١-١٩٦٢.
٣ - مدة الاستعمار الفرنسي للجزائر بلغت ١٣٢ سنة من ٥ يوليو ١٨٣٠م: ٥ يوليو ١٩٦٢م.
٤ - قادة الغرب يقولون، ص:٥١، نقلا عن جريدة الأيام، العدد ٧٧٨٠.
٥ - الإسلام على مفترق الطرق: ص:٣٩.
٦ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ٢/٢٤٣.
٧ - المعجزة والإعجاز، د. سعد الدين سيد صالح.



جاسم الجاسم
صحفي

الكويت.. رفض قاطع للمساس بالأديان والمقدسات

ليس جديدا موقف الكويت المساند للقضايا الإسلامية والدفاع عن المقدسات الدينية، بل إنها سباقة في هذا الجانب وتشهد لها الكثير من الحوادث على مر التاريخ إذ كانت حاضرة بالموقف والفعل في الدفاع عن الإسلام.

وعندما تبادر الكويت بالتحرك الفوري والحازم تجاه رفض وإدانة واستنكار جريمة حرق المصحف الشريف من قبل أحد المتطرفين في مملكة السويد، فإنها تنطلق من ثوابتها وقناعاتها باحترام الكتب السماوية والمقدسات الدينية وضرورة عدم الإساءة إليها والتعرض لها.

ولا يختلف الموقف الرسمي عن الشعبي في شأن الحرص على حماية المقدسات الإسلامية والتصدي لأية ممارسات أو تصرفات من شأنها الإساءة للدين وعدم احترام مشاعر المسلمين.

وعندما بادر مجموعة من أعضاء مجلس الأمة بتقديم طلب لمناقشة «التعرض لمقدسات ديننا الإسلامي والعداء السافر على حرق المصحف الشريف في السويد وتداعياته والوقوف وقفة جادة تجاه هذا التعرض»، سارعت الحكومة إلى الموافقة والترحيب بالطلب وتخصيص وقت من جلسة مجلس الأمة لمناقشة هذا الاعتداء المشين على المصحف الشريف.

وترجم هذا التوافق الحكومي النيابي في شأن الدفاع عن المقدسات الإسلامية بإقرار مجموعة من التوصيات التي لم يقتصر تأثيرها على الشأن المحلي إنما تعداه إلى الجانب الدولي من ناحية طلب تقديم قانون يجرم من يتعدى على الدين الإسلامي.

وتناولت التوصيات التي أقرتها السلطتين التشريعية والتنفيذية أعمال ثلاث وزارات هي الخارجية والإعلام والتجارة إذ ألزمتهم القيام بمجموعة من الخطوات في إطار الدفاع عن الدين الإسلامي ومقدسات المسلمين.

فعلى صعيد وزارة الخارجية تضمنت التوصيات بأن تقوم بدورها في المحافل الدولية من الاستنكار وطلب تقديم قانون يجرم من يتعدى على الدين الإسلامي وخاصة على (الرب – والرُسل والقرآن). وكذلك وضع قانون دولي يسمح برفع دعوى قضائية في المحاكم الدولية ضد كل من يسب الرب أو أحدا من الرُسل أو يتعدى على القرآن.

ونصت التوصيات على أن تطلب وزارة الخارجية من الدول عدم السماح قبول طلب اللجوء السياسي في دولها لمن يسب الدين والرب والرُسل والقرآن. وكذلك فإن على الدول التي ترعى من يسب الإسلام ويتعدى على القرآن يجب على الوزارة اتخاذ أقصى إجراءات الردع الدبلوماسي اتجاهه.

وعلى صعيد دور وزارة الإعلام في الدفاع عن المقدسات الاسلامية فإن عليها أخذ إجراءات ضد المواقع الإلكترونية في الإنترنت (كاليوتيوب – توك توك) وغيرها التي تنشر الإساءة ضد الدين الإسلامي. وحجب كل مقطع أو رسالة فيها إساءة إلى الدين الإسلامي.

كذلك فإنه عند عدم إجابة المواقع العالمية لطلب وزارة الإعلام في حذف المقطع الذي يسيء لدين الإسلام، يجب على الوزارة حجب الموقع عقابا لهم لمدة حتى تستجيب لطلب الوزارة.

كما نصت التوصيات على ان أي مغرد أو كاتب داخل الكويت يعتبر أن الإساءة لدين الإسلام بأي تصرف أو قول هو من ضمن التعبير عن رأيه وهو من حرية الشخصية يجب على الوزارة أخذ إجراء قانوني ضده.

وتناولت توصيات الدفاع عن المقدسات الإسلامية دور وزارة التجارة والتي عليها إصدار قرار يُعمم على الأسواق والمجمعات والمراكز التجارية بمنع بيع سلع الدول التي تسمح بسب الإسلام والتعدي على القرآن. ومنع التصدير إلى الدول التي تسمح بالتعدي على ثوابت الدين الإسلامي وتعتبر هذا من الحرية الشخصية وتحمي الأشخاص المعتدين. وكذلك على وزارة التجارة أخذ إجراءات صارمة ضد من يبيع سلع الدول التي تم حظر سلعها بسبب حمايتها وسماحها بسب الإسلام والتعدي على القرآن.

متابعة: علاء الدين عبد الفتاح



م. إبراهيم الخزّي

تجربة رائدة لتطوير أداء الأئمة والخطباء والمؤذنين والمحفظين والمحفظات

أكاديمية الأوقاف

هو جهد بلا شك استثنائي خرج من عباءة مشروع قديم لتدريب مهندسي وزارة الأوقاف قبل أعوام، وقد نجح حتى الآن في توفير المهندسين المحليين الذين عقدوا مشروعات مهمة للوزارة وكانوا أكفاء بمثابة خير خلف لخير سلف من زملائهم الذين عادوا إلى بلدانهم لسبب أو لآخر.

وهو جهد مستمر يشرح الصدر عندما نغمض العينين حالمين بثماره بعد فترة وجيزة (ربما عدة أشهر) حين يستطيع أمام المسجد أن يقوم بدوره كما كان يحدث في القرون الأولى للإسلام وفق توصيف وظيفي ناجع ودقيق وبعد ورش عمل مستفيضة على يد استشاري محترف.

إنها أكاديمية الأوقاف التي يدعمها ويقف وراءها بقوة صاحب الفكرة المهندس إبراهيم الخزي وكيل الوزارة للشؤون المالية والإدارية، ويشرف على إجراءاتها المهندس عبدالله المطيري ذلك الدينامو المحرك لماكينة العمل التنفيذي ثم مبرة المتميزين لحفظ القرآن الكريم برئاسة يوسف الصميعي هذه المبرة المتميزة التي دعمت المشروع وأنفقت ليتسنى وجود مكتب استشاري مشهود له بحسن التدريب وعقد الورش المتخصصة بإدارة الدكتور أحمد محمد بوزبر وفق أساليب علمية معروفة.

«الوعي الإسلامي» حاورت المهندس الخزي وحضرت ورشة تدريبية للأئمة التقت على هامشها بالاستشاري الدكتور بوزبر، ثم حاورت مبرة

المتميزين د. الصميعي لتنقل للقراء الصورة كاملة وتزف إليهم البشارة بخروج هذا الوليد المبارك للنور لعل التجربة تنتشر في سائر بلاد المسلمين فينفع الله بها الأمة.

في البداية يقول المهندس إبراهيم الخزي وكيل وزارة الأوقاف للشؤون المالية والإدارية ورئيس الأكاديمية لـ«الوعي الإسلامي»: كانت الأكاديمية تحمل اسم أكاديمية المساجد وجاءت الفكرة لتدارك إحلال المهندسين القدامى فقلنا نستفيد منهم كأصحاب خبرة قبل أن يمضوا بتدريب مجموعة جديدة من مهندسينا، وبالفعل تم إنجاز برامج تدريبية تقدر بنحو ٢٠ دورة في الهندسة استفاد منها أكثر من ٣٢٠ مهندسا صاروا جميعهم مؤهلين للدخول في الميدان وبعدها استلموا العقود في شتى المواقع، ثم اتجهنا لتطوير أداء الأئمة والخطباء والمؤذنين فتم إعداد المناهج وبدأنا الدورات، فالشق الديني هو الدور الرئيسي للوزارة.

والواقع أن متطلبات شغل وظيفة الإمام قد تكون شهادة شرعية فقط وتأدية الفريضة، بينما هو بمثابة قائد مجتمعي ينصح ويتواصل مع المجتمع المحيط، إذا الشهادة الشرعية فقط لا تكفي وهناك خلل ما في توصيف متطلبات الوظيفة وفقا للاحتياجات الفعلية.

● وماذا عن المعوقات التي تصادفكم؟

- أكبر المعوقات هي تغيير الثقافة الحالية.

توصيف ديكم

ومن جهته يضيف عبدالله المطيري مراقب المساجد التراثية والخدمات الفنية المساندة: في عام ٢٠١٩م أنشئت أكاديمية الأوقاف للنهوض بكل الفئات العاملة بالوزارة مثل القانونيين والمحاسبين والمهندسين وذلك عن طريق إعداد برامج لهم يتم التدريب عليها لتطوير الأداء وقد اتبعنا منهجية (ديكم) لتوصيف الوظائف بعد تحليلها إلى مكوناتها الأساسية لأن لدينا أزمة أو لنقل فجوة مهارية ما بين متطلبات شغل الوظيفة والمهام الوظيفية لها، لأن طبيعة عمل الإمام تتجاوز تأدية الصلاة إلى فن القيادة، والأئمة الحاليون معذورون لأن أحدا لم يطلب منهم قبل التوظيف مهاماً محددة.

ويوضح المطيري: عن طريق استشاري عالمي بدأنا في ورش العمل وتوصيف وظائف الخطيب أولا عن طريق عصف ذهني مع الخطباء الذين تم اختيارهم بشكل يغطي جميع المناطق بالكويت وكذلك المساجد المختلفة من مساجد على الحدود أو داخل العاصمة لقراءة الواقع جيداً فاستخلصنا منهم طبيعة عملهم ثم عرضنا ذلك على مجموعة أخرى منتقاة كنوع من التحكيم، وبعد تحليل الورشة إلى المهارات الأساسية المطلوبة يتم صياغتها من خلال برنامج تدريبي، والآن من يريد أن يشغل وظيفة خطيب سيعرف ما الضروري الذي يجب أن يتوفر فيه وما المهام الضرورية التي ينبغي القيام بها. وكذلك الحال مع الأئمة والمؤذنين وغيرهم.

ويضيف: سيتم صياغة نتائج كل ذلك في دليل تدريبي باسم الوزارة، فنحن نعتبر المسجد ليس مرفقاً عادياً بل وحدة عمل ونرى أن يكون لدى كل إمام مسجد خطة يطلب من الإدارات المختلفة تيسير تنفيذها لأن دور الإدارات هنا تيسير عمل المسجد لا السيطرة عليه، وقد سبق أن دربنا عشرة مساجد على وضع خطة إستراتيجية لكل مسجد بحيث تضم مع تعليم وتحفيظ القرآن تيسير العلم الشرعي للجميع بل وعقد دورات مفيدة لجميع أفراد الأسرة لجذبهم إلى المسجد.

ويلفت المطيري إلى أن أكاديمية الأوقاف بهذا تكون قد قدمت التوصيف الأول في العالم الإسلامي لوظائف الخطباء والأئمة بهذه الدقة





قائلا: سنبدأ المنظومة الحديثة عمليا مع حديثي التعيين وفي الوقت نفسه سنعقد دورات تنشيطية للموظفين الموجودين حالياً.

ورشة الأئمة

«الوعي الإسلامي» حضرت في الأسبوع نفسه إجراء مقابلات ورشة عملية لتحديد أشمل للتوصيف الوظيفي للأئمة بدأها المراقب عبدالله المطيري بقوله إن في هذه الحرب القيمية التي نحن فيها يكون لزاما على إمام المسجد قيادة المجتمع، وللأسف إلى الآن ليس هناك توصيف منهجي أكاديمي علمي لهذه الوظيفة التي نحن بصدد تحليلها وتحديد المهارات المطلوبة لشغلها بخلاف إقامة الصلاة.

تحدث بعدها رئيس أكاديمية (ديكم) للتدريب والاستشارات ومدير الورشة د. أحمد محمد بوزبر الاستشاري المعروف فقال: نريد أن نرتقي بكل الوظائف ونحدد خريطة المهام وسنتبع منهج (ديكم) في ذلك بأن نسأل الأئمة أنفسهم عن مهامهم الواقعية التي يمارسونها بالفعل مهما كانت صغيرة أو كبيرة وذلك في مكان واحد مثل مكاننا هذا وأتصور أن هذه الورشة هي الأولى في الكويت بل في الخليج وستثمر كتيباً بمثابة دليل إرشادي يخرج من الوزارة إلى جميع المهتمين.

وهنا تحدث أحد الحاضرين فقال إن هناك ميثاقاً للمسجد بالفعل موجود بالوزارة وفيه توصيف وظيفي لمهمة الإمام فما الجديد هنا؟ رد عليه الاستشاري المحترف بأنه قد اطلع على ذلك الميثاق وهذا التوصيف ولكنه وجد أن ما يقوم به الأئمة أكثر بكثير والمأمول منهم أكثر أيضاً وقال: نريد من الأئمة أن يكتبوا هذا التوصيف بأنفسهم لنضيفه إلى ما سبق لأن (ديكم) لا يلغي ما قبله، وبدأ العصف الذهني بسؤال حول الواجبات الرئيسة التي يقوم بها كل شخص من الحضور وهم نحو ١٥ إماماً منهم -مع الاحتفاظ بالألقاب- محمد فضائل وأسامة البحوه وفؤاد الجرافي وخالد الجهيم ويوسف الضاوي وخالد الشطي ومؤيد حمدان وسعد الغبيشان ومحمد عبد الرحمن وعبدالحميد الشايجي وفهد الجنفاوي.

وقد توصلت الورشة إلى نحو ٣٨ مهمة يقوم بهم الأئمة تم توزيعها على أربع واجبات رئيسة هي: إمامة المصلين وإدارة المسجد ثم التواصل مع أهل المسجد وأخيراً تفقيه الجمهور، وفي الجزء الثاني من الورشة تم تحديد المؤهلات التي يجب أن تتوافر في الإمام وكذلك القيم السلوكية في شخصيته، وأخيرا الدور الفكري المنوط به، ثم ختم الاستشاري د.أحمد الورشة بتحديد المهام التي لا يستطيع الإمام الوافد القيام بها في مقابل الإمام المواطن مثل ارتياد الدواوين والتأثير في روادها، وكذلك الفرق بين الإمام المكلف والإمام المعين في الوزارة وكيف تؤثر بيئة المسجد في وظيفة الإمام.

«الوعي الإسلامي» انتقلت إلى رئيس مبرة المتميزين لحفظ القرآن الكريم يوسف الصميعي وسألناه عن فكرة دعم مشروع أكاديمية الأوقاف فقال: بموجب اتفاقية مع وزارة الأوقاف والسيد وكيل الوزارة للشؤون المالية




م. عبدالله المطيري متابعاً

والإدارية تحركنا لدعم ورعاية هذا المشروع الرائد، ولا تنس أن دورنا كمبرة للمتميزين العناية بكل ما يخدم القران الكريم وإحياء رسالة المسجد والأخوة لديهم هذا المشروع ومن هنا جاءت الشراكة.

فتعاقدنا مع أبرز المكاتب الاستشارية في هذا الأمر لعقد ورش تدريبية وطرح توصيف دقيق لهذه الوظائف، وعلى سبيل المثال هناك آلاف الخطباء بالكويت نريد منهم تعزيز الدور الذي يقومون به حتى يكون أثرهم بالمجتمع أكبر ويقدمون ما لم يقدمه غيرهم في الفترات السابقة القريبة.

ويوضح الصميعي: نحن مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني ونسعد بالشراكة مع الوزارات المعنية وفي الوقت نفسه نقوم بدور خاص مكمل لباقي المؤسسات والجمعيات التي تعنى بخدمة القرآن الكريم ومختلف عنهم بالتأكيد وعلى سبيل المثال المقرأة الإكترونية تستوعب نحو ٦٠٠ رجل وامرأة وهناك منصة عالمية للمتميزين تضم ١٠ آلاف فرد ونقوم فيها بالتحفيظ وعقد دورات شرعية وتعليم كيفية قراءة الفاتحة كما أنزلت على الرسول ﷺ لأن بدونها لا تصح الصلاة.

ثم هناك دورات خاصة للمجموعة المخملية المشغولة بالأعمال الاقتصادية فنوفر لهم وسيلة مناسبة لتحسين التلاوة كما نركز على المتخصصين في علم القراءات وغيرها باختصار نسعى إلى إيجاد وسائل حديثة دوما تخدم القرآن الكريم وتنتج متميزين في حفظه وتلاوته والعمل به.

خريطة طريق

على هامش الورشة سألنا د. أحمد بوزبر الذي تعاقد مع مبرة المتميزين لخدمة القرآن الكريم وقطاع المساجد بوزارة الأوقاف عن خصوصية هذا المشروع فقال: هو مشروع رائد في تطوير الخطباء والأئمة والمؤذنين والمحفظين والمحفظات والهدف الخروج بخريطة دقيقة لوظيفة وواجب وسلوك وقيم كل منهم، وذلك عن طريق اختيار عينة من هذه الفئات لاستنباط الاحتياجات التدريبية لتطوير الوظائف ومن هنا يخرج وصف وظيفي وقائمة بالبرامج التدريبية المطلوبة وستنتهي هذه الورشة بدليل تدريبي تصدره الوزارة سنذهب به إلى لجنة الخبراء التي ستأخذ منتج الورشة وتطور على المهام والواجبات، ثم نربط هذا بميثاق المسجد الموجود بالفعل ثم نقارن ذلك بما هو موجود خليجياً، وربما نبحث فيما هو موجود عربياً أو إقليمياً حتى يكون لدينا علامة مرجعية نقيس بها أداء العاملين.

وختم قائلا: هذه الورشة هي نقطة البداية، وسنحول قائمة البرامج إلى ورش تدريبية فإذا طبقت سيؤتي المنتج أكله، لكن إذا توقفنا عند إصدار الكتيب فلن يحدث تغيير يذكر.

تركنا الورشة مستبشرين والنفس يحدوها الأمل في تغيير الواقع إلى الأفضل بفضل همة رجال أكفاء بوزارة الأوقاف الكويتية وعاملين فيها يطورون أنفسهم لمواجهة ما يمكن تسميته حقا بالحرب القيمية المسلطة على أفراد الأسرة كافة.





د. مسعود صبري
خبير بالموسوعة الفقهية

العفو إكسير الأخلاق

العفو إكسير الأخلاق وروحها وأعلى مراتبها، وذلك أن الأخلاق في الإسلام لها مجالان كبيران: الأول: العدل، والثاني: الفضل، وبالعدل يقوم الميزان ويفصل بين الناس في الخصومة والمنازعات، وترد الحقوق إلى أصحابها، أما الفضل فهو مرتبة أعلى، ويعد العفو جوهر الفضل، فإن كان القصاص والعقوبة من العدل الذي لا ينكر، فإن أعلى منه درجة العفو عن الناس، والصفح عنهم، والتنازل عن الحقوق، وهو من شيم الكرام، ولا يقدر عليه كل أحد، فأصحاب العفو هم أصحاب النفوس السامية، والأخلاق العالية، والقلوب النقية، فالعفو يحبه كل أحد، ولا يقدر عليه كل أحد.

ويتميز العفو بأنه من أفعال الترك، فالذي يعفو لا يفعل شيئا، ولكنه يترك حقا من العقوبة له على غيره، وهذا مما يميز الإسلام أن المرء يثاب على الترك كما يثاب على الفعل، والعفو من الثواب على الترك.

ولهذا عرفه الكفوي بقوله: «العفو: كف الضرر مع القدرة عليه، وكل من استحق عقوبة فتركها فهذا الترك عفو»[1].

وجوه العفو في القرآن

وقد جاء العفو في القرآن بمعان عظيمة ودلالات واسعة، تدل على عظم شأنه. وقد جعل أبو هلال العسكري العفو في القرآن على ثلاثة أوجه، هي:

الأول: الفضل من المال؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ (البقرة:٢١٩) يعني: الفضل والبر، وذلك أنهم حضوا على الإنفاق. في قوله: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة:٢٦٧) وقوله: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ (البقرة:٥٧) فسألوا عن القدر الذي ينفقون، فقال: ما يفضل عنكم ويسهل عليكم إنفاقه تنفقونه؛ وهو قليل لتنالوا به الكثير من الثواب.

الثاني: الترك؛ وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ (البقرة:٢٣٧) أي إلا أن «يتركن لكم ما يجب» لهن من «نصف» الصداق أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني: الزوج، وعفوه أن يعطي المهر كاملا وليس هو الولي؛ لأنه ليس للولي أن يترك من مهر المرأة شيئا، ومثله قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ (البقرة:١٨٧) وقوله: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ (البقرة:١٧٨).

الثالث: العفو عن الذنب؛ قال الله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ﴾ (التوبة:٤٣) وفي هذا دليل على أن الأنبياء يذنبون؛ لأنه إذا لم يكن ذنب لم يكن عفو ولكن ذنوبهم صغائر»[2].

وجعل ابن الجوزي العفو في القرآن على أربعة أوجه، هي:

الأول: الصفح والمغفرة. ومنه قوله تعالى: ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ (آل عمران:١٥٥)، وقوله: ﴿عفا الله عنك﴾ (التوبة:٤٣).

والثاني: الترك. ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ (البقرة:٢٣٧)، أراد: ترك المهر. وهذا قريب من معنى الأول.

والثالث: الفاضل من المال. ومنه قوله تعالى: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾، وقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ (الأعراف:١٩٩).

والرابع: الكثرة. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ (الأعراف:٩٥)، أي: كثروا، قاله: أبو عبيدة»[3].

العفو من أسماء الله وصفاته

قد حث الله تعالى على العفو والتحلي

به، ومن تحلى بالعفو عن العباد؛ فقد اتصف بما اتصف به الرحمن سبحانه، فإن من أسمائه الحسنى وصفاته العلا أنه «العفو»، ولهذا قرن الله تعالى عفو المؤمنين بعضهم عن بعض باسمه العفو، فقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (النساء:١٤٩).

ومن اعتاد العفو عن الخلق؛ استحق عفو الخالق، ومن عفا عن إخوانه في الدنيا؛ عفا الله عنه في الآخرة.

وقد جعل الله تعالى الجنة عاقبة العفو، فالعافون عن الناس من أهل جنته ورضوانه، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ (آل عمران :١٣٣-١٣٤).

العفو صفة الرسول في الكتب السماوية

ولما كان العفو من صفات الصالحين وسمات المتقين، فقد جاء وصف رسولنا ﷺ في الكتب السابقة بأنه يعفو ويغفر، كما ورد في صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أن عطاء بن يسار سأله أن يخبره عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل. والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعين عمي وآذان صم وقلوب غلف.

وقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى لأمته في العفو، فكان ﷺ كثير العفو عمن آذاه وظلمه، وها هو يسطر لنا عفوه حين جاءه ملك يعرض عليه أن يطبق على المشركين الجبلين، فقال كما جاء في الصحيحين: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا».

وفي موقف النصر على المشركين الذين آذوه وطردوه من بلده سنين، ولما عاد إلى مكة فاتحا، صك لنا ما سطره التاريخ بقوله: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

الحث على العفو

كما أمر الله تعالى نبيه ﷺ والأمة من بعده عامة وأولياء الأمور خاصة أن يتحلوا بالعفو؛ لان العفو من شيم الكبار، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ولهذا ذكر عمر بن عبدالعزيز أن العفو من أحب الأمور إلى الله يوم القيامة، فعن سفيان عن رجل قال سمعت عمر ابن عبدالعزيز يقول أحب الأمور إلى الله ثلاثة العفو في القدرة والقصد في الجدة والرفق في العبادة وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة[٤].

وقد حث الرسول ﷺ أمته على العفو حتى في كبائر الأمور قبل صغارها، وألا يكون كل هم المسلم رفع قضية إلى القاضي ليحكم له، ولكن إن استطاع أن يعفو ويغفر عن أخيه فليفعل، فإن ذلك من عزم الأمور، كما ورد في الصحيحين عن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «تعافوا فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب».

وقال أبو حاتم رضي الله عنه: «الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالم بأسرهم رجاء عفو الله جل وعلا عن جناياته التي ارتكبها في سالف أيامه؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء، وصاحب العقاب وإن انتقم كان إلى الندم أقرب، فأما من له أخ يوده فإنه يحتمل عنه الدهر كله زلاته»[٥].

كراهة ترك العفو

وإن من الأمور التي يكرهها الله تعالى أن يطلب المسلم من أخيه العفو؛ فيأبى أن يعفو عنه، فإن ذلك من نواقض الأخوة في الله، وقد ورد في صحيح البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر»، فسلم وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثا).

ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبي ﷺ، فجعل وجه النبي ﷺ

يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم (مرتين). فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ (مرتين). فما أوذي بعدها».

بل إن العلماء جعلوا التشاغل في مقابلة الإساءة بمثلها من صفات البهائم، وأن أقل ما في العفو راحة النفس وطمأنينة القلب، كما قال أبو حاتم رضي الله عنه: «أغنى الناس عن الحقد من عظم عن المجازاة وأجل الناس مرتبة من صد الجهل بالحلم وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء إليه فأما مجازاة الإحسان إحسانا فهو المساواة في الأخلاق فلربما استعملها البهائم في الأوقات ولو لم يكن في الصفح وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل ألا يكدر وقته بالدخول في أخلاق البهائم بالمجازاة على الإساءة إساءة ومن جازى بالإساءة إساءة فهو المسيء وإن لم يكن بادئا»[٦].

ولأهل العفو فضائل عظيمة، من أهمها

تكريم أهل العفو يوم القيامة:

ولما كان العفو صعبا على النفس لا تتقبله، فإن الله تعالى يكافئ أهل العفو يوم القيامة، فيناديهم على رؤوس الخلائق، ويمنحهم عفوه ومرضاته، حتى يشهد الناس عطاء الله لهم؛ لما كان لهم من عفو، كما ورد عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: «بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادي: من كان له عند الله شيء فليقم، فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس»[٧].

العفو سبيل مغفرة الله

كما جعل الله تعالى العفو وسيلة لمغفرته ومرضاته، فمن عفا عن الخلق؛ عفا الله عنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢).

ولما كانت طبيعة الإنسان تميل إلى الانتقام من الظالم وأخذ الحق منه، وأن العفو لا يقدره عليه كل أحد، جعل الله تعالى العفو عن الناس من عزم الأمور، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى:٤٣).

طلب العفو أعظم المطالب

ولما كان عفو الله هو القصد الأعلى، جعل النبي ﷺ إن وافق العبد دعاء مستجابا؛ فليطلب من الله عفوه، وفي صحيح مسلم عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قلت يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني».

العفو خلاص في الدنيا ونجاة في الآخرة

فإن كنت محبا لله حقا، فتمثل في نفسك وحياتك اسم الله العفو، فتجاهد نفسك في العفو عن الناس، راغبا بذلك وجه الله تعالى أن يعفو عنك في الميزان والحساب، تعلم العفو عمن ظلمك أو أخذ حقك، أو شتمك أو أهانك أو أساء إليك، وتصدق بعرضك عمن اغتابك، فإنها أعظم الصدقات، ومن أجل الطاعات.

وبالعفو يحصل الاتزان بين الناس في المجتمع، ويسود الود والمحبة بين الخلق، وتنتزع الضغائن، واعلم أنك بعفوك عن غيرك وإفصاحك له عن العفو تجنب نفسك ويلات كانت بك واقعة، ومصائب كانت بك نازلة، فأنت بالعفو تغير قدر الله إلى قدر لله أجمل، ولا تظنن أنك بالعفو عن غيرك تهدي له وحده نفعا، بل أنت منتفع بالعفو في الدنيا قبل الآخرة، ويكفي أن يطمئن قلبك وترتاح نفسك إن لزمت طريق العفو، وأن تنزل عليك السكينة، وأن تشعر بأنوار قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى:٤٠)، وأي شيء غير أجر الله ترجو، فثق أن عفوك لا يضيع هباء، ولا يذهب سدى، فإنه محفوظ في صحائفك، مقدر عند من يفصل بين الناس يوم الحشر والنشور، فسر في قافلة العافين؛ عساه يكتب عنده من المحسنين الفائزين.

الهوامش

١- الكليات (٥٣).

٢- الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، ص: ٣٤٨-٣٤٩.

٣- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص:٤٣٧.

٤- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان، ص:١٦٧.

٥- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان، ص:١٦٨.

٦- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان، ص:١٦٩.

٧- إحياء علوم الدين للغزالي، (١٩٥/٣).

عايد الجاسم
كاتب وصحفي



التسامح يعزز العلاقات الاجتماعية

يخطئ من يظن أن التسامح والتجاوز عن الزلات والهفوات يمثل نوعا من أنواع الضعف وقلة الحيلة التي قد يرى البعض أنها لا تليق بهم، لذلك يتخذون موقفا متصلبا ضد أي خطأ مهما كان صغيرا لمحاولة إثبات قوتهم وعدم ضعفهم. بينما الأمر مختلف تماما إذ أن أهم مقومات التسامح أن يكون المتسامح بموقع القوة والقدرة على إلحاق الأذى بالآخرين لكنه اختار طريق العفو والصفح وكبح جماح النفس عن الانتقام والتجاوز عما أصابه من إساءة.

ولاشك أن هذه الصفات الأخلاقية الحميدة تؤدي إلى تعزيز الأمن والأمان في المجتمعات وتشيع الألفة بين القلوب وتمنع القطيعة بين الناس. وكلما ساهمنا في نشر هذه القيم الأخلاقية النبيلة فإننا نساهم في بناء علاقات قوية بين الأفراد والأسر والمجتمعات قائمة على المحبة ونبذ الخلافات والتجاوز عن الأخطاء.

وأبدى الدين الإسلامي حرصا كبيرا على تعزيز قيم العفو والتسامح ونشرها في أوساط المجتمع وحض الناس على الالتزام بها وتطبيقها في حياتهم اليومية باعتبارها من الفضائل النبيلة التي تساهم في معالجة الكثير من المشكلات على صعيد الفرد والأسرة والمجتمع.

ولعل أول الآثار الإيجابية لصفة التسامح أنها تساهم في بناء العلاقات الأسرية والاجتماعية وتعزز الروابط العائلية لما لها من آثار في تخفيف حدة النفس والضغينة والحقد والرغبة في الانتقام.

ورغم أن الحديث عن التسامح وأهميته في تقوية العلاقات الأسرية ونجاح الحياة الزوجية وخلق الاستقرار والأمن ليس جديد ويكاد يكون مكررا ومعروفا إلا أن الكثيرين مازالوا مصرين على تجاهل أهمية هذه الفضيلة الإنسانية والقيمة الأخلاقية من خلال تعمدهم تصيد الأخطاء وتتبع الزلات والبحث عن الهفوات والتصلب في الموقف والرأي.

ويبدو أن إعادة تكرار الحديث عن قيمة التسامح أمر مهم وملح لنشر هذه الثقافة وتعزيزها كونها تساهم في تقوية العلاقات الاجتماعية وإزالة الحقد والكراهية وتقوية مشاعر الرحمة والحنان والعطف.

ويمثل التسامح أحد أهم سبل تعزيز العلاقات الاجتماعية وبناء العلاقات الأسرية، فعندما تعتمد أي أسرة مبدأ التسامح في حياتها وطريقة تعاملها مع أفرادها فإنها تكون آمنة وهادئة وناجحة وخالية من المشاكل التي حتى إن وجدت فإنه بالإمكان حلها بأسلوب صحيح طالما كان هناك اعتراف بوجودها، وهو ما يؤدي إلى تعزيز الثقة بين أفراد الأسرة الواحدة بعكس من يلجأ الى التشدد ضد الأخطاء ويرفض العفو والتسامح فإنه يزيد من مشاعر الكراهية والحقد، وتصبح الحياة مليئة بالمشاكل وعدم الاستقرار.

وكما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. (التغابن:١٤).

د علاء محمد عبد الغني حسن شعبان
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية



التسامح بين أبناء الأسرة الغزنوية في بلاد الهند

العفو والتسامح من أهم سمات الدولة الإسلامية والذي وضع أساسه الرسول ﷺ، وقبل الحديث عن مدى هذا الخلق وتأثيره في الدولة الغزنوية لابد من تعريف موجز له

المعني اللغوي للتسامح

● سَمَح السماح والسماحة: الجود. سمح سماحة، وسموحة وسماحا: حاد، رجل سمح، وامرأة سمحة، وقوم سمحاء، ونساء سماح. يقال: سمح وأسمح إذا جاد وأعطى من كرم وسخاء. والمسامحة: المساهلة.

المعنى الاصطلاحي للتسامح

● التسامح: هو تعايش المختلفين بسلام إذا توافر بينهما حدّ أدنى من التكافؤ والمساواة، أو القبول بالآخر، فلا يوجد تسامح بين أناس مختلفين في الغرض بينهم. استطاع القائد البتكين[1] والذي كان نواة لتأسيس الدولة الغزنوية، حيث اعتمد في علاقاته مع مواليه على العفو والتسامح، حيث لم يفرق بين مواليه وإنما اتخذ معهم مبدأ التسامح، حيث أصبح سبكتكين[2] من أقرب المقربين له بالرغم من أنه كان من مواليه ومن الرقيق وبلغ منزلة كبيرة لديه فأصبح من كبار قواده فقد صار على هذا الخلق العظيم وجعله نمط حياته فربى أبناءه على هذا، فكان الاهتمام الأكبر بالنشء والذى وضعه سبكتكين نمطا أساسيا في تربية النشء في هذا الوقت المبكر والذ لم تظهر فيه أصول التربية،

حيث وقع هذا العبء بشكل مباشر على عاتق الآباء، والمربيين وأصبح مسئولية جسيمة تجاه صغارهم لبث هذه الروح فيهم، وهذا ما أكد عليه العلماء سلفا وخلفا، حيث ذكر نمير بن أوس (ت:١٢١هـ): «كانوا يقولون الصلاح من الله والأدب من الآباء»[٣]، لذا فإن خلق العفو والتسامح الذي تربى عليه محمود الغزنوي[٤] والذي كان يغزو في بلاد الهند فكان يأخذ من أهل الهند بتسامحه من يساعده في نشر الإسلام، فاستطاع قهر الكثير من الجيوش الهندية كما أنه حطم أكبر أصنام الهند وحصل على ثروات طائلة ساعدته في تقدم وازدهار الدولة الإسلامية(٥) وصار سلاطين الدولة الغزنوية على هذا النمط.

الهوامش

١- البتكين: كلمة مركبة من (الب) بمعنى البطل، و(تكين) بمعنى المسمى، والكلمة الأخير صحتها تكن، أو تكن، أو تبين لا تزال تروج كاسم علم بين التركمان، وتلحق لفظ تكين بكثير من الأسماء التركية مثل قوة تكين، نوشتكين، انيالتكين، اسبلتكين. خواندمير، محمد بن جاوندشاه المعروف بخواندمير، ت٩٠٣، روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية والملاحدة، السباعي محمد السباعي، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي الدار المصرية للكتاب، ص٩٥؛ فامبري، تاريخ بخارى، حاشيه، ص 117. ’azim The life an the Time of sol .tam Mohamad of Gozna P .24

كان البتكين مملوكا لأحمد بن إسماعيل الساماني، وكان يعمل في الجيش الساماني ومازال يرتقى في سلك الوظائف حق ولى منصب حاجب الحجاب للأمير عبد الملك بن نوح، (٣٤٣هـ -٣٥٠هـ/٩٥٤-٩٦١م)، ومن ثم ارتفع شانه، وازداد نفوذه في الدولة السامانية حتى أن الوزير كان يأتمر بأمره، ويلتزم بتنفيذ تعليماته، وتوجيهاته لم تصف الأمور للبتكين؛ إذ خشي الأمير عبد الملك بأسه، وعول على إبعاده من حاضرة دولته، فأسند إليه ولاته خراسان في عام ٣٤٩هـ/ ٩٦١م. كارل بروكلمان، تاريخ السقوب الإسلامية، ٢/ ١١٨؛ عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا، ص٣٧.

٢- كان سبكتكن ملكا ليمين رجل اشتراه من سوق النخاسة، وهو البتكين، وذلك في حدود عام ٣٤٨هـ/٩٥٩م، ولم يعرف مكان ولادته ولا منطقة ترعرعه وطفولته، ولا حتى الوقت الذي اعتقد فيه الإسلام، ولكن المؤرخين اختلفوا في نسب سبكتكين حيث نسبوه إلى مدينة غزنة أو غزنين، لكونها قصبة دولتهم، ومقرا لإدارة ملكتهم التي عرفت في التاريخ الإسلامي بالدولة الغزنوية أما الأسرة التي حكمت فيها، والتي أسسها سبكتكين فتنسب حسب رواية بعض المؤرخين إلى يزدجرد آخر أكاسرة الدولة الفارسية. أبو القاسم على بن محمد العماري، بند نامه سبكتكين، كتاب نصائح سبكتكين، ترجمة، وتحقيق، محمد ناظم، مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ١٩٣٣م، ص٦٠٥-، ٦٢٨، وسبكتكين هو ابن جوق بن قرا - بحكم بن قرا - أرسلان بن قرا- ملأت بن قرا - نعمان بن فيروزبام بن سنجان ابن يزدجرد الجوزجانى. القاضى منهاج الدين سراج طبقات ناصري تحقيق عبد الحى حبيب كابل ١٣٤٣ هـ ج١ ص٧٠ (Bosworth”the titulatuze P .15)

وهناك رواية أخرى تقول بأن أسرة سبكتكين ليست إلا أسرة عادية من الأسر التركية الثى كانت تعيش فيما وراء النهر، وليس من المؤكد معرفة قبيلة سبكتكين هي القارلوق الوثنية، وليست له أي علاقة بـ «بزدجرد الثالث»، ظل سبكتكين عبدا مملوكا لسيده البتكين يذهب معه أينما اتجه، ويرتحل برفقته إلى أي وجهة يسلكها، ويقوم على خدمته، والأشراف على أمنه، وتأمين متطلباته، ويلبى احتياجاته، وينفد أوامره، مثله مثل، أي واحد من مماليكه، وأتباعه الآخرين، ظل كذلك حتى توفى البتكين. سعد حذيفة الغامدي، الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند، وتاريخ الدول الإسلامية في المشرق حتى الغزو المغولي، ٢٩ هـ/ ٦٢٥م، ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م، مركز الدرامات والأعلام دار إشبليا، ص١٢٠.

٣- البخاري: الأدب المفرد ٩٢.

٤- ولد محمود الغزنوي في العاشر من المحرم ٣٦١هـ/ ٩٧١م أي أن عمره آنذاك حوالي الثلاثين سنة تقريبا، وقيل قبل ذلك بأربع سنوات. فريشنا، تاريخ المسلمين في الهند، دلهي ١٩٨١م، ١/ ٣٣.

٥- العتبي، التاريخ اليميني ١/ ٢٨١-٢٨٢.

القاهرة - الطيب حسين
دار الإعلام العربية



الحياة.. عفو وتسامح

للعفو والتسامح دور كبير في ديمومة الحياة الأسرية، وقدرة أطرافها على الحياة بهدوء وفي صحة نفسية وجسدية، لذا تبرز أهمية هاتين القيمتين باعتبارهما عاملين من عوامل رئيسة تعمل على تمتين الحياة الزوجية والأسرية في مناخ يسوده التفاهم والود والمحبة.. إلا أن البعض يرون في التسامح والعفو والتغاضي ضعفا يستنكفون عنه، ما يجعل حياتهم عرضة للتعاسة الدائمة أو الانهيار.. في التحقيق التالي نتعرف إلى أهمية العفو والتسامح باعتبارهما مرآة الحياة المستقرة.

نبدأ مع الدكتور أسامة أمين سيد بدوي، مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، عضو مركز الأزهر العالمي للرصد والفتوى الإلكترونية، والذي يؤكد أنه إذا كانت ثقافة العفو والتسامح كقيمتين تقوم عليهما أسس التعايش الآمن بين المجتمعات في الوقت المعاصر، فما بالنا لو كانتا في نطاق الأسرة الواحدة؟!

أساس الأمن الأسري

ويتابع د. أسامة: إذا نظرنا بعين فاحصة ورؤية ناقدة إلى كثير من

الأزمات الأسرية في وقتنا المعاصر، سنجد أن قليلا من العفو والتسامح كان كافيا جدا في وأد هذه الأزمات قبل افتعالها.. ولو سألنا أنفسنا: لماذا تدوم العلاقات السامية الآمنة القوية الناجحة؟ سنجد الجواب: لأنها استمدت قوتها من قيمة العفو والتسامح الذي يدعو للتراحم والتناصح الإيجابي باللين والرفق، ولأن أصحابها أدركوا أن العفو والتسامح ليسا ضعفا حتى يجعل كل طرف يعاند أو يجادل بغير حق، ظنا أنه لو سكت أو تنازل عن حقه بالعفو والتسامح لثبت اتهام الطرف الآخر له بأنه المخطئ!، ولأن أصحابها أدركوا أن الحياة الزوجية والأسرية ليست قاعة محاكمة، فالأخطاء واردة، والمشكلات متوقعة.

أضاف: من المهم أن نعي كيف نتعامل مع المشكلات ونعالجها بحكمة وعقلانية.

ومن يتأمل هدايات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجدها تحفز على هذا عندما تأوي الخائفين، وترشد السائرين إلى حقائق الإيمان الدامغة التي ترفع لواء التسامح واللين والعفو والإحسان في العلاقات الزوجية خاصة، واعتبارها ضمانا أكيدا لحياة هادئة هنيئة مستقرة، يقول الله تعالى في سياق الحديث عن مشكلة الطلاق: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ (البقرة:٢٣٧). كما يقدمه في صورة العفو والصفح الذي

د. أسامة: لا أحد معصوم من الخطأ فعلينا تفعيل قيم الاعتذار والعفو والتغاضي

يليق بأصحاب المبادئ والقامات، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فصلت ٣٤:٣٥).

وتابع عضو مركز الأزهر العالمي للرصد والفتوى الإلكترونية، أنه في السنة المطهرة تتجلى مهارتي العفو والتسامح في أخلاقه ﷺ، وفي أقواله، وفي أفعاله، وفي دعوة أمته وحثهم عليهما، كما في صحيح مسلم: «وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا»، أي أن العفو كرامة والتسامح عزة! وهذه شهادة من لازم النبي ﷺ عشر سنين، فاطلع على جوانب من حياته في بيته ربما لا تظهر لأحد، كأمنا عائشة رضي الله عنها التي أخبرت أنه صلى الله عليه لم يضرب مرة

د. نادية جمال: لا يستقيم التنازل والتسامح إلا من الطرفين وليس طرف دون آخر

خادما أو امرأة، ويشهد بذلك أنس ابن مالك رضي الله عنه كما في صحيح مسلم: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أف قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟. ومع أن الخادم لا يخلو من التقصير أو التفريط والنسيان، إلا أنه ﷺ لم يمل من العفو والتسامح والغفران!.

وصدق القائل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

وأكمل د. أسامة: ولعل أبرز ما ننصح به مما يقوي ويدعم خيار العفو والتسامح لدى الزوجين: أن يتذكرا أننا جميعا بشر نصيب ونخطئ فلا أحد معصوم من الخطأ، ولا أحد كامل في أخلاقه أو أوصافه، وعلى المخطئ أن يبادر بشجاعة الاعتذار. وأن لا يغفلا عن حقيقة الحياة وأنها متغيرة بين أفراح وأتراح، لا تدوم وتيرتها على حال، وأن ينظرا إلى المواقف الإيجابية والإنسانية التي جمعتهما في رحلة الحياة، ويتأملا في نعمة الله تعالى عليهما أن جمعها في حلال بعد فرقة وغربة، ونسأل الله أن يملأ بيوتنا رحمة وعفوا وتسامحا، وأن يعصمنا من الخطأ والزلل، وصل اللهم وزد وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عوامل مهمة

أما الدكتورة نادية جمال استشارية العلاقات الأسرية والإرشاد النفسي، فتقول: إن

الحب والمودة والرحمة والتسامح صفات مهمة جدا في أي علاقة، ونحن نتحدث الآن عن أكبر علاقة، وهي العلاقة داخل نطاق الأسرة، فالله تعالى أمرنا بالمودة والرحمة والتسامح، أمرنا بكل القيم الجميلة، التي لو أخذنا بها فلن نجد هذا الزحام في محاكم الأسرة إثر الخلافات الكثيرة، ولن نرى قضايا الطلاق التي ربما هي الأكثر في المجتمعات العربية، كما أن إغفال هذه القيم يقابله في الناحية الأخرى قيم سلبية عديدة، مثل الأنانية التي تفشت، بدأنا نبحث عن حقوقنا فقط وننسى واجباتنا، العلاقة بين الزوجين هي أقوى علاقة، لذا يجب أن نتعلم كيف أتغاضى وأتنازل وأفوت بعض المواقف كي تستمر الحياة، لكن هنا نقطة مهمة تجدر الإشارة إليها، وهو أنه إذا كان طرفا يتنازل في كل الأوقات، سيأتي عليه وقت ويتعب، وسيغادر، التنازل والتسامح لابد أن يكون من الطرفين ويكون بالتوازي.

أضافت: ومن أهم ما ينجح العلاقة الأسرية مراعاة عدد من الأمور، مثل الضغوط التي يواجهها كل طرف، سواء ضغوط اجتماعية أو اقتصادية أو مادية إلى آخر هذا، فعند مراعاة هذه الأمور سأعرف كيفية التعامل معه، متى أطلب منه شيئا، سأعرف الوقت المناسب كي أحكي له ما يشغلني، والوقت المناسب كي أتحدث معه في أمر معين وهكذا.

وتابعت استشارية العلاقات

د. جمال محمد: تراكم المشاعر السلبية يسمم الحياة ويجعلها مستحيلة

الأسرية والإرشاد النفسي، بشأن الحديث عن التراكمات بين الأزواج، محذرة من أن هذه التراكمات قد تنتج عنها ردود فعل عنيفة وكبيرة، بسبب عدم معالجتها أولا بأول، والسماح لها بأنها تزيد دون حل أو علاج أو فضفضة من أول الأمر، فيجب أن لا يحمل أحد الزوجين في نفسه أمرا، ويتركه دون فضفضة مع الطرف الآخر، وعدم النقاش حياله، أو حله، فحال بناء حاجز بين الزوجين بسبب هذه التراكمات، سينتج عنه بعد تتراكم لبنة فوق لبنة حتى تصبح جدارا فاصلا، ويسفر عن حالة من الكره، وعندها سينتهي كل شيء، لأن الأمر إذا وصل لهذه النقطة فإنه لن تشفع له كل الأسباب أو الضغوط للعلاج، سواء ضغوط عائلية أو بسبب الأبناء وما إلى ذلك، فالذي يغضب من شيء يجب عليه سرعة الفضفضة

د. خالد حسب الله: التسامح والعفو يدلان على قوة الشخص.. لا ضعفه

وحلها، والحديث بشأنها مع بعضنا البعض، لأن التراكمات مدمرة لأي علاقة أسرية.

وأكدت استشارية العلاقات الأسرية والإرشاد النفسي، أنه يجب على كل طرف أن يتعلم أن يرحم الشخص الذي أمامه، يفوت بعض الأمور، يتغاضى عن أشياء، يعرف مفتاح شخصيته، ما الذي يغضبه، ما الذي يحبه، ما الوقت المناسب لنقاش أمر معه، ومتى أستطيع أن أطلب منه شيئا وهكذا، ولا شك أن بناء العلاقة الزوجية وفق هذه الأسس، سيكتب لها النجاح والسعادة.

مواجهة الأزمات والضغوط

بدوره قال د. جمال محمد سعيد، رئيس قسم العقيدة والفلسفة بأصول الدين جامعة الأزهر: إن من طبيعة الحياة وجود الأزمات والضغوط بها، ما يستلزم على الأزواج بذل كل جهد فيما بينهم ليتغلبوا عليها، فتستمر حياتهم في نجاح على مدى عمر هذا الزواج، فوجود المشكلات أو الأخطاء أمر طبيعي وملازم لوجود الإنسان في الحياة، إلا أن توفر عوامل مثل التفاهم والتراحم والمودة والتسامح بينهم يجعل هذه المشكلات عابرة، ويجعل من التماسك والاستقرار عنوانا لهذه العلاقة، يقول الله عز وجل ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، كما يقول جل شأنه: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا

﴿ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤).

أضاف أنه مما لا شك فيه أن التسامح والعفو، يأتي على رأس هذه الأخلاق التي على الزوجين التحلي بها، فمن من الزوجين معصوم عن الخطأ؟ أو يعيش حياته بلا ذلل؟ هذا لا وجود له، فالمهم إذن طبيعة التعامل بعد الخطأ، وهناك أمر أراه غير صحيح، وهو أن البعض يرى في الاعتذار أو التسامح أو العفو أو التغاضي عن المشكلة ضعف وقلة رجولة لو كان في حق الرجل، وهذا مما لا شك فيه غير صحيح، بل القادر على العفو والاعتذار هو القوي يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الشورى:٤٠).

وذكر رئيس قسم العقيدة والفلسفة بأصول الدين جامعة الأزهر، أنه على النقيض، فإن عدم العفو أو التسامح بين الأزواج، سيترتب عليه آثار سلبية قد تصل إلى أنها تدمر العلاقة برمتها، لأن تراكم المشاعر السلبية يفجر الخلافات، ويسمم الحياة، وتصيد كل من الزوجين الخطأ للآخر، يجعل الحياة بينهما مستحيلة.

تحرر من أخطائك

وفي الإطار ذاته، قالت الدكتورة دعاء إبراهيم السيد، استشارية العلوم الإنسانية: إنه يجب عندما نتناقش أن نبتعد عن الجزء السيء، ونتناقش بصورة إيجابية، وألا نركز على الأخطاء، وأن نعمل بمقولة تقبل الآخرين كما هم

د. دعاء إبراهيم: تعودوا على المصارحة ومواجهة الخلافات بتعقل ومرونة

وليس كما يجب أن يكونوا.

وتابعت: لذلك يجب على الإنسان أن يعرف متى يحتاج إلى مصالحه، لذلك عندما يشعر بالغضب دائما، ويصب غضبه على الآخرين ويلعب دور الضحية عليه أن يحرر نفسه من أخطاء الماضي، ويصالح ذاته، ويشير إلى كل مخاوفه بكل شفافية، وأن يحاول مجددا، وأن يعترف بالأخطاء، وبالنقص وأن يقوم بتعويض النقص، وأن يشعر بالامتنان نحو أخطاء الماضي، ويحلها ولا يعتبرها نهاية المطاف.

وأشارت إلى أن تبني هذه الأسس مجد في العلاقات بشكل عام، والتي منها الزوجية تحديدا، كونها تحتاج إلى المرونة والتغاضي والقفز فوق المشكلات كثيرا، والتعود على المصارحة والمكاشفة أيضا والفضفضة ومواجهة الخلافات بتعقل ومرونة.

صلاح للمجتمع

وأخيرا، يؤكد الدكتور خالد حسب الله أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الشريف، أن صلاح الأسرة هدف رئيس ترمي إليه الشريعة الإسلامية، كونها نواة المجتمع والركيزة الأولى في بنيانه، ما يعني أن صلاحها صلاح للمجتمع ككل.. وللوصول إلى هذه النتيجة، لا شك أن كل أسرة بحاجة إلى تبني عدد من القيم والمبادئ، والتي يأتي على رأسها مبدأ التسامح والعفو، والصفح عن المخطئ، وترك الأنانية التي تتسم بها بعض العلاقات، فإن كره أحد الزوجين شيئا أحب آخر، وإن أساءه أمر ربما استحسن غيره، فهكذا تمضي الحياة بالتسامح لأن ما يكون عكس ذلك ستكون نتيجته التفكك الأسري وتشتت الأسر.

وذكر أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الشريف، أن هذه المفاهيم هي التي حض الإسلام أتباعه على تبينها والتعامل وفقها، مشيرا إلى أن خلق التسامح والعفو يدلان على قوة الشخص لا ضعفه، حيث يقول رسول الله - ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)، كما حث نبينا ﷺ على العفو حتى في اشتداد الخلاف (يا عقبة! صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك).

وشدد الدكتور خالد حسب الله على أن العنف والشدة في علاقات الأزواج أمر مرفوض تماما، كما أنهما يخالفان تعاليم وتشريعات الإسلام الرامية إلى أن يسود الود والمحبة بين الزوجين، بل إن قوة المجتمع في الأسر السعيدة القوية القادرة على مواجهة العقبات دون أن يتأثر البناء الأسري أو يحدث شروخ في بنيانها.



تحقيق - نادر أبو الفتوح
صحافي مصري

علماء دين وخبراء علم اجتماع: تقوية العلاقات الأسرية ضمانة لبناء مجتمع مترابط

العفو أساس العلاقات الأسرية

حرصت الشريعة الإسلامية على بناء العلاقات الأسرية بشكل يضمن تحقيق المودة والرحمة، وذلك سواء داخل الأسرة الواحدة أو في إطار العلاقات بين الأسر والعائلات، ولكون الأسرة هي نواة المجتمع المسلم فإن صلاح الأسرة ضمانة لبناء مجتمع متماسك وقوي، وكل ذلك يتحقق من خلال أن يكون العفو والتسامح أساس التعامل بين الجميع، والمؤكد أن تطبيق ذلك في المعاملات يضمن الاستقرار والقوة والمتانة للعلاقات الأسرية.

علماء شريعة إسلامية وخبراء علم اجتماع أكدوا في حديثهم مع «الوعي الإسلامي» على ضرورة ترسيخ التسامح والعفو لدى الأبناء والأجيال الجديدة، باعتبار أن ذلك أساس لبناء العلاقات الأسرية السوية، وطالبوا بضرورة تكثيف برامج التوعية الدينية والإعلامية، وكذلك توعية المقبلين على الزواج بأهمية أن تسود قيم التسامح داخل الأسرة، كما أكدوا أن نقطة الانطلاق لبناء علاقات أسرية قوية تبدأ من الأسرة، لأن كل طفل في الأسرة سوف تكون له أسرة مستقلة في المستقبل، كما حذروا من مخاطر غياب التسامح والعفو في العلاقات الأسرية.

ترسيخ التسامح والعفو لدى الأبناء

في البداية، يقول الدكتور نبيل السمالوطي أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر بالقاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إنه ينبغي أن تقوم الأسرة بتوعية الأبناء وحثهم على تقوية العلاقات الأسرية، وبيان مخاطر ضعف هذه العلاقات عليهم وعلى أسرهم في المستقبل، وكذلك بيان أن قوة العلاقات الأسرية تأتي من التسامح والعفو والصفح والإيثار والمودة، بجانب البعد عن الطمع والأنانية باعتبار أن ذلك يضعف العلاقات الأسرية، مشيرا إلي ضرورة ترسيخ هذه المعاني لدى الأبناء منذ مرحلة الطفولة، لأن كل طفل في الأسرة سوف تكون لديه أسرة في المستقبل، وعندما تنتقل هذه المعاني والقيم النبيلة من جيل إلي جيل، فإن ذلك ضمانة لتكون العلاقات الأسرية قوية للغاية.

ويضيف الدكتور السمالوطي أن قيم التسامح والعفو يجب أن تظهر أولا في تعامل الزوجين معا، وفي تعامل الزوج

مع أسرة الزوجة وتعامل الزوجة مع أسرة الزوج، وتنطلق هذه القيم وتسود بين جميع أفراد الأسرة الواحدة، وكذلك بين الأسر والعائلات والأهل والأقارب، لأن غياب التسامح والصفح يهدد كيان العلاقات الأسرية، وكثير من الأزمات التي تحدث في إطار الأسر والعائلة تكون نتيجة الأنانية والطمع وغياب التسامح، ولذلك علينا أن نعلي من قيم العفو والصفح مع الناس جميعا، وتكون البداية من التحلي بهذه القيم والأخلاق في نطاق الأسرة والعائلة والأهل والأقارب، وكل ذلك في النهاية ينعكس بالإيجاب على الجميع داخل المجتمع الواحد.

ضرورة لبناء مجتمع مترابط

من جانبه، يقول الدكتور محمد نجيب عوضين، أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إن العفو والتسامح منهج إسلامي، والشريعة الإسلامية تضمنت الكثير من النصوص التي تؤكد مكانة ودور الأسرة في المجتمع، كما حثت الشريعة على أهمية العفو والتسامح والصفح في التعامل مع الناس، وينبغي أن نضع أمامنا قول الله عز وجل في القرآن الكريم ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ (الحجر:٨٥)، وبالتالي فهذا أوجب في إطار العلاقات الأسرية، لأن الأسرة الواحدة كالجسد الواحد والأسرة هي نواة المجتمع، وعندما تسود قيم التسامح داخل الأسرة وبين الأسر سواء في محيط العائلة والأهل والأقارب بل والمجتمع، فإن ذلك ضمانة ليكون لدينا مجتمع مترابط تسود فيه القيم والأخلاق.

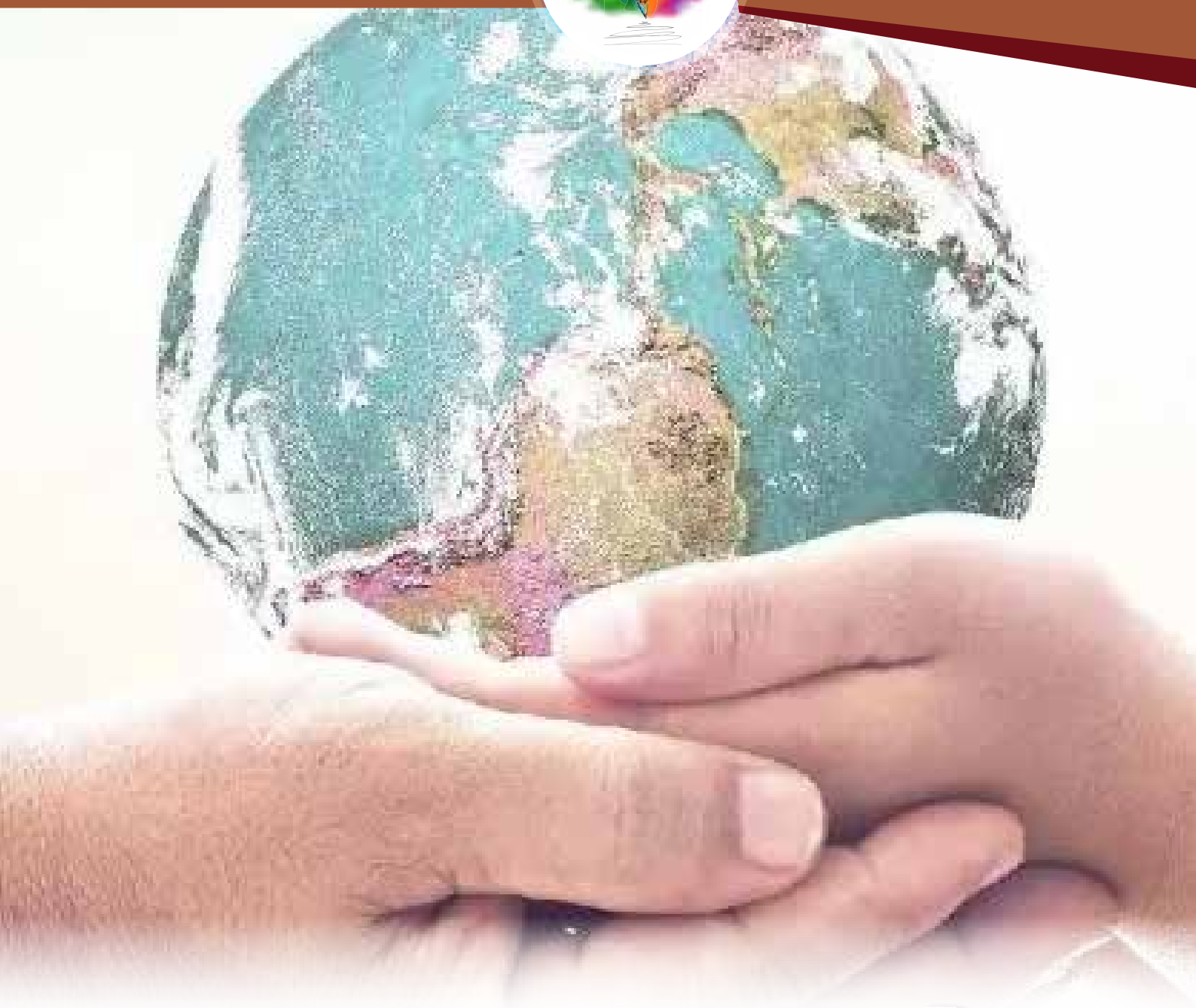
التوعية الدينية والإعلامية

ويضيف الدكتور عوضين أن هناك دورا كبيرا يقع على عاتق وسائل الإعلام وبشكل أساسي فإن الإعلام الديني ينبغي أن يؤدي دوره في التوعية بهذه القضية، من خلال استضافة الخبراء المتخصصين، بجانب بيان التأثير السلبي لغياب التسامح والعفو على العلاقات الأسرية، وضرورة أن تكون هناك ندوات مستمرة في المدارس والجامعات والأندية الاجتماعية، بهدف ترسيخ قيم التسامح والعفو والصفح داخل الأسرة والمجتمع، وكذلك عقد دورات لتوعية المقبلين على الزواج بأهمية تقوية العلاقات الأسرية، انطلاقا من قول الله عز وجل في القرآن الكريم ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١)، والهدف من التوعية بيان أهمية أن تكون هناك علاقات طيبة وتسامح بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة، وبناء علاقات أسرية قوية قائمة على أسس راسخة، هدفها الأول هو تحقيق السعادة والاستقرار والثقة في النفس، لأن قوة العلاقات الأسرية تؤدي لمزيد من الاستقرار، كما تساعد على تجاوز الكثير من الأزمات.

القدوة الحسنة

من جانبه، يقول الدكتور أحمد كريمة أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر بالقاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إن قوة العلاقات الأسرية تأتي من خلال التعامل بالقيم والأخلاق النبيلة، ويأتي في مقدمة هذه الأخلاق الإيثار والصفح والمودة والرحمة، والبعد عن الصفات السلبية التي تؤدي للقطيعة بين أفراد الأسرة الواحدة أو بين الأسر والعائلات، ولابد من التطبيق العملي على أرض الواقع لهذه الأخلاق، حتى نقدم النموذج والقدوة الحسنة للأبناء والأجيال الجديدة، لأن الأزمات في العلاقات الأسرية تكون نتيجة الطمع والجشع والأنانية، لكن عندما يسود الحب والتفاهم والتعاون في العلاقات الأسرية تزول أسباب الخلاف، وعندما ننصح الشباب والأطفال بالحرص على قوة العلاقات الأسرية، ينبغي أن يتجسد ذلك في تعاملات الأهل بعضهم مع بعض، وكذلك تعاملات الأب والأم أمام الأبناء، وأن تكون هناك مبادرة بالعفو بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الأهل والأقارب، بهدف أن يتعلم الأبناء قيمة الصفح والعفو وإغلاق صفحة الخلافات وتجاوز الأزمات التي قد تحدث، لأن استمرار وتفاقم الخلافات يأتي نتيجة العناد وغياب التسامح، وكل ذلك يضعف العلاقات الأسرية، وربما تنتقل هذه الخلافات من جيل إلي جيل، فالأسرة الواحدة بعد سنوات تتحول إلى عدة أسر عندما يتزوج الأبناء، ولذلك ينبغي أن نحرص على تقديم القدوة الحسنة للأبناء والأجيال الجديدة في العفو والتسامح.

حسن عبدالعال محمود
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية



قيمة التسامح

يعد التسامح من أعظم القيم والأخلاق الإسلامية السامية، ولا شك أن المجتمع الذى نعيش فيه الآن يفرض علينا أن نتمسك بهذا الخلق الرفيع أضف إلى ذلك أن التسامح يحتاج منا إلى فن في الأداء والتعامل لأنه صفة جميلة، وخلة حميدة، وهو من أفضل الصفات، وأجمل السمات، رائد الأخلاق، وسيد الآداب؛ يعني الصفح عمن أخطأ عليك أو تجاوز حده معك، وهو – كذلك – يعني العفو عند المقدرة والتجاوز عن أخطاء الآخرين واحتمالها ووضع الأعذار لهم، والنظر إلى مزاياهم وحسناتهم بدلا من التركيز على عيوبهم وأخطائهم.

والتسامح قاعدة أخلاقية كريمة، تطهر المرء من حظوظ نفسه ورغبته الجامحة في الانتقام الشخصي، وتجعله قادرا على

قهر دوافع الثأر والانتصار للنفس.

والتسامح له مرادفات عدة منها:

أولا: العفو والصفح قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (المائدة:١٣).

﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (التغابن:١٤).

﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الشورى:٤٠).

ونلاحظ مدى عظيم الامتنان من الله عز وجل وعطائه جزيل الثواب لمن عفا وصفح فصاحب العفو والصفح من المحسنين وهو من أهل الرحمة والمغفرة وكذلك يقع أجره على الله تعالى.

ثانيا: الحلم والإغضاء قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ (آل عمران:١٣٣- ١٣٤).

فأحلم الناس من يكظم غيظه ويتغاضى عن أخطاء الآخرين.. وهذا ما نلحظه في تصرف رسول الله ﷺ فيما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء. (رواه البخاري، برقم ٣١٤٩).

وإن مجرد تصور الموقف في هذه الحادثة يبين كم كان تسامحه وحلمه ﷺ عظيمين.

ثالثا: الرفق ولين الجانب فعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: قال الحسين رضي الله عنه: سألت أبي عن سيرة النبي ﷺ في جلسائه، فقال: «كان رسول الله ﷺ، دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش، ولا عياب ولا مشاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه راجيه ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا، ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إن كان أصحابه، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز، فيقطعه بنهي أو قيام» (رواه الترمذي في الشمائل).

ولعلنا نلحظ فيما سبق من صفات بينها سيدنا علي رضي الله عنه قمة التسامح فى القول والفعل والعمل.

وأختم تلك المقالة بموقف يعد من أعظم صور التسامح.. التسامح مع من أساء ومن أبرز مواقف الرجال في ذلك موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين كان ينفق على ابن عمه مسطح بن أثاثة رضي الله عنه وكان من فقراء الصحابة، فلما أثار المنافقون على عائشة - رضي الله عنها - ما أثاروه من قضية الإفك، واتهموها بما هي منه بريئة؛ كان مسطح ممن تورط في حديث الإفك، فحلف أبو بكر رضي الله عنه ألا ينفق عليه بعد ذلك، فلما أمر الله تعالى بالعفو والصفح بادر أبو بكر رضي الله عنه وكفر عن يمينه، وعفا وصفح، وعاد ينفق على مسطح، فرضي الله عنه ما أسمحه وأنبله! فقد كان ممن قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ (الشورى:٣٧).

هذا، وصل الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

أرسى الإسلام منظومة أخلاقية تستند إلى أساس عقدي، مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد أمرنا الإسلام بكل خلق حسن، ونهانا عن كل خلق سيئ، ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (أحمد)، فالعقيدة هي الأساس الذي يضبط ويوجه أخلاق المسلم في تعاملاته مع الآخرين، ففي حسن الخلق مجاهدة للنفس وكبت لشرورها وكف لآذاها، وهو عبادة يثاب عليها صاحبها



العفو و استقرار العلاقات الاجتماعية

جعل الله سبحانه وتعالى العفو والتسامح من أسباب دخول الجنة والقرب من النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾(آل عمران: ١٣٣-١٣٤)، ففي الحديث: عن أبي ثعلبة الخشني، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا «الثرثارون والمتشدقون»، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون». رواه الترمذي.

تقوية العلاقات بين أفراد المجتمع

للأخلاق الحسنة دور مهم في تقوية الصلات والروابط بين الناس وتنمية مشاعر التواد والتراحم فيما بينهم، وجلب المحبة،

وتصفية النفوس ونقاء القلوب مما قد يشوبها من مشاعر الحسد والكراهية والبغضاء، مما يكون له أكبر الأثر في تقوية علاقات الرحم والقربى وتماسك المجتمع بصفة عامة، ففي الحديث: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، ثم شبك بين أصابعه»(البخاري)، وهذا على عكس المجتمعات الغربية والتي تبدو في ظاهرها قوية إلا أنها مفككة ضعيفة هشة بسبب سيادة القيم المادية والنفعية وتوجيهها للعلاقات بين الناس في هذه المجتمعات.

منزلة خلق العفو

الأخلاق الحسنة مراتب ودرجات تتمايز فيما بينها في الفضل والثواب، والعفو هو أشرفها وأعلاها مرتبة وأسماها منزلة على الإطلاق، ولذلك أمر به الإسلام وحض على التمسك به لما له من أثر في إصلاح وتقوية العلاقات بين المسلمين أفرادا وأسرا وجماعات ومجتمعات، يقول بن القيم رحمه الله -: إن العفو إسقاط حقك جودا وكرما وإحسانا، مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق. بخلاف الذل، فإن صاحبه يترك الانتقام عجزا وخوفا ومهانة نفس، فهذا مذموم غير محمود، ولعل المنتقم بالحق أحسن حالا منه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ (الشورى:٣٩)، فمدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم وتقاضيهم منها ذلك، حتى إذا قدروا على من بغى عليهم، وتمكنوا من استيفاء ما لهم عليه، ندبهم إلى الخلق الشريف من العفو والصفح، فقال: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الشورى:٤٠)[1].

هذا ويعد «العفو» لونا من ألوان التعاون على البر والتقوى التي حض عليها الإسلام، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(المائدة:٢)، نقل القرطبي في تفسيره عن الماوردي قوله: ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له، لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته، وفي العفو جمع ما بين رضا الله سبحانه وتعالى ورضا الناس قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٣٧).

وفي أكثر من ثلاثة وثلاثين آية من آيات القرآن الكريم وردت كلمة العفو ومشتقاتها منها قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:١٠٩).

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة:١٣).

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف:١٩٩).

وفي السنة المطهرة، جاءت أحاديث عدة منها ترغب في العفو منها:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا»(مسلم).

وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما من رجل يصاب بشيء في جسده فيتصدق به إلا رفعه الله به درجة وحط به عنه خطيئة»(ابن ماجه والترمذي).

العفو واستقرار العلاقات الأسرية:

الأصل في الحياة أسرية أنها رابطة شرعية قائمة على الود والرحمة والمحبة بين أفرادها ولا سيما بين الزوجين وهما اللبنة الأولى في بناء الأسرة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١)، وعلى أهمية الأسرة في المجتمع الإسلامي فإنها أكثر تأثرا بالمواقف والمشكلات التي لا شك أنها تحدث حتى وإن كانت بسيطة صغيرة قد يتم التجاوز عنها خارج الأسرة، إلا أنها وإن حدثت في محيط العلاقات الأسرية فإنها قد تتسع وتكبر وتتعقد بفعل حساسية العلاقات الأسرية، ومن هنا كان خلق العفو هو العلاج لما يقع من مشكلات

أسرية فالعفو يقطع كل قول وينهى كل حديث، ويقطع الطريق على أصحاب النفوس الضعيفة الذين يثيرون العدوات بين أفراد الأسرة ومن ثم تهدأ النفوس وتصفو وتأتلف القلوب، وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة نجد نماذج للعديد المشكلات والمواقف الكلية التي تتعرض لها الأسر المسلمة ويكون العفو هو العلاج لها مثل:

(أ) مشكلات المهر وتجهيزات الزواج:

دائما ما يكون المهر سببا للخلاف بين أهل الزوجيين وبالرغم من التوافق بينهم في كل شيء إلا أنه عند الحديث عن المهر وتكاليف الزواج عامة قد تتغير النفوس ويكون الخلاف على المهر سببا في نهاية الزواج قبل أن يبدأ، هذه حالة، وفي حالة أخرى قد يكون الرجل حريصا على إتمام الزواج ممن خطبها ويتحامل على نفسه في تلبية كل مطالب أهل الزوجة حتى في أبسط الأشياء، وهذا الموقف له آثاره السيئة بعد الزواج، ولا سيما إن أثقلته تكاليف الزواج بديون وأقساط يلتزم بسدادها لسنوات بعد زواجه، فهذه المواقف يكنها الزوج لزوجته في نفسه عداوة وكرها وبسبب ذلك قد تنتهي الحياة الزوجية بينهما بالطلاق في سنوات الزواج الأولى، وما أكثر هذه الحالات في عالمنا العربي، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه «وإن الرجل ليغلي بصدقة امرأته، حتى يكون لها عداوة في نفسه»(النسائي).

والعفو بين أهل الزوجين في تكاليف الزواج والتيسير فيما بينهم وعدم التكلف فيه الخير والبركة وضمان لاستمرار الحياة الزوجية في جو من الود والمحبة والرحمة ففي الحديث: عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «أعظم النساء بركة أيسرهن مئونة»(أحمد) .

(ب) مشكلة الطلاق قبل الدخول بالزوجة:

قد يحدث الطلاق قبل الدخول بالزوجة وللعفو هنا أيضا دور في التأليف بين القلوب وترك مساحة للعودة مرة أخرى ويكون العفو هو السبب في ذلك، فللمرأة الحق في نصف المهر ولها أن تعفوا أو يعفوا وليها وللزوج أن يعفوا فلا يأخذ من المرأة شيئا فالخطاب في الآية بالعفو موجه للرجل والمرأة، قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة:٢٣٧).

(ج) مشكلات ما بعد الطلاق:

حال وقوع الطلاق بين الزوجين فإن الإسلام رتب للزوجة مجموعة من الحقوق يؤديها الزوج لزوجته بإحسان مشتملا بالعفو حتى لا تلجأ مضطرة للتنازل عن حقوقها قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ (الطلاق:٦).

استمرار العلاقات الأسرية

حري بنا كمسلمين أن نتخلق بخلق العفو داخل أسرنا وأن يكون هو موجها لخلافاتنا ومشاكلنا الأسرية، ففي هذا حفاظ على العلاقات الأسرية وتقوية لها حال كونها قائمة بترفعنا عن الصغائر والهفوات وتغافلنا عنها، حتى تستمر مشاعر الود والمحبة، كما أن العفو من أسباب استمرار العلاقات الأسرية حال وقوع الطلاق، فالطلاق ليس نهاية المطاف في علاقاتنا الأسرية فبالعفو تستمر العلاقات باحترام بين الطرفين لتأدية الحقوق ورعاية الأبناء بعد الطلاق وتوفير البيئة الصالحة لتربيتهم تربية سليمة مفعمة بمشاعر الحب والبر من جانب الأبناء للأب والأم، فلا يستميل أحدهما الأبناء لجانبه مشوها لصورة الطرف الآخر ومشجعا له على هجره وعدم بره، فما زالت ساحات المحاكم تشهد عشرات الآلاف من قضايا الأحوال الشخصية فيما يخص نفقة الزوجة والأبناء وحق الرؤية للأبناء والحق في الولاية،... والعفو هو الحل لكل هذه المشكلات وهو رسالة ود ومحبة قد تثمر عن عودة الحياة الزوجية بعد حين ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟

ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة:٢٣٧).

العفو عن إساءة ذوي الرحم

تنتشر مشاعر الحقد والحسد والغيرة فيما بين الإخوة أبناء الأب الواحد والأقارب أبناء الرحم الواحد داخل الكثير من عائلاتنا وأسرنا، بسبب الجهل بالحقوق الشرعية لذوي القربى، وحب الدنيا والسعي إليها بكل السبل حلالا كانت أم حراما، ولكن الواجب ألا نقابل الإساءة بإساءة والضرر بالضرر، بل نعفوا رغم ما ألحقوه بنا من أذى وضرر، ففي الحديث: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة، تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»(البيهقي).

والعفو صفة من صفات النبي ﷺ، عن أبي إسحق قال: سمعت أبا عبدالله الجدلي يقول: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح» (الترمذي).

ولنا الأسوة الحسنة في النبي ﷺ في عفوه عمن أساء إليه، فعلى الرغم مما لاقاه من قومه من حسد على بعثته دون واحدا منهم ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف:٣١)، واتهموه بالكهانة والسحر والجنون، وحاصروه في شعب أبي طالب، وقتلوا أصحابه وعذبوهم وعندما تمكن منهم يوم فتح مكة عفا عنهم وقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، فكان هذا العفو سببا لتأليف القلوب وحقن الدماء والأهم فتح القلوب للإسلام، فدخل كثير من المشركين في دين الله أفواجا.

ومهما بلغت الإساءة من ذوي القربى فلا بد من العفو عنهم بل والإحسان إليهم، وموقف حادثة الأفك على شدته وقسوته إلا أنه موقف فيه تربية للنفس وحملها على أنبل الأخلاق وأسماها والبعد عن الانتقام، فالصديق أبو بكر رضي الله عنه بعد أن مرت المحنة وبرأ الله سبحانه وتعالى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما رماها به المنافقون، وكان ممن تكلم وخاض معهم، مسطح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا معدما ينفق عليه أبو بكر، فأقسم ألا ينفق عليه، كما جاء عند البخاري: «والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢)، قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبدا».

المواقف الحياتية العابرة

في مواقف الحياة العابرة، في أعمالنا، في شوارعنا مع جيراننا، أثناء قيادة السيارات، في الأسواق والأماكن العامة، نتعامل مع نوعيات وشخصيات عديدة من البشر قد نتعرض لبعض الإساءة منهم وهذه المواقف العابرة نقابلها بالعفو قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾(الفرقان:٦٣)، وفي الحديث: عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور ما شاء»(الترمذي). فلك أن تتخيل حجم الضرر الذي يلحق بالمجتمع لو لم يكن هناك عفو عن هذه المواقف فقد تتوقف شوارعنا، أعمالنا، مصالحنا....

إن في خلق العفو تهذيب للنفوس وتأليف للقلوب وتهوين وتسرية على نفوس المبتلين وقوة وصبرا على تحمل ومواجهة مشكلات الحياة وضغوطاتها، وحفاظا على علاقات الرحم والقربى وصيانة لحياة الأسر من التصدع والانهيار، وإشاعة للأمن والأمان في مجتمعاتنا، ودعما لجهود البناء والتنمية مما يعود بالخير والنفع على الجميع ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(النور:٢٢).

الهوامش

١- ابن قيم الجوزية: الروح، منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة، (ص ٦٧٨).



أحمد المنزلاوي
ماجستير الأدب والنقد
عضو اتحاد كتاب مصر



التسامح بين الزوجين نماء واستمرار

لا تكاد تخلو الحياة الزوجية من مشكلات وخلافات، سيقع البعض في أخطاء ويخفق في واجبات، كما الشأن في الحياة كلها، فنحن بشر، والبشر خطاؤون، ولن تستقيم الحياة إلا بشيء من العفو والتسامح والتجاوز عن الخطأ.

أسوأ ما ينغص الحياة الزوجية، أن تتحول ذاكرة الزوج (ذكرا كان أو أنثى) إلى سجل يحتفظ بالأخطاء ويضخمها، ذاكرة مقلقة، مغضبة، تأزم أي علاقة وتفضي بها إلى الفراق.

إن أغلب الاستشارات المتعلقة بمرحلة الطلاق، تجعلنا نقف على سبب رئيسي وهو التشبث بالخطأ والوقوف عنده كثيرا وعدم تمريره والتغافل عنه.

وكان الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه يعي هذا الأمر جيدا، فقال لزوجته أم الدرداء: «إذا غضبت فرضيني وإذا غضبت رضيتك، فإذا لم نكن هكذا ما أسرع ما نفترق»[1].

فالتسامح والتغاضي مفتاح أمان الحياة الزوجية، وسبيل الإبقاء عليها، فليس هناك الإنسان الكامل، بل إن فينا ما يستحسنه شريك الحياة وفينا ما يسوؤه، لذلك قال النبي ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر»[2].

أي: ينبغي أن لا يبغضها، لأنه إن وجد فيها خلقا يكره، فإنه سيجد فيها خلقا مرضيا.

وقد كان النبي ﷺ في تعامله مع زوجاته، لا يؤاخذهن بكل ما يقلن أو يفعلن، وسجل ذلك القرآن ليكون الخلق القويم في التعامل بين الأزواج، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ (التحريم: ٣).

قال كثير من المفسرين: هي حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، أسر لها النبي ﷺ حديثا، وأمر أن لا تخبر به أحدا، فحدثت به عائشة رضي الله عنهما، وأخبره الله بذلك الخبر الذي أذاعته، فعرفها ﷺ، ببعض ما قالت، وأعرض عن بعضه، كرما منه ﷺ، وحلما[3].

فلم يعرف ويلوم على كل ما قالت به زوجته، بل أعرض عن بعضه.

وهكذا كان النبي ﷺ يتجاوز عن الخطأ ولا يعاتب عليه بل ربما أعذر فيه واعتذر عن المخطئ، فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها أتت بطعام في صحفة (قصعة يقدم بها الطعام) لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فجاءت عائشة مؤتزرة

بكساء ومعها فهر (حجر صلب ملء الكف)، ففلقت به الصحفة، فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحفة، ويقول: «كلوا غارت أمكم» مرتين، ثم أخذ رسول الله ﷺ صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة، وأعطى صحفة أم سلمة عائشة[٤].

قال ابن حجر: وقوله: (غارت أمكم) اعتذار منه ﷺ؛ لئلا يحمل صنيعها على ما يذم، بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة، فإنها مركبة في النفس بحيث لا يقدر على دفعها[٥].

فالنبي ﷺ لم يعاقبها بادئ ذي بدء، ولم يعنفها بكلمة جارحة، بل ذهب ليعتذر عنها، ويبين أن الذي حملها على ما قامت به هو غيرتها.

وفي حادثة الإفك كادت تكون فتنة عمياء، فقد أصابت المسلمين بهزة عنيفة زلزلت كيانهم، ولم يكن الناس فيها سواسية، ولكنهم كانوا مختلفين في آرائهم تجاه حادثة الافتراء والظلم.

فقد سكت بعضهم، فلم يدر من شدة الدهش والذهول ما يقول، وأفصح بعضهم بعظيمة العظائم، وقبيحة القبائح، وامتنع أناس عن الإفصاح بالحق في تنزيه حليلة النبي ﷺ.

ولك أن تتخيل تلك اللحظات الحرجة، بل الساعات والأيام التي قضوها، وهم يعيشون مرارة المحنة.. وأي محنة تلك التي تتعرض لها الأنثى حين تتهم في عفتها، ويغمز على شرفها، وهي من تلك التهمة وذلك الغمز براء، ولكنها أعظم المحن وأشد الفتن أن يختار المرجفون صفوة الله من النساء، وحبة خاتم الرسل والأنبياء، فيوجهوا إليها أصابع الاتهام، دون أن يرقبوا فيها أي إل أو ذمام.

ومع ما يرجفه المرجفون ويتناول الناس من عرض النبي وحرمه، فمع ذلك لم يتهم النبي عائشة، بل لم يخبرها بشيء البتة، قالت عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكيت، حين قدمنا المدينة شهرا، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف، الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم، ثم يقول: «كيف تيكم؟» فذاك يريبني، ولا أشعر بالشر[٦].

لاحظ معي كيف فعلت الغيرة بالنبي ﷺ حينما أذيع الإفك واتهمت عائشة، بلغت الغيرة مبلغها حتى أثرت على معاملته لعائشة وأحست هي ذلك، لكنه لم يخونها أو يوجه لها أي اتهام، هكذا حتى كشف الله هذه الغمة ببراءة عائشة رضي الله عنها.

والنساء يحببن من أزواجهن المسامحة والتغافل، ففي حديث النسوة مع عائشة رضي الله عنها، نستلمح هذا، فقد قالت إحداهن: «زوجي أبو زرع، وما أبو زرع، أناس من حلي أذني، وملأ من شحم عضدي، وبجحني (عظمني) فبجحت إلي نفسي.... فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح»[٧].

فهو لا يرد قولها ولا يقبحه بل يقبله ويستظرفه، ويجعلها تنام حتى أول النهار فيكفيها مؤنتها بالخدم، وإذا شربت لا يقطعها عن شرابها بل يتركها حتى ترتوي، وهنا قال الرسول لعائشة بعد قصها عليه أخبار النسوة الإحدى عشر: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع». فقالت عائشة: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، بل أنت خير إلي من أبي زرع.

البيت السعيد لا يقوم على المحبة المجردة، بل لا بد أن تتبعها روح التسامح بين الزوجين، لذلك قال الله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، فالرحمة هي الجناح الآخر الذي يحلق به الزوجان مع المودة، الرحمة التي تجعل كل منهما يرفق بالآخر ويعذره، ويغفر له الخطأ ولا يكثر في تأنيبه وتوبيخه، رحمة تجعله يتقبل الهفوة، ويتجاوز عن الذلة، ويتسامح في الأخطاء.

والتسامح بين الزوجين ناتج عن علاقة قوية قوامها حسن الظن والثقة بين طرفيها، والتعاون على تهيئة بيتهما إلى السكن والهناء، وذلك بالوصول إلى حلول للمشكلات واسترضاء كلا الطرافين للآخر في حالة غضبه، والاعتذار عن الخطأ وعدم تكراره،



واعتبار وجهة نظر الآخر في المشكلة، وتقدير شعوره ناحيتها، فمعظم الشقاق ينشأ عن عدم تقدير أحد الزوجين لمتاعب الآخر، أو عدم إنصاف حقوق شريكه.

وتعتبر استجابة كل من الزوجين للأحداث الضاغطة في الزواج المحك الفعلي لنضج شخصيتهما ومتانة العلاقة الزوجية، فالزوجان الناضجان المرتبطان معا بعلاقات قوية، يواجهان عوائق كثيرة ولا يتأزمان في زواجهما بسرعة ويتحمل كل منهما الآخر.

أما الزوجان غير الناضجين أو المرتبطان معا بعلاقات ضعيفة فيتأزمان بسرعة وتنفك علاقاتهما ويختل تفاعلهما معا، ويتنافران ولا يتألفان أمام الأحداث البسيطة.

فكلما قوي الزوجان على تمرير الخطأ تأصلت الروابط بينهما، حتى ليتفهم كل منهما ما يثير غضب الآخر، أو يعرف شعور الغضب وشعور الرضا فيه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ لعائشة: «إني لأعرفك إذا كنت غضبى، وإذا كنت راضية، إذا غضبت قلت: لا ورب إبراهيم، وإذا رضيت، قلت: لا ورب محمد»[٨].

إذا غاب عن الحياة الزوجية قيم التسامح والتعاطف والعفو والتغافل، فهذا معناه تأزم الحياة وتوسع الخلافات وجرح النفوس والتوتر الدائم، أما إذا حضرت هذه القيم، فزيادة الحب، وتقوية العلاقة، وتفشي الاحترام، والتعايش في أمان.

وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(البقرة: ٢٣٧)، نجده جزء من آية تتحدث عن التعامل بين الرجل وزوجته عند الطلاق قبل الدخول وبعد فرض المهر؛ فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

فالله يذكر الحقوق والواجبات، ومع ذلك يحض على العفو ، وحث في ثنايا الحديث عن الطلاق والفراق بين زوجين لم يلتقيا، ولم يكن بينهما طويل ود ولا عشرة عمر -كما يقال- فكيف بما هو فوق ذلك؟!

ليبقى قانون الزوجية هو (الفضل) لا (الحق).. ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾.

الهوامش

١- ابن حبان: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، دار الكتب العلمية - بيروت، (ص: ٧٢).

٢- رواه مسلم (١٤٦٩).

٣- السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى (٢٠٠٠ م، ص: ٨٧٣).

٤- رواه البخاري وأحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي واللفظ له، وصححه الألباني.

٥- فتح الباري (٦٠٤/٦).

٦- رواه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

٧- رواه البخاري (٥١٨٩) ومسلم (٢٤٤٨).

٨- رواه أحمد في المسند (٢٥٧٧٩).



د. آندي حجازي/ كاتبة تربوية - تخصص علم النفس التربوي



العفو والتسامح بين الأقارب

التسامح مبدأ إنساني يتم فيه العفو عن أخطاء الآخرين وتجاوز الأفعال التي تصدر عن مواقف بعض البشر، فالتسامح والعفو يحثان الإنسان على نسيان الأحداث المؤلمة والأذى الناتج عن بعض المواقف المسيئة التي بدرت من الآخرين، مع الابتعاد عن فكرة الانتقام والحقد والكراهية، ومراعاة أن البشر خطاؤون بطبيعتهم والتماس الأعذار والتعاطف والتجاوز عن الأخطاء بمحض إرادتنا ورحمة بالغير. فالتسامح يتطلب التغاضي عن أخطاء الآخرين وعدم مقابلة الإساءة بالإساءة، وخاصة بين الأهل والأقارب والأصدقاء، وهذا يتطلب تقوى كبيرة ودرجة راقية من الأخلاق الحميدة العظيمة التي حث عليها ديننا الإسلامي العظيم، ما يحفظ العلاقات الأسرية وعلاقات العائلة الممتدة والعلاقات بين الأصدقاء قوية مترابطة، ويقوي الترابط في المجتمع ويزيد التضامن والوحدة بين أفراد المجتمع المتسامح.

ويتضمن التسامح تقبل اختلافات الأفكار وطريقة التفكير والصفات الإنسانية والخلقية والعقلية بين البشر، واحترام آراء الآخرين والتعاطف مع ظروفهم ومشاعرهم، واختلاق الأعذار لهم خاصة بين أفراد الأسرة الواحدة والعائلة الممتدة لتستمر الحياة وصفوها والمودة.

أهمية التسامح للفرد والمجتمع

عندما ينتشر التسامح والعفو بين أفراد الأسرة الواحدة فإنه بالتأكيد ستقل المشكلات والكراهية والحقد التي تنتج عن سوء الظن وعدم التماس الأعذار، وبالتالي ستكون أسرة قوية مترابطة تسودها المحبة والحياة الاجتماعية، وبالأخص داخل الأسرة الواحدة فلابد من التسامح لأنه أساس العلاقات بين الإخوة والأخوات لأنه إن انتشر الحقد وعدم العفو عن الأخطاء ولم يتدربوا من الصغر على هذا التسامح بين بعضهم كإخوة في نفس الأسرة فإن هذا أمر خطير لأن الأبناء سيكبرون وينشأون على تلك الكراهية بل وستتفاقم بينهم الضغينة والأحقاد التي تؤدي لقطع العلاقات وقطع الأرحام، وهذا للأسف ما بدأ ينتشر في زماننا من قطع العلاقات والأرحام نتيجة مواقف بين الإخوة والأخوات قائمة على خلافات عقلية أو مالية أو عدم تربية على المحبة والأخوة والتسامح والعفو عند المقدرة منذ أن كانوا صغارا، ونتيجة لقلة التربية الدينية والتربية على التواصل الاجتماعي والزيارات وصلة الرحم فإن الخلافات وقطع الأرحام وقطع العلاقات هو السائد في الكثير من الأسر للأسف في زماننا.

وقد امتدح الله العافين عن الناس وجعل جزاءهم الجنة: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤). وكم هو كبير ثواب العفو فالله يغفر لمن



يغفر للناس فقد قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢).

وقال تعالى مؤكدا أن ثواب العفو عن الناس ثواب كبير لا يعلمه إلا الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الشورى:٤٠)، وما أعظم من أن تجد أن الله تعالى يحب المحسنين الذين يعفون عن الآخرين لأن العفو ليس سهلا عمن أساء إليك فقد قال عز وجل: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة:١٣) فالشخص المتسامح يجني ثوابا عظيما من الله عز وجل، ويعفو عنه الله تعالى.

نماذج من تسامح رسول الله ﷺ

روي عن السيدة عائشة، رضي الله عنها، أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» (رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن عائشة أم المؤمنين، ح:٣٢٣١).

فانظر في الموقف أعلاه إلى روعة تسامح وعفو رسول الله ﷺ عند المقدرة على الانتقام مما فعله قومه به فقد كانت فرصة سانحة لأن ينتقم ممن آذاه، ولكن عظمة العفو عند رسولنا الكريم جعلته يتسامح معهم بل ويدعو لهم، ما يجعلنا نتعلم منه حسن التجاوز عن الأفعال المسيئة من الأهل والأقارب فهو أسوتنا العظيمة في أخلاقه وحسن تصرفه وكسب محبته من الآخرين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء (متفق عليه). فكم هي عظيمة أخلاق نبينا فقد ضرب أروع الأمثلة بالتسامح والعفو والتغاضي عن إساءات الآخرين.

لماذا لا نتسامح ولا نعفو؟

التسامح يجلب للإنسان السعادة وليس كما يتخيل البعض أنه يسبب الضعف والإهانة، بل قد يكسب محبة الناس وثقتهم، وقد يؤدي لأن يتعامل الناس مع المتسامح بلطف وإحسان نتيجة تجاوز أخطائهم ومراعاة مشاعرهم، فقد يمر الناس بظروف صعبة وضغوطات معيشية تجعلهم يعتدون لفظا أو قولا ويخطئون التصرف، ولو تمت معاقبتهم

على ذلك لأدى ذلك لتفاقم المشكلات وقطع العلاقات وللأبد أحيانا؛ ولكن إن تمت مراعاتهم والتسامح معهم فقد يأتي المخطئ ويعتذر وتستمر العلاقات والمودة بين الناس وخاصة بين أفراد الأسرة الواحدة والعائلة الكبيرة، وتبقى العلاقات قوية بين العائلة بدلا من قطع أواصر المحبة وانتشار الضغينة والتي تتمتد مع الأبناء أحيانا!

فلو كان الأب نموذجا لأبنائه في التسامح مع من يسيء إليه وبالأخص مع إخوته وأقاربه فإن أولاده سيتعلمون منه ويحبون والدهم ويحترمونه ويحبون عائلتهم الممتدة، لأن والدهم سيكسب محبة جميع أقاربه بل وسيجدونه رجلا حكيما ناضجا وقد يستشيرونه في أموره، لأنه أصبح معروفا عنه أنه يستخدم الطرق السليمة والسلمية في التفاهم مع عائلته دون مشاكل ودون تعد على حقوق الآخرين أو التقليل من قدر نفسه.

فالعفو عن الآخرين رغم القدرة على الانتقام يجلب الاحترام والمودة ويعمل على تحقيق التعايش بين الأفراد في المجتمع؛ عن طريق تجاوز الخلافات والتقليل من شأنها مع الحفاظ على حقوق الآخرين واحترامهم، بعيدا عن الصراعات وانتشار الحقد والكراهية والفرقة، ما يعمل على تماسك المجتمع وتحقيق المصالح العامة في المجتمع والأسر.

ويحسن من ذلك التسامح بين الناس مستوى العلم الذي يتلقاه الفرد ومستوى التربية الدينية والأخلاقية التي تربى عليها الفرد، وطرق الحوار البناءة التي تدرب عليها ومارسها في واقع حياته. والتربية الدينية لها دور كبير في التقليل من الصراعات الناتجة عن الخلافات وكثيرا ما حث ديننا على التسامح فمثلا قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الشورى:٤٠-٤٣).

ثمار العفو والتسامح مع الآخرين

إن المتسامح يجني الكثير من الفوائد في الحياة ومنها:

شعور المتسامح بالسعادة والرضا من الله تعالى نتيجة العفو عن الناس والشعور بالصفاء القلبي.

كسب محبة الناس وثقتهم حيث يتعامل معهم برقي أخلاقي ومحبة ولا يقف موقف الحاقد الغاضب أمام تصرفات الآخرين.

اكتساب ثقة الأقارب له وقد يصبح مرجعا حكيما لهم يستشيرونه في أمورهم.

سبب لتنمية التقوى لدى الفرد، قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

التقليل من المشاكل بين أفراد الأسرة والتي قد تنتج عن سوء الفهم أو عن الجهل أو ضغوط الحياة.

اكتساب رضا الله تعالى لأن الله يحب المتسامحين ويشجع على ذلك كما ذكرنا بآيات كثيرة.

إزالة الضغينة والأحقاد وزيادة المحبة بين أفراد المجتمع وتقوية العلاقات بين الناس والأسر بدلا من تفككها وانتشار الكراهية بين أبنائها.

مساعدة الشخص المخطئ على مراجعة نفسه والتخلص من أخطائه والاعتذار عنها وتصحيح أخطائه بل ومواقفه تجاه الآخرين.

نصيحة ختامية

وفي ختام القول؛ فقد روى سيدنا أبوأيوب الأنصاري عن رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» (صحيح مسلم، ح:٢٥٦٠). فالمشاكل التي قد تقع بين الإخوة أو في الأسرة الواحدة أو بين الجيران أو الأصدقاء يجب أن تحل بالطرق السلمية والتفاهمية وبطرق يرضاها الله عز وجل تؤدي لحل المشكلات لا تفاقمها، فمثلا إن كان سبب المشكلة كلمة أو جملة قيلت أو مسبة أو غيبة أو تشويه سمعة فممكن تشجيع قائلها على الاعتذار لمن قيل له ذلك وارتكب بحقه الخطأ، وتشجيعه على التسامح والتصالح والتراضي وقبول الاعتذار من الطرف المساء إليه.

وإن كان سبب الشحناء أمورا مالية في ذمة أحد الأشخاص للآخر فعليه العمل على إرجاع الحقوق لأصحابها والاتفاق على موعد لذلك، ولابد من تشجيعه على أداء المال الذي عليه للآخرين وقضاء دينه، أو مسامحته في بعضه إن أمكن، أو مساعدة الأهل والأقارب له في تحمل بعض ديونه إن لم يستطع هو وحده، وتقاسمه والأداء عنه لأن هذا من شيم الكرام وأخلاق ديننا ونبينا. فعلى أبناء الأسرة الواحدة والجيران ألا يطيعوا الشيطان في إثارة الشحناء والضغينة بينهم، بل يجب أن يكونوا محضر خير بينهم ومحاربة الفرقة والخلاف بكل ما استطاعوا من قوة حتى تعود الأمور إلى نصابها، وتصفو القلوب، وتتحسن العلاقات وتسود المودة بين الجميع في الأسرة والمجتمع، وتبقى العلاقات الاجتماعية قوية وسليمة وسلمية تميز مجتمعاتنا العربية بحمد الله وفضله.



د. ناجي عبد الله الخرس
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف



إياك والفجور في الخصومة

الحمد لله الداعي إلى بابه، الموفق من شاء لصوابه، أنعم بإنزال كتابه، يشتمل على محكم ومتشابه، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه، وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به، أحمده على الهدي وتيسير أسبابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة من عقابه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أكمل الناس عملا في ذهابه وإيابه، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر أفضل أصحابه، وعلى عمر الذي أعز الله به الدين واستقامت الدنيا به، وعلى عثمان شهيد داره ومحرابه، وعلى علي المشهور بحل المشكل من العلوم وكشف نقابه، وعلى آله وأصحابه ومن كان أولى به، وسلم تسليما. إخواني: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾(سورة فاطر: ٢٩-٣٠).

نهى الإسلام عن الفجور في الخصومة، وجعلها علامة من علامات النفاق الخالص. عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)[1].

قال الحافظ بن حجر: الفجور هو الميل عن الحق والاحتيال في رده. والمراد أنه إذا خاصم أحدا فعل كل السبل غير المشروعة، واحتال فيها حتى يأخذ الحق من خصمه، وهو مائل عن السراط المستقيم[2].

ولقد سمى الله في كتابه الكريم الفجور في الخصومة لددا، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ (البقرة:٢٠٤).

وهكذا المنافق في حال خصومته، فإنه يكذب ويزور عن الحق ويفجر ويفتري. والألد الشديد اللدد أي الجدال. والمعنى: أنه من أي جانب أخذ الخصومة قوي.

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)[٣]. لأن نفسه تزدحم باللد والخصومة، فلا ظل فيها للود والسماحة ولا موضع فيها للحب والخير، ولا مكان فيها للتجمل والإيثار.

الفاجر في الخصومة يسبق لسانه عقله، وطيشه حلمه، وظلمه عدله. لسانه بذيء وقلبه دنيء. الفاجر في الخصومة يزيد على الحق مئة كذبة، وترونه كالذباب لا يقع إلا على المساوئ. ينظر بعين العداوة. ترونه آكلا للأعراض، هماز مشاء بنميم، معتديا أثيما. له طبع كطبع الدود، لا يقع على شيء إلا أفسده أو أقذره.

الفاجر في الخصومة لا أمان له ولا ستر لديه. فيه طبع اللئام، فإن اختلفت معه في شيء حقير، كشف أسرارك وهتك أستارك وأظهر الماضي والحاضر.

والعجب كل العجب، أن بعض الناس يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والزنى والظلم والسرقة وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من لسانه. كم نرى من مترفع عن تلكم الفواحش والآثام، ولسانه يفري في الأعراض ولا يبالي ما يقول. فيبغي على خصمه، والله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأنت إذا تأملت ما يقع من الاختلاف بين هذه الأمة - علمائها وعبادها وأمرائها ورؤسائها - وجدت أكثره من هذا الضرب. الذي هو البغي بتأويل أو بغير تأويل، والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضه على بعض، لا تحل إلا بإذن الله ورسوله ﷺ).

والفجور في الخصومة يؤدي إلى:

أولا: التحاسد والتباغض

عن الزبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء، هي الحالقة. لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين)[٤]. أي تهلك وتستأصل الدين[٥].

ثانيا: التقاطع والتدابر

عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)[٦].

وقال ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار)[٧].

ثالثا: الكبر والعجب

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه ونعله حسنة. قال: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس).

روي أن مطرب بن عبد الله الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة يتبختر في طرف خز وجبة خز. فقال له: يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله!؟ فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة. فمضى المهلب وترك مشيته.

رابعا: البغي وقطيعة الرحم.

عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخر له في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم)[٨].

كم رأينا بين الأزواج والإخوان والأقارب والجيران من المحن والفتن والدعاوى والخصومات والمحادة والغضاضة والنفرة والتدابر والتشاحن والتقاطع، حتى شاع الطلاق وكثرت المشاكل داخل وخارج البيوت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فاتقوا الله يا عباد الله، وراعوا حق القرابة والرحم والجار والأخوة فيما بينكم، وكفوا عن المنازعة والقطيعة، وعالجوا الأمور بالحكمة والتنازل بدون شروط ولا قيود وبدون تحقيق ولا تدقيق فكلكم إخوة في الله.

علاج الفجور من الخصومة

١- سلامة الصدر من الشحناء.

٢- العفو والتسامح.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[٩].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(فصلت ٣٤).

وقفة مع آية

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾(سورة البقرة ٢٠٤ - ٢٠٦).

عن القرظي، عن نوف وهو البكالي، وكان ممن يقرأ الكتب، قال:

إني لأجد صفة ناس من هذه الأمة في كتاب الله المنزل: قوم يحتالون الدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر. يلبسون الناس مسوك الضأن، وقلوبهم قلوب الذئاب، فعلي يجترئون وبي يغترون. حلفت بنفسي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم فيها حيران. قال القرظي: تدبرتها في القرآن فإذا هم المنافقون، فوجدتها (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله.....)[١٠].

هذا المخلوق الذي يتحدث، فيصور لك نفسه أنه خلاصة من الخير، ومن الإخلاص ومن التجرد، ومن الرغبة في إفاضة الخير والبر والطهارة على الناس. هذا الذي يعجبك حديثه، تعجبك ذلاقة لسانه، وتعجبك نبرة صوته، لسانه أحلى من العسل.

هذا النوع من الناس كما قال الله تعالى: (ويشهد الله على ما في قلبه)، أي أنه يظهر للناس الإسلام، ويبارز الله بما في قلبه من الكفر، أو أنه إذا أظهر الإسلام للناس، حلف أو أقسم الإيمان، وأشهد الله للمؤمنين أن ما في قلبه من الإيمان موافق لما ينطقه لهم بلسانه، وهو في الحقيقة (ألد الخصام).

وهكذا المنافق في حال خصومته، فإنه يكذب، ويعوج ويزور عن الحق ولا يستقيم معه، وإنما يفجر ويفتري. ولهذا جاء في صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - عن رسول الله ﷺ: (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)[١١].

لأن نفسه تزدحم باللدد والخصومة، فلا ظل فيها للود والسماحة، ولا موضع فيها للحب والخير، ولا مكان للتجمل والإيثار.

هذا الذي يتناقض ظاهره وباطنه، ويتنافر مظهره ومخبره. هذا الذي يتقن الكذب والتمويه والدهان، حتى إذا جاء دور العمل ظهر المخبوء، وانكشف المستور، وفضح بما فيه من حقيقة الشر والبغي والحقد والفساد[١٢]: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد).

هذا المنافق أعوج المقال، سيء الفعال، ذكرت الآية السابقة قوله السيء، وذكرت هذه الآية فعله السيء. كلامه كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة. فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل. والحرث هو: الأرض التي تنموا بها الزروع والثمار. والنسل هو: نتاج الحيوانات من الأنعام وغيرها. ولا تقوم حياة الناس إلا بالزروع والثمار والأنعام.

(والله لا يحب الفساد)، ولهذا إذا وعظ المنافق الفاجر، كما قال تعالى: (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم).

أي أخذته الحمية وسيطر عليه الغضب بسبب ما اشتمل عليه من الإثم والذنب، لأنه ينكر أن يقال له هذا القول، ويستكبر أن يوجه إلى التقوى، ويتعاظم أن يؤخذ عليه خطأ وأن يوجه إلى صواب. وأخذته العزة لا بالحق ولا بالعدل ولا بالخير، ولكن (بالإثم). (فحسبه جهنم ولبئس المهاد) أي: هي كافيته عقوبة على ذلك.

وأما قوله (ويشهد الله على ما في قلبه)، ومعناه أنه يظهر للناس الإسلام ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق، كقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾(النساء ١٠٨). وقيل: معناه أنه إذا أظهر للناس الإسلام حلف وأشهد الله لهم أن الذي في قلبه موافق للسانه.

وأما قوله: (وهو ألد الخصام)، الألد في اللغة الأعوج ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾(سورة مريم ٩٧).



أي عوجا، وهكذا المنافق في حال خصومته، يكذب ويزور عن الحق ولا يستقيم معه، بل يفتري ويفجر.

وقوله: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل واللّه لا يحب الفساد) أي: هو أعوج المقال سيء الفعال، فذلك قوله هذا فعله، كلامه كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة، والسعي - ههنا - هو القصد.

وقال مجاهد: إذا سعى في الأرض فسادا، منع اللّه القطر فهلك الحرث والنسل.

(وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ)، أي: لا يحب من هذه صفته، ولا من يصدر منه ذلك، وقوله (وإذا قيل له اتق اللّه أخذته العزة)، أي: إذا وعظ هذا الفاجر في مقاله وفعاله، وقيل له: اتق اللّه وانزع عن قولك وفعلك وارجع إلى الحق، امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم، أي بسبب ما اشتمل عليه من الآثام.

(فحسبه جهنم ولبئس المهاد)، أي: هي كافيته عقوبة في ذلك.

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه اللّه -: (من جعل دينه عرضة للخصومات، أسرع التنقل).

من صور العدل والإنصاف عند العلماء

أولا: في الاختلاف العلمي

نجد بعض شراح (صحيح البخاري) يعلق على مسألة قد وافق البخاري فيها رأي الحنفية، فيقول: (وافق البخاري في هذه المسألة الحنفية، مع كثرة مخالفته لهم، لكن قاده إلى ذلك الدليل).

ثانيا: في الاختلاف العقدي

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللّه - مع الرازي - رحمه اللّه - الذي وقع في بعض الضلالات العقدية والمنكرات المنهجية، فخصه شيخ الإسلام بكتاب بلغ عشرة مجلدات يرد فيه على ضلالاته. ومع ذلك فقد قال عنه شيخ الإسلام: (ومن الناس من يسيء الظن به - أي الرازي - وهو أنه يتعمد الكلام بالباطل وليس كذلك، بل تكلم بحسب مبلغه من العلم والنظر، والبحث في كل مقام بما يظهر له).

وقد أحسن من قال:

وإن خيار الناس من كان منصفا
صدوقا لبيبا صانه الدين فانزجر
وإن شرار الناس من كان مائلا
عن الحق إن خاصمته مرة فجر

الهوامش

١- البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.
٢ - فتح الباري (٩٠ /١).
٣ - صحيح الجامع (٣٩).
٤ - رواه أحمد (١٤١٥، ١٤٣٣)، والترمذي (٢٥١٠).
٥ - تحفة الأحوذي (٧/ ١٥٩).
٦ - البخاري ومسلم.
٧ - أبو داود بإسناد صحيح.
٨ - الترمذي (٢٥١١)، قال هذا حديث حسن صحيح.
٩- مسلم.
١٠- أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.
١١- البخاري (٢٥٢٣).
١٢- في ظلال القرآن (١/ ٢٠٤ - ٢٠٥).



د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد

د. محمد عوض محمد أنموذجا

الجمع بين الرؤية العلمية والبيان الأدبي

قيض الله سبحانه وتعالى للعربية من الكتاب من جمع بين العلم والأدب؛ فنبغ بعض العلماء الأدباء في تبسيط المعارف الطبيعية بشكل راق ونشرها بين طالبي الثقافة والعلم عبر الصحف والمجلات، بأسلوب يجمع في ملامحه وتكوينه بين سمات الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي، وما ذاك إلا لأن هذه الكوكبة من الكتاب حصدوا في العلوم التجريبية درجات علمية مرموقة، كما أنهم حازوا نصيبا وافيا من فنون الأدب وسليقة المبدعين، ولإيمانهم بضرورة تضييق المسافة بين الكتابة العلمية والكتابة الأدبية؛ فقد تبنوا المزاوجة بين الثقافتين، وجمعوا في مقالاتهم بين محاسن اللونين الكتابيين، وقاموا بصهرهما في بوتقة واحدة منتجين لونا ثالثا من الكتابة، يكون من أخص سماته أنه يمتع ويقنع، ويشبع رغبات العقل المتطلع إلى المعرفة، كما أنه يستثير العاطفة ويحرك الوجدان، وكان من رموز هذا اللون المقالي الدكتور محمد عوض محمد الذي مزج في مقالاته العلمية بين مخاطبة العقل وإقناعه، ومناشدة النفس وإمتاعها.

ومن القضايا التي طرقها د. عوض الموضوعات العلمية المتأدبة، حيث يرى أن هناك في مجال الكتابة موضوعات علمية خالصة يتحاماها الأديب ويفر منها، وهناك موضوعات خلصت للأدب لا يمكن أن يتدخل فيها العلماء بالبحث والتدقيق، وإلى جانب هذا وذاك توجد موضوعات «قد عالجها الأدب، وخلع عليها حلله؛ فكساها رواء وبهاء، وأفاض عليها العلم من ضيائه؛ فأنار من ظلمائها، وأظهر كامن أسرارها»[1].

وهو هنا يقصد الموضوعات التي تستدعي أفذاذا من كلا الفريقين؛ فلم ير الأديب مانعا يحول دون طرقها، وإعمال ريشته في تزيينها، وكذلك أحس العالم بدافع يدفعه إلى خوض غمارها، واستعذاب مائها «فأغار العالم منهم على حمى الأدب يعالجه بالوسائل العلمية؛ من بحث، وفحص، وتدقيق، وتحليل، وهجم الأديب على حمى العلم؛ فجعل من حقائقه ونظرياته شعرا رائعا، وخيالا شائقا»[2].

وضرب مثلا على ذلك ببعض النماذج المحلقة في سماء العلم، وكذلك بعض الضاربين بحظ وافر في عالم الشعر؛ فأرسطو لم يكن أديبا ولا شاعرا ومع ذلك ألف في الشعر كتابا اتبع فيه الأسلوب العلمي الخالص. وفي المقابل، فإن من شعرائنا العظماء من كان يمزج العلم بالشعر في بعض قصائده، ولا يرى بأسا من التصريح ببعض الحقائق العلمية في أعطاف القصيدة، وعلى رأس هؤلاء المتنبي والمعري، وكذلك من الأدباء المحدثين من ذهب في مؤلفاته الأدبية الخالصة إلى معالجة موضوعات علمية بحتة، واستدل عوض باسمين بارزين من كتاب الغرب وهما ولز وبرنارد شو، اللذان قال فيهما: «ومن ذا الذي يجرؤ أن يقول لهذين العلمين أن يتركا العلم للعلماء، وأن يلزما حدود الأدب»[3].

ويخلص عوض إلى أن هذا التزاوج بين العلم والأدب له ثمرات جنية، وقطوف دانية؛ ينبغي أن تأخذ حظها من البحث والتطبيق، مما سيكون له أثر في صلاح العلم والأدب معا «والحقيقة أن من حسن حظ العلم والأدب جميعا؛ أن يكون كل مشتغل بالأدب ضاربا في العلم بسهم، وكل مشتغل بالعلم قادرا على تذوق الأدب والاستمتاع به»[٤].

فالحق أن من الموضوعات ما قد يتناوله العلم والأدب معا، ويأتي كل منهما بالمبهر المطرب، المزكي للعاطفة، والمغذي للعقل.

مقال: «الرياح».. مثالا

وعلى سبيل الاستشهاد والتدليل على هذه الموضوعات ذات المضمون العلمي المصاغة بأسلوب أدبي؛ نعرض لأحد مقالات د. محمد عوض بعنوان: «الرياح»[٥] ليستبين أسلوب الرجل في كتاباته العلمية المتأدبة، والمنهج الذي ارتضاه لنفسه في هذا الميدان الدقيق.

المعالجة الموضوعية

يبدأ عوض مقاله بمقدمة قرر فيها أننا معشر المصريين أقل الأمم اكتراثا لأمر الرياح؛ فنعيش حياتنا كأننا لا يهب علينا إلا نسيم عليل، أو ريح رخاء، ونتناسى أن في العالم زوابع وأعاصير، مع أن هبوب الزوابع حتى في بلادنا ليس بالأمر النادر؛ فكثيرا ما نحس تلك الحركة العنيفة في طبقات الجو؛ فإذا أبوابنا تقرع بعنف، ونوافذنا تكسر، ولكنها لا تدوم طويلا؛ فلا يلبث الهواء أن يعود نسيما، ولا تلبث الرياح أن تعود رخاء.

ثم أشار إلى أن الاهتمام بأمر الرياح من الأمور التي تعنى بها طوائف عديدة من الناس؛ وعد منهم الشعراء، الذين طالما ذكروها ونعتوها وحملوها رسائل الغرام، ودلل على ذلك ببعض الشواهد الشعرية، وتناول نظرة الملاحين إلى الرياح؛ التي كانت هي الوسيلة الوحيدة إلى قطع البحار والتقريب بين البعداء، وعرج على علاقة الرياح بخطوط الطيران؛ فهي تخشى الرياح وتحسب لها ألف حساب، ثم ختم بعلماء الطبيعة الذين يدرسون ظاهرات الرياح، ويحاولون أن يطلعوا على أسرارها.

بعد هذه المقدمة الطويلة ولج إلى موضوعه متحدثا عن الرياح حديث العلم؛ فتعرض للغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض، وعمق الهواء المكون له، واختلاف العلماء في هذا العمق، وطريقة معرفتهم له، ثم أكد أن هذا الغلاف العظيم ليس هادئا ساكنا، بل فيه حركة دائمة نحسها حين تهب الرياح، ومن ثم عرض الإجابة العلمية لسبب هبوبها، وهنا تناول الضغط الجوي بنوعيه، وأوضح أسباب الاختلاف بينهما.

وأبدى الكاتب دهشته حينما قارن حال المصريين؛ الذين قلما يلاحظون الرياح وهبوبها واتجاهها، بما كان عليه العرب من دقة الملاحظة لهذه الظاهرة الطبيعية، وكيف استطاعوا أن يميزوا ضروبها، ويراقبوا اتجاهاتها المختلفة، ويطلقوا على كل ريح اسما يدل عليها، فمن حيث اتجاه الرياح؛ نراهم قد ميزوا بين التي تهب من الشرق والغرب والشمال والجنوب؛ فهناك الصبا، والدبور، والنكباء، كما استطاعوا التمييز بكل دقة بين الرياح الضعيفة والعنيفة؛ فأكثرها هدوءا النسيم، ثم الرخاء، فالبارح، ثم الهوجاء، فالعاصفة، ثم العاصف، وعرف كل منها بما يوضح كنهها للمتلقي.

وأوضح الكاتب أن ملاحظة العرب للريح الحارة والباردة لا تقل عن هذا دقة؛ فالريح الباردة منها: البلبل، ثم الصراد، ثم العرية، ثم الصرصر، أما الرياح الحارة فمن أسمائها: الحرور، والسموم، والسعار.

ثم ذهب إلى أن شعراء العرب قد أكثروا من ذكر الرياح، خصوصا الصبا، وبين سبب الإكثار من ذكرها دون غيرها، ثم دلل على ما ذهب إليه ببعض شعرهم.

ثم ختم الكاتب مقاله بغتة، بصورة لا تخلو من سخرية فكهة، وبأسلوب سلس رائق؛ على أنه في مقاله كله قد مزج الرؤية العلمية بالسليقة الأدبية من غير كلفة؛ فأبدع في تناول هذا الموضوع العلمي الدقيق، وقربه إلى الأفهام في وضوح عذب جياش، يجعل القارئ منتبها دائما، ومستمتعا بما يقرأ.

المعالجة التحليلية النقدية

فأول ما يلاقي القارئ، ويلفت نظره عنوان المقال الذي يدل دلالة مباشرة على موضوع المقال، وصيغ في كلمة واحدة معبرة عن مضمونه، وهذا مما يحبذه بعض الباحثين، إذ يرى أنه من الأفضل «ألا يكون العنوان طويلا؛ فالكثافة الدلالية مطلوبة»[٦]، وكذا فالعنوان الذي نحن بصدده لا يحتاج إلى كد الذهن من المتلقي؛ فقد اكتنز الفكرة التي يدور حولها المقال بأسره، وما على القارئ إلا مطالعة تناول الكاتب لمضمونها، وطريقة معالجته لها.

ومن الملاحظ أن الكاتب تحرى أن يتوافر في عنوان مقاله ما دعا إليه نظريا واستحسنه لغيره، بقوله: «وعنوان المقالة له خطره، ومن المستحسن أن يكون مما

يثير الانتباه ويوحي بالفكرة التي تبنى حولها المقالة»[٧]، فلا تخطئ العين أن عنوانه «الرياح» يدل على مضمون المقال، وذلك مما يدل على أن كاتبنا لم يكن يطلق العنوان حسب ما ورد له عفو الخاطر؛ وإنما كان يختار ويدقق؛ حتى يخرج على القراء بما يجذب ويشبع، ويسعد ويمتع؛ مما يجعلنا نقرر ما ذهب إليه أحد الباحثين عن عوض: «فالعنوان مدخله... يجذب إليه القارئ بطعمه، ونادرا ما تفلته صنارته»[٨].

ولأجل جذب انتباه المتلقي منذ الوهلة الأولى، أتت المقدمة بمنزلة تمهيد طويل ذي صلة بموضوع المقال، يستنفر بها د. عوض عقل القارئ، ويغريه بالإتيان على الحقائق العلمية المشتمل عليها المقال، فإذا تخلص من هذا الاستهلال لعرض القضية الرئيسية للمقال؛ لم يجد القارئ هوة بين المقدمة والعرض؛ لالتصاق كل منهما بصاحبه، وعدم التجافي بين ما احتويا عليه من معان، فكان مما جاء في المقدمة: «لعلنا معشر المصريين من أقل الأمم اكتراثا لأمر الرياح، نعيش حياتنا كأننا لا يهب علينا إلا نسيم عليل، أو ريح رخاء، لا نستثني من هذا غير شهر أمشير، الذي ننعته بالأرعن، ولا يلبث أن يمضي أمشير حتى نتناسى أن في العالم عواصف، وزوابع، وأعاصير، منها ما يثير التراب، وما يقتلع الشجر، ويهدم المنازل والدور».

بعد تلك المقدمة اللصيقة بفكرة المقال العامة، انطلق الكاتب في عرض تفاصيل موضوعه، في رحلة ماتعة ممتدة عبر طائفة من الأفكار الجزئية، التي تلبي متطلبات المضمون المقالي، وتمتزج فيها النظرة الموضوعية العلمية بالرؤية الذاتية الوجدانية، معتمدا على الأسلوب الوصفي المباشر بيد أنه أحيانا يقرن بين التعبير المباشر والتعبير الساخر الذي يتخلل المقال؛ فحين تحدث عن الغلاف الجوي الذي يحيط هذا الكوكب، ذهب إلى أن ذلك لحكم إلهية عظيمة؛ فهو يحول ذلك الغطاء الكثيف من الهواء دون أن تنفذ إلى الفضاء رائحة ما بالأرض من أدران وآثام «فلنحمد العناية التي عملت على وقايتنا شر الفضيحة، فلم تطلع سكان السماوات على ما انغمست فيه أرضنا من إثم ورجس، وفسوق وعدوان».

وكذلك تجد الحقيقة العلمية الناصعة الممزوجة بالمفاكهة اللطيفة في قوله: «إن الشاعر العربي يتساءل: أم هبت الريح من تلقاء كاظمة؟.. ويريد هو وأتباعه من الغاوين أن يوهموا العالم أن الريح ما هبت من تلقاء كاظمة إلا لكي يستطيع حضرته أن يمزج دمعا جرى من مقلة بدم! ونحن نؤكد للشاعر الفاضل أن الريح لا يهمها إذا كان يمزج دمعه بدم، أو يمزج الماء بالراح، أو الويسكي بالصودا.. وإذا كانت الريح قد هبت من تلقاء كاظمة؛ فما ذلك إلا لأن الضغط الجوي شديد (عال) في جهة كاظمة، وخفيف يسير (منخفض) في الناحية التي كان بها الشاعر».

وقد بدا في المقال التأثر بالقرآن الكريم، والاقتباس منه نصا أو ضمنيا، فمن الأخذ بنص الكتاب الكريم إبان حديث الكاتب عن أنواع الرياح الضعيفة والعنيفة ذكر منها الريح الحاصب الذي عرفه بقوله: «ثم الحاصب وهي التي تقشر الحصا من وجه الأرض ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ (القمر:٣٤)».

ومن الاقتباس الضمني جاء قوله: «فإن الرياح ما برحت قادرة على إثارة موج كالجبال» ولا يخفى أن هذا تأثر بقوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ (هود:٤٢).

وكذلك تناول الكاتب أحد الشعراء بقوله: «ويريد هو وأتباعه من الغاوين» وهذا على سبيل الاقتباس الضمني الواضح من قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ (الشعراء:٢٢٤).

وكذلك تأثر د. عوض بالحديث الشريف بشكل ضمني حينما أخبر عن الغبار الناتج عن الزوابع بقوله: «وإذا سحب من العثير المطار تتخذ سبيلها إلى أعيننا وآذاننا وأنوفنا الراغمة» وهو هنا اقتبس المعنى من الحديث الشريف: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه. قيل:

من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما، أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة»[٩].

ومن جملة النصوص البليغة التي غص بها المقال الشعر العربي؛ إذ إن الكاتب قد ضمنه في أكثر من موضع، بما يخدم فكرته، ويكسوها ثوبا من الجمال والمتعة الفنية؛ ومن ذلك قوله: «فالشعراء مثلا من أكثر الناس اهتماما بالرياح طالما ذكروها ونعتوها وحملوها رسائل الغرام:

وإني لأستهدي الرياح سلامكم
إذا أقبلت من نحوكم بهبوب
فأسألها حمل السلام إليكم
فإن هي يوما بلغت فأجيبي[١٠]

وكذلك بين كاتبنا أن شعراء العرب قد أكثروا من ذكر الرياح، وبوجه خاص الصبا، ثم أردف بقوله: «ولعل شعراء نجد هم الذين أكثروا من ذكرها؛ إذ كانوا يفدون إلى الحجاز؛ ليتاجروا ثم تهيج الصبا شوقهم إلى أوطانهم؛ فيصيح شاعرهم:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجدا على وجد»[١١].

ولإضفاء لون من الإيقاع على المقال؛ تجده زخر بالألوان البديعية – التي تمتع السمع، وتسعد الوجدان – تلك التي أتت عفوا لا تصنع فيها، ومن ذلك استعمال الكاتب السجع بشكل دقيق؛ فعندما تحدث عن المصريين قال: «ونحن قوم سريعو النسيان ووطننا العزيز سريع الغفران»، وكذا حين أهاب بأحد زملائه العلماء أن يتوسع من توضيح بعض ما أجمله في مقاله هذا، فقال: «ثم يتوسع في الشرح والبيان، بما يشفي غلة الظمآن»، ومن ذلك حين عدد الطرق التي يستخدمها العلماء لقياس عمق هواء الغلاف الجوي، ذكر منها مراقبة سقوط الشهب المتجهة نحو كوكبنا؛ فإذا رأوها تأخذ في الاحتراق علموا أنها بدأت تحتك بهوائنا، وهنا «استطاعوا أن يعرفوا على وجه التقريب درجة ارتفاع الهواء عن أديم الغبراء».

وكذلك وظف د. محمد عوض الطباق والمقابلة بشكل لا تكلف فيه ولا تصنع حين قال: «انظر إلى البحار تجد منها العميق الذي لا يسبر له غور، والضحل القريب المآل، والأنهار منها الضعيف القليل الماء، ومنها المفعم السريع الجريان، ثم انظر إلى اليبس تر جبالا شاهقة قد رفعت رأسها فوق السحاب، وفي ناحية أخرى تر سهولا مبسوطة وأودية وطيئة».

ولأن الكاتب ملم بالثقافة الأجنبية؛ فقد ضمن مقاله ما ينم عن ذلك؛ فحين عرض بيتين من شعر بشار بن برد قال: «ويعجبني في هذين البيتين مطابقتهما في المعنى لبيتين قالهما بعد بشار بألف سنة الشاعر الأسكتلندي الرقيق روبرت برنز، وهما قوله (ذكرهما بالإنجليزية وتعريب البيتين:

من بين الرياح التي تهب من مختلف الجهات
أحب حبا شديدا رياح الغرب
لأن هناك تعيش الغادة الحسناء
الغادة التي أحبها أكثر من كل شيء»

هذا وقد جاءت ألفاظ المقال فصيحة، بعيدة عن العامية، تتميز بالسلاسة والرقة، والبعد عن الغريب المستهجن، الذي تتعذر معرفة معناه، فهي في عمومها متداولة شائعة بين أصحاب الثقافة، وظفها الكاتب بالشكل الذي يبلغ أفكاره ناصعة لا التباس فيها إلى قرائه، وتتميز التراكيب في هذا المقال بالرشاقة، والشاعرية الموحية، والفصاحة التي تجلي الفكرة المطروحة.

وأخيرا تهبط تلك الرحلة على مدرج الخاتمة؛ التي صدرها الكاتب بعبارة تشي بالوصول إلى مرفأ النهاية، في إشارة إلى القارئ بالتأهب إلى سماع الكلمة الأخيرة في المقال؛ فصاغها بأسلوب جذاب لا يخلو من السخرية والتفكه: «ولا بد أن نختم الآن هذا المقال لأن حديث الشعراء كحديث العفاريت إذا فتحته فمن الصعب أن تسده».

وهكذا فقد استعان د. محمد عوض بحشد هائل من السمات المميزة للمقال العلمي المتأدب، ونسجها ببراعة لا تصنع فيها؛ فأثمرت هذا النص الذي تمتزج فيه الرؤية العلمية الكاشفة بالبيان الأدبي الخلاب، وتنصهر فيه عصارة الفكر مع إشعاعات الوجدان، كما ظهرت القدرة الفائقة له في تيسير مادته العلمية المتعلقة بموضوعه؛ حتى بدا وكأنه يكتب عن ظاهرة اجتماعية عامة ميسورة المعالجة، قريبة المأخذ، وليس تناولا لحقيقة علمية يقوم عليها ناموس من أصدق وأحكم نواميس الحياة.

الهوامش

١- الهلال «على أطلال طروادة»، ص:٥٠٠، محمد عوض، ١٩٣٦/٣/١م.
٢- الهلال «على أطلال طروادة»، ص:٥٠٠، محمد عوض، ١٩٣٦/٣/١م.
٣- السابق. ص٥٠١.
٤- السابق.
٥- ينظر: مقال «الرياح»، د. محمد عوض محمد، مجلة الرسالة، ص:٣١-٣٣، السنة الأولى، عدد ١١، ١٥ يونيو ١٩٣٣م.
٦- المقال العرضي بين النظرية والتطبيق: د. منال غنيم وآخرون، ص:٢٢-٢٣.
٧- محاضرات عن فن المقالة الأدبية، ص:٥٦، محمد عوض.
٨- مجلة العربي، «محمد عوض محمد.. أديبا»، د. عمر الفاروق، أغسطس ١٩٩٦م.
٩- الحديث: رواه الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
١٠- ديوان العباس بن الأحنف، ص:٦، مطبعة الجوائب.
١١- ورد هذا الشعر لعبدالله بن الدمينة، في ديوان الحماسة، الجزء الثاني، ص:١٠١.



د. أحمد تمام سليمان
مدرس بكلية الآداب- جامعة بني سويف

(في رثاء صديق)

رحلت بكيرا

ورحلت من تحت العباءة سالما
وتركتنا للحادثات تنوب
ما مسك الشيطان مسا أو أذى
لكنها الأقدار حين تؤوب
وظللت تمرح في الحياة بطولها
وبعرضها والنائبات قلوب
شرخ الشباب أراك قد هدمته
والموت من بعد الشباب يتوب
يا نفس إني قد زللت لمنية
لكن ميزان المنى مقلوب
فارقت أوطان الأحبة كلهم
واليوم قبرك موطن مطيوب
لما عرفتك في الطفولة صادقا
ذهب الزمان وصدقه المطلوب
رحل الصديق عن الحياة معقبا
ولعل من أعقبته مندوب
ما كنت أعلم أنني لك مخلص
حين انتقلت كأنني مجذوب
برحيل حب تبزغ الذكرى له
شوقا إليه والقلوب تذوب



محمد قنبر
شاعر وكاتب سوري

ما بينَ هَزْلٍ وجَدٍّ

ما بينَ هَزْلٍ وجَدٍّ ينقضي العامُ
تنعاهُ في لُجَّةِ الأيامِ أيامُ
كأنَّهُ بعضُ يومٍ في تَقاطُرِهِ
قد قيَّدتْهُ بقيدِ العمرِ أحلامُ
بالخيرِ والشرِّ أثقَلْنا صحائفَهُ
واللهُ يعلمُ ما خَطَّتْهُ أقلامُ
هذي الحقيقةُ لا تَخفى معالِمُها
لنْ تنفَعَ العبدَ ما تمليهِ أوهامُ
نستودعُ اللهَ عاماً في خواتِمِهِ
قد لَطَّختْهُ بِكَفِّ الذَّنبِ آثامُ
كمْ فيهِ مِن عَمَلٍ نرجو القَبولَ لَهُ
أو فيهِ مِن زَلَلٍ زلَّتْهُ أقدامُ
يا ربُّ فاغفرْ لِمَن مالتْ سفينتُهُ
في بحرِ دنياهُ منكَ العفوُ إكرامُ
إياكَ نعبدُ لا نرجو رضا أحدٍ
إنَّا على العهدِ إنَّ العهدَ إلزامُ
القربُ منكَ أيا ربَّاهُ حاجتُنا
فالبعدُ عنكَ لصرحِ العمرِ هَدَّامِ
فُسطاطُ أعمارِنا قُضَّتْ حبائلُهُ
فهلْ لنا بعدَ طيِّ الدَّهرِ إبرامُ؟



فاطمة طاهري
كاتبة وباحثة مغربية

شعر الهوية والثورة: عبدالحميد بن باديس نموذجا

إن المتصفح لشعر عبدالحميد بن باديس ليلحظ اندماج والتحام بعد الهوية والدفاع عنها مع بعد الثورية، وهذا ما جعل شعر الرجل قويا صادقا لا يملك قارئه والمتمعن فيه إلا استعذابه والإشادة به.

ولد الإمام عبدالحميد بن باديس يوم ٤ ديسمبر ١٨٨٩، وهو من رجال الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعد مسيرة حافلة بالعطاء سواء في مجال العمل الوطني أو العمل الدعوي أو الإنتاج الصحفي والشعري أو غير ذلك توفي يوم ١٦ أبريل ١٩٤٠، واعتبر هذا اليوم يوما للعلم بالجزائر[1].

١- روح التحدي والثورة في نشيد «اشهدي يا سما»

هذا النشيد ارتجله الشيخ عبدالحميد بن باديس في حفل أقامته مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة يوم ٢٧ رمضان ١٣٥٦هـ بمناسبة إحياء ليلة القدر:

اشهـدي يا سما ... واكتبن يا وجود
أننا للحما ... سنكون الجنود
فنزيح البلا ... ونفك القيود
وننيل الرضا ... من وفى بالعهود
ونذيق الردى ... كل عات كنود
ويرى جيلنا ... خافقات البنود
ويرى نجمنا ... للعلا في صعود
هكذا هكذا ... هكذا سنعود
فاشهدي يا سما ... واكتبن يا وجود
أننا للعلا ... أننا للخلود

يضج هذا النشيد -في الحقيقة- بجملة من المعاني من أبرزها الدفاع عن الوطن والإصرار على التحرر ومواجهة العدو نيلا للمجد والعلا.

٢- قصيدة «تحية المولد الكريم» ومعانيها وأبعادها المتداخلة: العلم والآداب - الدين - الهوية العربية الإسلامية - العمل - الثورة وطلب المعالي...

ألقيت هذه القصيدة ليلة حفلة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، وجاء فيها:

حييت يا جمع الأدب ... ورقيت سامية الرتب
ووقيت شر الكائدين ... ذوي الدسائس والشغب
ومنحت في العلياء ما ... تسمو إليه من أرب
أحييت مولد من به ... حيي الأنام على الحقب
أحييت مولوده بما ... يبري النفوس من الوصب
بالعلم والآداب والأ ... خلاق في نشء عجب
نشء على الإسلام أس ... س بنائه السامي انتصب
نشء بحب محمد غـ ... ـذاه أشياخ نجب
فيه اقتدى في سيـ ... ـره وإليه بالحق انتسب
وعلى القلوب الخافقا ... ت إليه رايته نصب
بالروح يفديها وما ... يغرى النفوس من النشب
وبخلقه يحمي حما ... ها أو ببارقة القضب
حتى يعود لقومه ... من عزهم ما قد ذهب
ويرى الجزائر رجعت ... حق الحياة المستلب
يا نشء يا دخر الجزا ... ئر في الشدائد والكرب
صدحت بلابلك الفصا ... ح فعم مجمعنا الطرب
وأذقتنا طعما من الـ ... فصحى ألذ من الضرب
وأريت للأبصار ما ... قد قررته لك الكتب

وفي الحقيقة لا نجد خيرا من نموذج عبدالحميد بن باديس على مستوى المفاصلة في الهوية مع المحتل الفرنسي وكذا الحس الديني الوطني والعروبي المتجاوز لفكر الأقليات، فرغم أمازيغية الرجل، نجده -في هذه القصيدة- يتغنى ويفتخر بالهوية العربية الإسلامية، وفي الوقت ذاته يدعو الأجيال الصاعدة إلى الأخذ بزمام الأمور وخوض غمار الملمات ورفع التحديات والتصدي للأعداء الذين يتربصون بالجزائر وشعبها وبهوية هذا الشعب وكرامته، ذلك ما يتضح من خلال الأبيات التالية:

شعب الجزائر مسلم ... وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله ... أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا له ... رام المحال من الطلب
يا نشء أنت رجاؤنا ... وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها ... وخض الخطوب ولا تهب
وارفع منار العدل والإ ... حسان واصدم من غصب
وأذق نفوس الظالمين ... السم يمزج بالرهب
واقلع جذور الخائنين ... فمنهم كل العطب
واهزز نفوس الجامدين ... فربما حيي الخشب
يا قوم هذا نشؤكم ... وإلى المعالي قد وثب

كونوا لـه يكن لكم ... وإلى الأمام ابنا وأب
نحن الأولى عرف الزمان ... قديمنا الجم الحسب
وقد انتبهنا للحياة ... آخذين لها الأهب
لنحل مركزنا الذي ... بين الأنام لنا وجب
فتزيد في هذا الورى ... عضوا شريفا منتخب
ندعو إلى الحسنى ونو ... لي أهلها منا الرغب
من كان يبغي ودنا ... فعلى الكرامة والرحب
أو كان يبغي ذلنا ... فله المهانة والحرب
هذا نظام حياتنا ... بالنور خط وباللهب
هذا لكم عهدي به ... حتى أوسد في الترب
فإذا هلكت فصيحتي ... تحيا الجزائر والعرب[2]

٣- التحام الفكرة القومية بالفكرة الإنسانية في شعر ابن باديس

ألقى ابن باديس ليلة احتفال جمعية التربية والتعليم الإسلامية بالمولد الشريف بقسنطينة، قصيدة تغنى فيها بالعروبة وبالعرب وبالإسلام ونبي الإسلام وأن حسه العروبي وانتماءه الديني لا يتعارضان مع انتمائه الإنساني، وهذا ما تؤكده الأبيات التالية:

الحمد لله ثم المجد للعرب ... من أنجبوا لبني الإنسان خير نبي
ونشروا ملة في الناس عادلة ... لا ظلم فيها على دين ولا نسب
وبذلوا العلم مجانا لطالبه ... فنال رغباه ذو فقر وذو نشب
وحرروا العقل من جهل ومن وهم ... وحرروا الدين من غش ومن كذب
وحرروا الناس من رق الملوك ومن ... رق القداسة باسم الدين والكتب
قومي هم وبنو الإنسان كلهم ... عشيرتي وهدى الإسلام مطلبي
أدعو إلى الله لا أدعو إلى أحد ... وفي رضا الله ما نرجو من الرغب[3]

٤- الاعتزاز بالهوية العربية الإسلامية والدعوة إلى العمل والتضحية في شعر ابن باديس

بهذه الأبيات ختم الشيخ عبدالحميد بن باديس خطابه التاريخي في الجلسة الختامية للمؤتمر الثاني لجمعية العلماء في سنة ١٩٣٧م، وفيها يتحدث عن الهوية العربية الإسلامية التي خلدت ذكر الجزائر، كما يغتنمها فرصة لدعوة أبناء شعبه للعمل والتضحية:

أشعب الجزائر روحي الفدى ... لما فيك من عزة عربيه
بنيت على الدين أركانها ... فكانت سلاما على البشريه
خلدتم بها وبكم خلدت ... بهذي الديار على الأبديه
فدوموا على العهد حتى الفنا ... وحتى تنالوا الحقوق السنيه
تنالونها بسواعدكم ... وإيمانكم والنفوس الأبيه
فضحو وها أنا بينكم ... بذاتي وروحي عليكم ضحيه

٥- معاني الخاتمة والتأمل والتسامح في شعر ابن باديس

نجد في كتاب «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير» أبياتا تختلط فيها معاني النهاية بالتأمل الإنساني والتسامح والرحمة:

سينحل جثماني إلى الترب أصله ... وتلتحق الورقا بعالمها الاسما
وذي صورتي تبقى دليلا عليهما ... فإن شئت فهم الكنه فاستنطق الرسما
وعن صدق إحساس تأمل فإن في ... ملامح وجه المرء ما يكسب العلما
سامح أخاك إن ظفرت بنقصه ... وسل رحمة ترحم ولا تكتسب إثما[4]

في حوار مع أخي الشيخ عبدالحميد قال الأستاذ عبدالحق بن باديس إن الإمام الشيخ عبدالحميد قال هذه الأبيات وهو جالس فاتح بين يديه القرآن.

خاتمة

يعتبر شعر عبدالحميد بن باديس مثالا للشعر المرتبط بالدعوة والوطنية الجامعة بعيدا عن تجاذبات العمل السياسي، وتجدر الإشارة إلى أن التجربة الأدبية الجزائرية للعديد من الشعراء والأدباء وأصحاب القلم يميل أصحابها للاكتفاء بالعمل الدعوي والميداني والانخراط مع الجماهير في المقاومة المسلحة، مقابل الابتعاد عن العمل السياسي وشبهاته وبراغماتيته.

الهوامش

١- للتوسع أكثر في سيرة عبدالحميد بن باديس، ينظر: عبدالعزيز فيلالي، وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبدالحميد بن باديس الدراسية، مؤسسة الإمام الشيخ عبدالحميد بن باديس، ٢٠١٢م.

٢- مجلة الشهاب الجزء ٤، المجلد ١٣، قسنطينة يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول ١٣٥٦هـ/١١ يونيو ١٩٣٧م.

٣- مجلة الشهاب الجزء ٣، المجلد ١٤، غرة ربيع الأول ١٣٥٧هـ/ فبراير ١٩٣٨م.

٤- ينظر: عبدالحميد بن باديس، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مجلدان، اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره أبو عبدالرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.



صبغة الله الهدوي
كاتب وباحث

فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ

عاشر بمعروف فإنك راحل
واترك قلوب الناس نحوك صافية
واذكر من الإحسان كل صغيرة
والله لا يخفى عليه الخافية

في حياتنا على متن الدنيا نمر بلحظات كثيرة، نلتقي بوجوه نيرة وأخرى نارية، ونعانق أرواحا صافية وأخرى أشباحا جافية، نواجه الموت، ونستلقي على الجمرات، وتكاد أحلامنا تتبخر وآمالنا تنكسر، بل نجرب أحداثا جسيمة وضئيلة لنصنع من أنفسنا إنسانا ذا أبعاد ثلاثة هي الصبر والذكر والتحدي، لكن في خضم هذه الحياة الممتلئة بالضجات والحبلى بالمظاهر الفاتنة الخداعة، ينبغي علينا أن نتذكر ونفكر فيمن كانوا سلالم نمونا ومعارج سمونا في حياتنا، فيمن وصلنا عنان السماء على أكتافهم ومن عبرنا البحر على شراعهم، والقرآن يذكر كليم الله موسى عليه السلام وقد بلغ أشده ونال من المكانة العلية عند الله ما نال لكن القرآن ذهب يقول: ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ (طه:٤٠)، وقد مرت عشرات السنين على تلك الخطوات لكن الله يذكر موسى عليه السلام بخطوات أخته التي حطمت أحلام المتآمرين وقدمت ميلادا جديدا رائعا لأخيها، لأن المعروف لا ينسى ولا ينكر وصانع المعروف يكرم بجدارة.

ونحن -بني الإنسان محبي النسيان والكفران دائما- نتهرب من المسؤولية، ونحاول وأد كل من أحسنوا إلينا، من أب وأم وأخ وأخت ومعلم وصديق لنكون مغرورين منفوخين، فعندما نحقق حلما أو نبلغ غاية ننسى أن نلتفت إلى تلك الخطوات التي مرت على الأشواك والجمر، فلولا تلك القلوب الصافية واللمسات اليانعة التي أهدت إلينا القوة والطاقة لبقينا على الجمر حفاة وفي النار عراة.

نعيش في عالم لا يكرم فيه صانع المعروف ولا يقيم الوزن للأخوة والصداقة، مصلحجيون أينما توجهنا، متربصون أنى حللنا، تقام علاقات وارتباطات على أساس المصالح والمطامع لا على أساس الإخلاص والوفاء، زمان قل فيه الأوفياء وكثر فيه المنكرون والمتنكرون، والمتنبي يقول:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

لكن الله يقول: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص:٧٧)، إنه لا ينسى المعروف وقد أحصاه ونسوه وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم كانوا يظلمون، والمسلم لا ينسى من أحسن إليه ولا يخذل من أسند ظهره ولا يأتي بطعنة غادرة، أبي بكرامته وشامخ بهامته، كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

وكن في الطريق عفيف الخطا
شريف السماع كريم النظر
وكن رجلا إن أتوا بعده
يقولون مر وهذا الأثر

وفي قصة موسى، عليه السلام، دروس وعبر كثيرة نستلهم منها، وربما أكثر الله ذكره في القرآن بغية أن يكون المثل الأعلى للحياة البشرية جميعا، لأنه مر بمراحل مريرة وصعبة، يقول الله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصص:٢٣)، لم تطلب الأختان منه إحسانا ولم تعرضا له بذلك لكنهما بينتا له حاجتهما من دون أي مسألة حتى وهما في أمس الحاجة إليه، بل نلتفت إلى موسى عليه السلام إذ قال الله: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ (القصص:٢٤)، لم ينتظر المكافأة ولا أي مساعدة وهو يدعو الله: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص:٢٤).

عمرو طه
قاص مصري



قليل من الحياء يصلح العقل

أبو فهر محمود شاكر

لكل عصر جاهليته، ونحن اليوم نجمع جاهلية كل العصور

نجيب محفوظ

الغباء أخطر بكثير من الشر، فالشر يأخذ إجازة من حين إلى آخر، أما الغباء فيستمر

أناتول فرانس

ما كان يجب أن أملك كل هذا الوعي، طالما أنني أعيش في عالم مبني على سلام مهترئ

كافكا

وحدها التفاهة تُجني أرباحًا كثيرة هذه الأيام

نيتشه

عندما أجلس بمفردي يظن الجميع أنه اكتئاب، ولكنها لحظة راحة بعيدًا عن تطفلات البشر

جورج برنارد شو

د. سامي العدواني
خبير تنمية مستدامة - الشبكة الإقليمية
للمسؤولية المجتمعية CSR



التنمية المستدامة سياق وآفاق

«إذا كانت العبارة الشهيرة «نحن الشعوب» هي فاتحة ميثاق الأمم المتحدة، فإننا «نحن الشعوب» نبدأ اليوم مسيرنا في الطريق الذي يقودنا نحو ٢٠٣٠ وسيرافقنا في رحلتنا كل من الحكومات والبرلمانات ومنظومة الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية الأخرى والسلطات المحلية والشعوب الأصلية والمجتمع المدني والأعمال التجارية والقطاع الخاص والأوساط العلمية والأكاديمية والناس قاطبة، وقد تفاعل مع هذه الخطة ملايين الناس الذين سيجعلون منها خطة لهم، فهي خطة الناس وضعت على أيدي الناس لصالح الناس، وهذا في اعتقادنا ما سيكفل لها النجاح»

نسعى في سلسلة مقالات استدامة عبر منبر «الوعي الإسلامي» إلى المضي في بيان أهداف التنمية المستدامة بهدف تعزيز الوعي بالأمن والرفاه في الحاضر والمستقبل، حيث نشهد تطورات متسارعة للاتساق مع الخطة الإنمائية للأمم المتحدة وأهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠.

نحاول في سلسلة مقالات استدامة مراجعة حواراتنا ومشاوراتنا مع قادة أهداف التنمية المستدامة التي تعنى برفع مستوى الاستعداد وتبديد التردد وتبادل المعارف والمعلومات حول الحقائق أو التوجهات التي انتهت إليها التنمية المستدامة، لضمان التحفز نحو الامتثال لما تعهدت به الكويت مع بقية دول العالم للمضي في ركب التنمية المستدامة SDGs2030، والذي يتضمن تتويجا لجهود مخلصة تم بذلتها خلال السنوات الخمسين الماضية لرفد الخطط الإنمائية الوطنية للدولة وتحسين أدائها في مؤشرات التنافسية العالمية على ضوء أهداف التنمية المستدامة.

نتطلع اليوم عبر هذه النافذة لانتقال الوعي من خانة النخبة إلى ثقافة المجتمع ومن التواصل البعيد إلى الاقتراب نحو النافع والمفيد، ومن اللغة التي فيها قدر من الخصوصية والالتباس إلى الصياغات الأكثر تبسيطا وتناولا، نستفيد من تجربتنا طوال السنتين الماضيتين عبر ثماني دورات برامجية إذاعية لإثراء التنوع في عرض المحتوى عبر الكتابة التحريرية التي استخلصناها من حوار الخبراء والفاعلين في مجالات التنمية المستدامة واستنطاق الممارسات والتطبيقات العملية التي جسدتها المبادرات الريادية والتجارب المحلية والدولية.

ماهية التنمية المستدامة

اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٢ ذي الحجة ١٤٣٧هـ الموافق ٢٥ سبتمبر ٢٠١٥م القرار ١/٧٠، الذي حمل العنوان: خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠، وهي خطة عمل للناس والكوكب والرخاء والسلام والشراكة، تسعى للتعاون في إنفاذها جميع البلدان والأطراف المعنية.

إن حرص إدارة المجلة بتوجيهات من قيادات الوزارة وعمل دائب من طاقم التحرير على استلهام هذه المنظومة ووضعها على خارطة أجندة تحريرها سعيا لمتابعة مستجدات التقدم والإنجاز من خلال الرصد واستضافة الممارسين والمتخصصين، بما يعكس مستوى جدية الالتزام باستحقاقات التنمية المستدامة وفي اللحاق بالمؤشرات وجمع البيانات وإجراء التحليلات من مصادرها الأكيدة، وذلك وفقا للمعايير المعتمدة في اللجنة الإحصائية التابعة للأمم المتحدة.

لقد حفلت خطة «تحويل عالمنا» التي أبرمها ١٩٤ رئيس دولة بآفاق التكامل بين قطاعات الدول (العام، الخاص، المجتمع المدني) لإنفاذ أهداف خطة التنمية المستدامة ٢٠٣٠ شملت ٢١ محورا، مما يؤكد على الحيز المتاح للقادة والفاعلين في العمل الإنمائي لتحقيق التطلعات وبلوغ الغايات لذلك جاءت سلسلة هذه المقالات تتويجا لهذا الطموح.

مفاهيم ومعانٍ

أولا: التنمية المستدامة هي تطلع عالمي يتطلب تعاونا وطنيا وإقليميا ودوليا لأنه مسؤولية مشتركة نحو تحقيق المزيد من المنفعة المتبادلة لجميع الأطراف المعنية بالاستقرار والرفاه.

ثانيا: لقد أكدت الإعلانات العالمية المتتالية ووثائق السياسات التي صدرت منذ مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية الذي عقد في ريو دي جانيرو، البرازيل، في عام ١٩٩٢م، أن التنمية المستدامة تمثل خطة عالمية.

ثالثا: في الفقرة ٢٤٧ من الوثيقة الختامية لمؤتمر الأمم المتحدة بشأن التنمية المستدامة، «المستقبل الذي نصبو إليه»، دعا رؤساء الدول والحكومات إلى أن تكون الأهداف ذات طابع عالمي وقابلة للتطبيق على نحو شامل في جميع البلدان مع مراعاة الظروف والقدرات ومستويات التنمية الوطنية المختلفة.

تعرف على التنمية المستدامة

بدأ تنفيذ خطة عام ٢٠٣٠ وأهداف التنمية المستدامة السبعة عشر الواردة فيها اعتبارا من ١ يناير ٢٠١٦م على أن توجه القرارات على مدى السنوات الخمس عشرة القادمة نحو الأهداف المتكاملة التي توازن بين الأبعاد الثلاثة الرئيسية للتنمية المستدامة إلى الأهداف الإنمائية للألفية.



تسعى الدول بقطاعاتها الفاعلة (العام والخاص والمدني) من خلال أهداف التنمية المستدامة حتى العام ٢٠٣٠ إلى وضع حد للفقر والجوع؛ ومكافحة عدم المساواة؛ وبناء مجتمعات مسالمة وعادلة وشاملة للجميع؛ وحماية حقوق الإنسان والعمل على تحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين النساء والفتيات؛ وكفالة الحماية الدائمة للأرض ومواردها الطبيعية. وعقدت الدول الأعضاء العزم أيضا على تهيئة الظروف المناسبة للنمو الاقتصادي المستدام والمطرد الذي يشمل الجميع، وللازدهار العميم وتوافر فرص العمل الكريم لكافة الناس.

من أهم ما تم الاسترشاد به في مسودة إعداد خطة عام ٢٠٣٠ المبادئ المشتركة لميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وإعلان الألفية ونتائج مؤتمر القمة العالمي لعام ٢٠٠٥م، والالتزامات التي أعلن عنها في المؤتمرات ولقاءات القمة الرئيسية للأمم المتحدة التي وضعت أساسا لتحقيق التنمية المستدامة.

لماذا التنمية المستدامة؟

إن حجم التحديات التي تواجه المجتمع الدولي في ظل الأزمات والنزاعات ويزيد من وتيرة هذه التحديات ندرة الموارد، وتغير المناخ، والبطالة، وانعدام الأمن الغذائي وعدم المساواة، ضمن تحديات أخرى كثيرة. وهذا يستلزم في المقابل تغييرات جذرية يتعين على منظومة الأمم المتحدة بأسرها وشركائها المساعدة في تحقيقها.

ودور الأمم المتحدة في هذا التحول يتمثل في مساعدة البلدان على تنفيذ الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية لخطة عام ٢٠٣٠ بطريقة متوازنة ومتكاملة، وهو ما انعكس على اهتمام الدولة وربط خطتها الإنمائية بأهداف التنمية المستدامة، وتوجيه قطاعاتها الرئيسية بالعمل وفق مؤشرات التنافسية العالمية بما في ذلك قطاع المجتمع المدني لتعزيز مكانة الكويت في المحافل الدولية.

غايات التنمية المستدامة

خطة التنمية المستدامة ٢٠١٥-٢٠٣٠ تم صياغتها من منظور مختلف عن خطة ٢٠٠٠-٢٠١٥، فهي أكثر اتساعا وشمولا في المضمون، وصممت لتشكل إطارا لأهداف تنموية ذات طابع عالمي تصلح لكل الدول وتجد كل دولة فيها ما يلائم خصائصها وبما يتيح استخدامها كإطار شامل للتخطيط التنموي، وتتمثل مكوناتها في:

١- الإعلان: الذي يتضمن الرؤية، المبادئ والالتزامات المشتركة، وكذلك نداء للعمل من أجل تغيير عالمنا.

٢- الأهداف: يستعرض أهداف التنمية المستدامة الـ ١٧ هدفا ومع كل هدف غاياته ومقاصده التي بلغ إجماليها ١٦٩ غاية بالإضافة إلى ٢٣٠ مؤشرا.

٣- التنفيذ: قدمت الوثيقة أهم وسائل التنفيذ والإنفاذ لأهداف التنمية المستدامة وأدوات وشراكات عالمية.

٤- الاستعراض: أوضحت الوثيقة آليات الاستعراض لجهود التنمية المستدامة ومدى الامتثال عبر لجان وطنية ومكاتب تنسيق إقليمية والمنصات المعنية عالميا.

٥- غايات التنمية المستدامة:

أ- إحداث تحول آمن لتعزيز القدرة على الصمود والاستدامة من خلال الـ SDGs2030.

ب- عالم يسوده الإنصاف والعدل والتسامح والانفتاح والإشراك الاجتماعي لأشد الفئات ضعفا.

ج- عالم تعيش فيه الإنسانية في وئام مع الطبيعة وتحمي فيه الحياة البحرية البرية والكائنات الحية.

أهداف التنمية المستدامة

الهدف الأول: القضاء على الفقر

إن الفقر أكثر من مجرد الافتقار إلى الدخل والموارد ضمانا لمصدر رزق مستدام، حيث إن مظاهره تشمل الجوع وسوء التغذية، وعدم قدرة الحصول على التعليم وغيره من الخدمات الأساسية، ويقاس بالجهود المبذولة في تحسين حياة الأفراد لمواجهة الاحتياجات.

الهدف الثاني: القضاء التام على الجوع

توفير الأمن الغذائي والعمل على تعزيز الوعي بالزراعة المستدامة والاستهلاك الرشيد ومساعدة الأشخاص الذين يعانون من نقص الغذاء أو سوء التغذية، وذلك في ضوء الإمكانات المتاحة والموارد المحدودة، وهي قادرة على توسيع مساحة هذه الجهود متى ما توفرت الشراكات اللازمة.

الهدف الثالث: الصحة الجيدة والرفاه

ضمان الحياة الصحية وتشجيع الرفاه للجميع ولكل الأعمار عنصر لابد منه في التنمية المستدامة، من خلال الوقاية والعلاج، وتعزيز الصحة والسلامة العقليتين من إساءة استعمال المواد الضارة، كتعاطي المخدرات وتناول الكحول ومكافحة التبغ وكل ما من شأنه التأثير على الصحة، عدا عن برامج التوعية بالصحة الإنجابية والإصابات الناجمة عن حوادث المرور تمثل ضمانات تمنح الجميع أنماط عيش صحية وتساعد على استدامة الرفاهية في مراحل الأعمار.

الهدف الرابع: التعليم الجيد

يشكل الحصول على تعليم جيد الأساس الذي يرتكز عليه تحسين حياة الناس وتحقيق التنمية المستدامة، سواء في إمكانية الحصول على التعليم بكل مراحله، فنسبة ٥٠٪ من مناطق النزاعات لا يلتحق فيها الأطفال في مراحل التعليم الابتدائي، لذلك لابد من التركيز على زيادة معدلات الالتحاق بالدراسة خاصة بالنسبة للنساء والفتيات، وتحسين مهارات القراءة والكتابة وتوفير فرص التعليم المهني العالي الجيد والميسور التكلفة وفي مباني تراعي الفروقات والخصوصيات، بالإضافة لبرامج التدريب والتطوير.

الهدف الخامس: المساواة بين الجنسين

تمكين المرأة وتوسيع أطر مشاركتها المجتمعية، من خلال تعزيز دورها في صنع القرار في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المجتمع، ومن أجل المزيد من تمكين المرأة واعتماد سياسات منهجية، واتخاذ تدابير تستنهض النساء والفتيات في جميع مستويات العمل ومجالات الأداء.

الهدف السادس: المياه النظيفة والنظافة الصحية

نتيجة البرامج الاقتصادية غير المنتجة والرشيدة أو لضعف البنية التحتية يتضرر ملايين من البشر، معظمهم أطفال، من جراء أمراض مرتبطة بقصور إمدادات المياه والصرف الصحي والنظافة العامة برغم توفر المياه العذبة بشكل كاف على ظهر الكوكب، مما ينعكس سلبا على الأمن الغذائي.

الهدف السابع: طاقة نظيفة وبأسعار معقولة

إن الحصول على الطاقة أساسي، سواء



كان ذلك من أجل التواصل الإنساني وفرص العمل وزيادة الدخل أو إنتاج الأغذية وقد يكون بسبب تقلب المناخ وتغير الطقس والحاجة لاستتباب الأمن، ولعل أبرز جهود جمعية الإصلاح على المستوى الوطني تمثلت في عدد من برامج التوعية في هذا المجال بلغت ٣ فعاليات في ترشيد استخدام الطاقة وتوسيع بدائلها النظيفة.

الهدف الثامن: العمل اللائق والنمو الاقتصادي

تعزيز النمو الاقتصادي الشامل والمستدام، يكون بتكريس قيم الإنتاج، والمساعدة في توفير العمل اللائق في ظروف مناسبة، بالإضافة إلى طرح مبادرات تدعم العمل الحر ومشاريع الريادة الاجتماعية سعيا في تحفيز الاقتصاد دون إضرارا بالبيئة والروابط العائلية.

الهدف التاسع: الصناعة والابتكار والهياكل الأساسية

إن الاستثمار في البنية الأساسية كالنقل، والري، والطاقة، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، عناصر حيوي في تحقيق التنمية المستدامة، الأمر الذي ينعكس حتما على تطوير الإنتاجية والدخل وتحسين النتائج الصحية والتعليمية في حياة الفئات التي نستهدفها، إن المحافظة على الرخاء والاستقرار يتطلب تمكين المجتمع، وإسناده بالإسهامات التنموية والابتكارية والتقنية حتى يحافظ على وتيرة النمو والتحضر.

الهدف العاشر: الحد من أوجه عدم المساواة

وهناك توافق متزايد في الآراء على أن النمو الاقتصادي ليس كافيا لخفض حدة الفقر إذا كان ذلك النمو غير شامل للجميع، ولا يتضمن الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة (الاقتصادية والاجتماعية والبيئية)، وسعيا إلى خفض التباين، تم التوصية باتباع سياسات شاملة تهدف إلى الاهتمام باحتياجات الفئات السكانية المستضعفة والمهمشة، من خلال قيم الإدماج ومبادرات الحماية الاجتماعية وتقديم الابتكارات التطوعية لسد فجوات العجز الإنمائية والتباين في إمكانية الحصول على الخدمات الصحية والتعليمية وغير ذلك من متطلبات أساسية.

الهدف الحادي عشر: مدن ومجتمعات محلية مستدامة

إن المدن هي مراكز الأفكار والتجارة والثقافة والعلم والإنتاجية والتنمية الاجتماعية وما هو أكثر من ذلك بكثير. فالمدن ساعدت سكانها على التقدم اجتماعيا واقتصاديا، وهي تواجه تحديات كذلك في الاكتظاظ والاختناقات المرورية والضغط على البنى التحتية ومحدودية السكن اللائق في بعض المناطق، حتى يكون الانتعاش والنمو وتخفيض نسب التلوث والفقر تحتاج إلى جهود تساهم في رفد جهات

الدولة بالأفكار وتحسين الخدمات الأساسية والمجتمعية ودعم حلول الطاقة والإسكان والبيئة.

الهدف الثاني عشر: الاستهلاك والإنتاج المسؤولان

«زيادة الإنتاج بشكل أفضل وكلفة أقل» بالاستخدام الأمثل للموارد والطاقة عبر التقليل من النفايات واستخدام مواد صديقة للبيئة لا تسبب ضرر للهواء والماء والتربة، فأكثر من ١,٣ بليون طن مصيرها القمامة قيمتها تريليون دولار، وهذا يستدعي تقليل نصيب الفرد من النفايات الغذائية والحد من الفقد في سلاسل الأغذية وترشيد المشتريات، ودعم التقنية، ونشر الوعي لمواجهة الإسراف وحماية المتضررين، وتحسين جودة الحياة لصالح الجميع لذلك نحتاج أن نعكس أدوارنا في هذا المجال إذا ما كانت لنا جهود في هذا الإطار.

الهدف الثالث عشر: العمل المناخي

في ضوء ما يحدثه تغير المناخ من تأثيرات في التنمية الاقتصادية، والموارد الطبيعية، وحالة الفقر، أصبحت معالجته تشكل عنصرا معقدا في إطار إنجاز التنمية المستدامة، فزيادة درجة واحدة للحرارة تؤدي لخفض محصول القمح والذرة إلى ٥٪ في العالم، وكوننا في مجتمع نفطي ولدينا نشاط واسع في بلدان أخرى من المهم أن نستعرض مبادرات وحلول تضمن الحد من ظاهرة الاحتباس الحراري على سبيل المثال، وانعكاسها على الصحة العامة والبيئة.

الهدف الرابع عشر: الحياة تحت الماء

حفظ المحيطات والبحار والموارد البحرية واستخدامها على نحو مستدام لتحقيق التنمية المستدامة، إن محيطات العالم -درجة حرارتها والكيمياء الخاصة بها وتياراتها والحياة فيها- هي التي تقف وراء النظم العالمية التي تجعل كوكب الأرض صالحا للسكنى بالنسبة للبشرية، فمياه أمطارنا ومياه شربنا وطقسنا ومناخنا وسواحلنا وقدر كبير من غذائنا، بل وحتى الأكسجين الموجود في الهواء الذي نتنفسه، توفرها البحار وتنظمها جميعا في نهاية المطاف، وقد كانت المحيطات والبحار على مر التاريخ قنوات حيوية للتجارة والنقل، كما أن نسبة تصل إلى ٤٠٪ من محيطات العالم «متضررة بشدة» من الأنشطة البشرية، ومن بينها التلوث واستنفاد مصائد الأسماك، وهذه المحيطات هي مصدر رزق ٢٠٠ مليون شخص في العالم، وهذ ما يجعلنا نبحث عن مساهماتنا حيثما تواجدنا أو ساندنا آخرين.

الهدف الخامس عشر: الحياة في البر

حماية النظم الإيكولوجية البرية وترميمها وتعزيز استخدامها على نحو مستدام، ومكافحة التصحر والجفاف والفيضانات، ووقف فقدان التنوع البيولوجي، نتيجة الصيد الجائر، إن الغابات تغطي مساحة ٣٠٪ من مسطح الأرض ويعتمد ١,٦ بليون إنسان عليها مصدرا لأرزاقهم، وفيها ٨٠٪ من أنواع الحيوانات والحشرات والنباتات في الكوكب.

الهدف السادس عشر: السلام والعدل والمؤسسات القوية

إشاعة السلم والأمن ومواجهة التطرف والعنف من مقتضيات هذا الهدف الإنمائي، القائم على الحرية والسلام والأمن واحترام حقوق الإنسان، فهناك حاجة يسود فيها العدل والديمقراطية بغية إنجاز التنمية المستدامة.

الهدف السابع عشر: عقد الشراكات لتحقيق الأهداف

تعزيز وسائل التنفيذ وتنشيط الشراكة بين الحكومة والقطاع الخاص والمجتمع المدني من أجل التنمية المستدامة، لذا فإن الدول قطعت على نفسها التزام تخصيص (٠,٧٪) من إجمالي الناتج القومي الذي يتوجه للمساعدات الإنمائية كما توافقت عليه المنظومة الدولية وهناك توجه لرفع هذا المخصص يقدم لأقل البلدان نموا وسعيا لمواجهة الأزمات الراهنة.

سنواصل في المقالات القادمة توضيح الكثير من مبادئ التنمية المستدامة ونشأتها ودور الأمم المتحدة وستكون لنا مساحة لمناقشة التنمية المستدامة من رؤية تأصيلية في ضوء الفكر الإسلامي وزوايا النظر المختلفة نأمل أن تحقق هذه السلسلة ما سعت إلى تعميمه وإثرائه.



د. محمد حسني عمران
رئيس البعثة الأزهرية بالسنغال



الحنان وأثره في تربية الطفل

الأطفال هم مستقبل الأمة الواعد، وهم العناصر الفاعلة في المجتمع، فالاهتمام بالطفل ينعكس إيجابا على مجتمع سوي منشود.

ومن الخطأ الذي يقع فيه كثير من الآباء والمربين إهمال مرحلة الطفولة، والتي تمثل المرحلة الأهم في تقويم السلوك.

ومن هذا المنطلق يأتي إلقاء الضوء على حق الطفل للعطف والحنان والرفق واللين حتى ينشأ سوي الشخصية لأن حرمان الطفل من الدفء الأسري يخلق شخصية غير سوية بينما حنان الأم في الصغر يضمن حياة مستقرة في الكبر.

وهذا هو الذي يحقق السلام المجتمعي الذي ننشده، وكما يقول علماء التربية: «يبدأ السلام العالمي بالسلام الأسري»[1]

فهذه المقولة تفسر لنا وجود العنف في المجتمع كأثر من آثار حرمان الطفل من الحنان ونتيجة طبيعية للقسوة كنموذج في التربية.

الأثر الطبي والنفسي للحنان على الطفل

أفضل ما تمنحه الأمم للطفل الحضن الدافئ اليومي الذي يوفي للطفل الشعور بالسكينة والأمان، وهذا لا يؤثر على روح الطفل فقط بل تظهر ثمرته على الجسد، ويمثل جانب مناعي له.

يقول د. رضا عبيد أخصائي الطب النفسي: (إن الحضن الدافئ اليومي يعتبر من أكبر وسائل العلاج الجسدي والنفسي بما يمثله من الشعور بالأمان، وبث الثقة الذاتية للطفل بطريقة تنعكس على نشاط جهازه المناعي، الذي بدوره يقي الطفل من الأمراض عموما)[2].

وأضاف إن حضن الأمم اليومي للطفل يساعد على بناء انسان سليم بدنيا ونفسيا، وخاليا من أي عقد نفسية تؤثر في حياته لاحقا، هذا بالإضافة إلى أن هذا يلبي حاجة الطفل الفطرية.

حاجة الطفل إلى اللمسة الحانية

إن اللمسة الحانية احتياج أساسي عميق، وهي تملك القدرة على بث روح الترابط والعناية، والأسرة هي المكان الأساسي والأكثر أهمية على الإطلاق الذي نتعلم فيه قيمة تقديم العاطفة

وتلقيها عن طريق اللمسة.

وإذا كانت تربية الطفل على الحنان والعطف الأسري هي محل إجماع بين علماء النفس والاجتماع والتربية - لتنشئة أطفال أسوياء صالحين يسعد المجتمع بهم، فإن النبي ﷺ أولى هذا الجانب اهتماما كبيرا قولا وفعلا أما فعله ﷺ فقد ثبت فيما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم».

فوضع النبي ﷺ قاعدة رائدة في التربية والعناية والحنان والرفق بالناشئة.

ومن هذا القبيل ما يروى عنه ﷺ أنه كان يحمل حفيديه الحسن والحسين- رضي الله عنهما- على ظهره أثناء الصلاة.

وأنقل هنا تعليقا ماتعا للدكتور محمد مصطفى بسيوني يقول: ينبغي أن نستنبط ما وراء هذا السلوك التربوي المحمدي مثل إغراء الحسنين الناشئين المطهرين بالميل إلى الصلاة، ومعايشة الإقامة في المسجد، ولو أن النبي ﷺ نهاهما وألقاهما عن ظهره بحجة التفرغ للصلاة لأتى بنتيجة عكسية وهي ما يعرف بعلم النفس (بالارتباط الشرطي) فترتبط الصلاة عند الطفلين بالقسوة والزجر، بل إن السلوك المحمدي المعلم يعلمنا كيف نربي أبناءنا منذ الصغر على عشق السلوك الديني، بل إنه ﷺ يشهد الحق سبحانه وهو بين يديه بالصلاة كيف يربي الناشئة من أهل بيته بالملاينة وهو بين يديه سبحانه في الصلاة.

كما يعلمنا أن تربية الناشئة لا تحتاج إلى وقت معلوم أو موقف مرسوم، بل يمكن أن يتم هذا في أي وقت وأية ظروف، فكان يردف النبي ﷺ خلفه على ناقته الصبي الناشئ ابن عباس -رضي الله عنهما-، فكانت هذه فرصة مواتية لأن يعلمه الملامح الكبرى في الإيمان والاعتقاد، حيث يقول: «يا غلام إني أعلمك كلمات...»[٣]

واللمسات الحانية منه ﷺ كثيرة، حسبنا ما تم ذكره كمثال.

الآثار المترتبة على فقدان الحنان

غياب الحنان في تربية الطفل يكون سببا في شقاء المجتمع به، فإذا كان المجتمع يئن تحت وطأة التطرف والتشدد والإرهاب، فإن هذه السلوكيات الخاطئة وراءها دوافع دفعت أصحابها لذلك منها القسوة والغلظة والقهر التي تربى عليها هؤلاء فمن آثار فقدان الحنان ينتج الآتي:

١- طفل عدواني: يميل الطفل إلى العدوانية بسبب ما تراكم داخله من أفكار سيئة تتحول مع مرور الوقت إلى بركان من الغضب ينفجر فيمن حوله، فالعنف والعدوان لدي الطفل سيكون رد فعل طبيعي لعنف أهله معه.

٢- أطفال مبلدون في المشاعر: الطفل الذي لم يتربَّ على الحب والحنان ولم يغذَّ بتلك المشاعر، فلن يبديَ تلك المشاعر لأحد، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

٣- فقدان الولاء للأسرة والمجتمع: القسوة والغلظة يشعران الطفل بالخوف من الجميع وعدم الثقة في أي أحد، وبالتالي لن يكون هناك ولاء إلا لما يجري بخاطره.

٤- يعمل على إيجاد شخصية مضطربة غير سوية.

٥- فقدان احترام الآخرين: وذلك بسبب إساءة التعامل معه.

أساليب التربية بالحنان

١- الرفق واللين في المعاملة.

٢- الكلمة الطيبة والابتسامة للطفل.

٣- التقبيل والعناق والحضن الدافئ.

٤- ضرب الأمثال وحكاية القصص، فمن شأنهما تهذيب السلوك عن طريق أخذ العبرة.

وأختم بهذه القصة المعبرة في طريقة التربية بالنصح والشفقة والحنو في معاملة الأم لابنها:

جاء طفل مغضبا يشكو لأمه سوء أخلاق ولد رآه خيالا في بئر من الآبار، يحمل في يده حجرا يريد أن يرمي به الطفل، فقالت له أمه: هل نظرت إليه وأنت تبتسم؟ فقال: لقد قطبت وجهي حين رأيته في الماء مقطب الوجه، فحملت حجرا لأقذفه به، ففعل مثل ما فعلت، فقالت أمه: اذهب إلي البئر مرة أخرى وابتسم، ثم احمل طاقة من الزهر وأشر بها إلى الطفل في البئر، وتعالى فاقصص علي ما رأيت.

وذهب الطفل إلى البئر مبتسما فارتاح لما رأى، وقدم طاقة الزهر للطفل فإذا به يقدم له كذلك طاقة الزهر، فارتاحت نفسه وانشرح صدره، وعاد يخبر خبره لأمه، فقالت له: هكذا يعاملنا الناس بمثل ما نعاملهم به، فعاشر زملاءك بإحسان تلق منهم الحب والإحسان[٤].

فهذه القصة تعكس جانبا في غاية الأهمية أن نموذج التربية ما هو إلا انعكاس من خلال السلوك القائم، فالحنان والعطف يثمر حنانا وعطفا والقسوة والغلظة ينتج عنهما بالضرورة قسوة وغلظة (ومن يزرع الشوك لا يحصد به الحنطة).

الهوامش

١- ٣٦٥ طريقة لتنشئة أطفال واثقين، شيلا إليسون وباربرا آن بارنيت، المملكة العربية السعودية، مكتبة جرير، (ص: ١١٠).

٢- مقال بعنوان: (احتضان الأطفال يمنحهم الكثير من الفوائد الصحية، د/ رضا عبيد).

٣- الحقائق النفسية في التنشئة الإسلامية، د/ محمد بسيوني، مجلة الأزهر.

٤- الأولاد ودائع الله عندنا، الشيخ معوض عوض إبراهيم، (ص: ١٢).

ياسر محمد عبدالسلام
كاتب وباحث



اضطرابات السلوك الاندفاعي

تعتبر اضطرابات السلوك الاندفاعي من أكثر الاضطرابات النفسية شيوعا لدى الشباب والمراهقين، وعلى الرغم من ذلك يتم تجاهل هذا الاضطراب، ولا تصل معظم هذه الحالات للطبيب للعلاج أو لطلب المشورة نتيجة لقلة الوعي بها أو لعدم وصول الأعراض لدرجة مؤثرة وملحوظة من المجتمع والمحيطين. وقد أظهرت نتائج بعض الإحصاءات أن معدل تفشي هذه الاضطرابات بين الشباب يتجاوز العشرة في المئة، وهي نسبة لا يستهان بها إذا نظرنا للتأثيرات المحتملة على الفرد والمجتمع.

ولاضطرابات السلوك الاندفاعي عدة صور مختلفة تبدأ من السلوك المعاند في الطفولة مرورا بالسلوك الانفجاري وحتى هوس سرقة ما لا يمكن الاستفادة به وإشعال الحرائق والجنس القهري والقمار المرضي

وقضم الأظافر المرضي وهوس الشراء.

وعادة ما يتم اكتشاف هذه الحالات بالصدفة بعد تكرار توجيه الاتهام بنفس الجرم أو بواسطة الطبيب النفسي عند الشكوى من الأمراض النفسية المصاحبة لها كالاكتئاب أو فرط النشاط أو الإدمان.

كما تشترك هذه الاضطرابات في وجود أعراض مثل تكرار التصرفات غير المسؤولة وعدم السيطرة على السلوك المؤدي للمتاعب والشعور الملح للتلذذ بالانخراط فيها، وينبغي لتشخيص الإصابة باضطرابات السلوك الاندفاعي استمرار وتكرار الأعراض لفترات طويلة بشكل غير مرتبط بالملابسات والضغوط المحيطة بالشخص، ولعل من التفسيرات المحتملة لهذا الاضطراب وجود الاستعداد الوراثي لدى المريض، ولكن تعتبر العوامل البيئية مثل التربية والمستوى الاجتماعي والتعرض للإصابات أو بعض الأدوية والمواد المصنعة هي أهم العوامل المؤدية للإصابة وتفاقم هذه الحالات، وقد أثبتت الأبحاث أن نسبة كبيرة من الأطفال المصابين باضطراب السلوك المعاند يتطور المرض لديهم في المراحل التالية من النمو ويتم تشخيصهم باضطرابات السلوك الاندفاعي الأخرى.

سلوكيات مقلقة

إن اضطراب السلوك المعاند لدى الأطفال هو حالة من التوتر والتحدي المستمر والسلوك الانتقامي من الوالدين والكبار، حيث يولد بعض الأطفال بنزعات توترية ويعتبر الإهمال التربوي والتعرض للإيذاء بأنواعه أهم أسباب المرض.

وعادة ما يبدأ قبل مرحلة الالتحاق بالمدرسة ويصاحبه تأثير شديد في ترابط وتناغم الأسرة، ويفضل اللجوء للمختصين للمساعدة من خلال العلاج السلوكي والأسري، وقد يحتاج الطفل للعلاج الدوائي في بعض الحالات.

أما اضطراب المسلك لدى الأطفال فهو عبارة عن رغبة مستمرة في كسر قواعد المجتمع تتمثل في الاعتداء على الأقران وحتى الحيوان والرغبة في تدمير الممتلكات، وهم أكثر الطلبة هروبا من الدوام الدراسي، ولديهم سوابق السرقة والكذب بصفة عامة. وتشير الدراسات إلى تطور نسبة كبيرة من هذه الحالات ليتم تشخيصهم باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع فيما بعد.

ولكن يمكن تفادي تطور الحالات بالعلاج المبكر والمتابعة، أما اضطراب السلوك الانفجاري فهو عبارة عن نوبات غضب متكررة وقصيرة يصاحبها الاعتداء اللفظي أو الجسدي على الممتلكات أو الآخرين من دون مبرر خارجي حقيقي.

عادة ما يتم تشخيص هذا الاضطراب لدى المراهقين ممن تعرضوا للاعتداء الجسدي في فترات الطفولة ويمكن أن يستجيب للعلاج السلوكي المعرفي.

العلاج

لعلاج حالات الاضطراب السلوكي الاندفاعي يتم الفحص بمقابلة الطبيب النفسي وبالتنسيق مع التخصصات الأخرى، ودراسة الحالة الاجتماعية بواسطة الاختصاصي الاجتماعي وإجراء الاختبارات النفسية بواسطة الاختصاصي النفسي، ويتم وضع الخطة العلاجية حسب كل حالة، ويعتبر العلاج المعرفي السلوكي من أنجح الوسائل العلاجية في هذه الحالات، حيث يعاد تشكيل السلوك والتفكير والمشاعر من خلال تدريبات تتم في صورة جلسات مع المعالج النفسي، وقد يتم وصف بعض الأدوية الخاصة بعلاج الاكتئاب وأدوية علاج الإدمان لفترات محددة مع العلاج السلوكي المعرفي.

وللوقاية من اضطرابات السلوك الاندفاعي ولمنع تطور هذه الحالات لابد من تنمية الوعي بها من خلال المناهج الدراسية والمنصات الإعلامية، خاصة لدى المقبلين على الزواج وأولياء الأمور، ومن الأهمية بمكان العلاج والتأهيل النفسي للأطفال في حالة تعرضهم لأي نوع من الاعتداء ومتابعة السلوك لفترات ممتدة وبشكل ممنهج مع المختصين لمنع تطور هذه الحالات.

ويمكن أيضا بفحص النزلاء في المؤسسات العقابية الاكتشاف وإعادة التأهيل، وينبغي على كل أسرة تشجيع ومكافأة الأطفال على السلوك القويم وتنمية حس الالتزام بالأنماط والقواعد وتوضيح الحدود التي تتماشى مع القيم والأعراف بالمجتمع للطفل وتهيئته لمواجهة الضغوط والصدمات من دون الإخلال باستمرار إحساس الطفل بالأمان والدعم من الوالدين والأسرة والمجتمع.



أحمد نصيب علي حسين
كاتب وباحث

الاختصارات الخمسة المشوهة للزواج

هناك أشخاص يعانون من ضيق الأفق وسطحية شديدة في التعامل مع الأحداث والنظر للحياة، فلا يرون في الحياة إلا الشقاء، ولا يبصرون في الورد إلا الشوك، ولا يشاهدون في الماء إلا الكدر، ليست المشكلة في أن رؤيتهم لتلك الأمور ناقصة، بل في تصوير الواقع على أنه هذه الأمور فقط.

إن من أعظم الأشياء التي تشوه الرؤية وتشوش التصور وتفسد النظر للأمور اقتطاع جزء من الشيء وجعل هذا الجزء هو هذا الشيء كله، وهذا من أهم الأمور التي تفسد التصور نحو الزواج المعاصر، ليبدو الزواج أمرا يدعو للأحزان والهموم، مما ينفر الناس من الإقبال عليه وتشويه صورته.

وفي هذه السطور نلقي الضوء على بعض الاختصارات المشوهة لحقيقة الزواج، لنوضح الجزء المختفي من بقية الصورة، ونظهر الباقي من الحقيقة الغائبة؛ حتى نذوق لذته، وننال سعادته.

الزواج لقضاء الشهوة فقط

هذا أول الاختصارات المشوهة لحقيقة الزواج، فقضاء الشهوة من أهم مقاصد الزواج، لكن ليس هو كل مقاصد الزواج ولا منافعه، ولا حقيقته فقط، فالزواج هو بناء بيت مسلم يقوم على الاستمتاع المتبادل والمعاشرة بالمعروف والمشاركة في الأمور، ومن يختصر الزواج في قضاء الشهوة فقط سيرى نفسه خاسرا، وفي سعيه لمطالب المنزل شقيا، وسيرى ما دفعه من ثمن مغبونا، إن سيطرت تلك النظرة الضيقة على الزواج يكدر حياة الزوجين، فيضخم جانب الشهوة ويضعف الجانب النفسي والروحي والاجتماعي بينهما.

الزواج متاعب وشقاء

وهؤلاء الذين ينظرون للزواج بهذا المنظور يغفلون عن جانب الاحتساب في البلاء، ويريدون حياة وردية لا تعب فيها ولا عطاء، يبتغون حصادا بدون زرع، أو ثمارا من غير سقي ولا غرس، هؤلاء لديهم ضعف في جانب الغيبيات، فاحتساب الأجر في العطاء والتعب والبلاء يقوم على الإيمان بالغيب، هؤلاء يظلون في شقاء ما دام أنهم ينظرون للزواج بتلك النظرة



المادية البحتة، إن المحنة تنقلب في حال المبتلى لمنحة إذا احتسب الأجر وصبر ابتغاء وجه الله، وعند ذلك يمتلأ القلب رضا وسلاما، فتحلو الحياة، ويزداد العطاء، ويتسع القلب للبذل والإحسان.

الزواج صراع بين رجل وامرأة

وهذه من إفرازات الصراع بين الفكر النسوي المتعصب والفكر الذكوري المتشدد، من يرى تلك النظرة المشوهة رجلا أو امرأة يعيش في قلق وترقب كأنه ينتظر عدوا لا يدري من أين يأتيه، ويظل هذا الصراع المتبادل يتغذى على منشورات منصات التواصل التي تحرض الطرفين على أخذ العدة للمواجهة وتجهيز الأسلحة، الزواج يقوم على الود والسكينة والتقارب والتضامن والاتحاد، والتغافل عن الهفوات، والتنازل عن بعض الرغبات، ودفن العيوب في بحار المميزات، وفكرة الصراع بين الزوجين فكرة شاذة عن الزواج الإسلامي، وإذا وصلت تلك الفكرة للزوجين ستفسد بنيانه وتدمره تدميرا.

الزواج امرأة تخدم رجلا

وهذه من أغبى الأفكار التي استطاع الفكر النسوي وضعها في عقول بعض النساء، مع أن اختزال الزواج في ذلك الأمر مفسد للزواج، ومكدر صفو حياة الزوجات، فلو نظر الزوج بهذا المقياس للزواج لانقلب الآخر ساخطا على الحياة، ولشاهد ما يقدمه عظيما وكدره بمنه وتعداده، إن ما تقوم به المرأة في بيتها من خدمة لزوجها وأولادها جزء من دورها مثل الزوج الذي يخدم أهله خارج البيت بالسعي في طلب المال وتوفير ما يريدون، إن الذي يصحح ذلك التصور في التعامل مع خدمة الزوج بالمنهج الإسلامي القائم على العبودية لله واحتساب الأجر.

الزواج تضييع للأموال

وهذه نظرة ضيقة تقوم على الشح وتقديس المال والتعامل معه على أنه غاية وليس وسيلة، وهذه النظرة تضيع على الزوج احتساب الأجر في النفقات، مما يبغض فيه زوجته وأولاده، وقد يتعجلون فراقه، ويتمنون موته، إن الإسلام يرغب في النفقة على الأهل وتقديمه على سائر أبواب البر والإحسان، وجعله من أهم الأعمال الصالحة ؛ لذلك يقول النبي ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك»[1].

إذا أردنا أن نختصر الزواج اختصارا صحيحا، فليكن الزواج سبيلا لبناء بيت صالح يسعى لسعادة الدنيا والآخرة، فيكون إشباع الشهوة وسيلة، فما يلقاه المسلم فيه من بلاء اختبار يكفر السيئات ويرفع الدرجات، يتعاون فيه الزوجان لا يتصارعان، وما تقدمه الزوجة من خدمات وما ينفقه الزوج من سائر النفقات هو سبيل لرضا رب العالمين هذا هو الاختصار الصحيح للزواج.

الهوامش

١- صحيح مسلم، (٩٩٥)، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم.



عايد العرفج
باحث وكاتب اقتصادي

صعود وسقوط الدولة العباسية

استكمالا لحلقاتنا السابقة من تقييم للمنظومة الإسلامية اقتصاديا واجتماعياً وذلك بعد دور رسولنا الكريم المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين وما صاحب هذه الحقبة من فتن وصراعات أتت الخلافة الأموية التي استمرت لمدة تسعين عاما ثم سقوطها على يد الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح.

لذلك نريد اليوم أن نعرج على الخلافة العباسية وصعودها المدوي ومعانقة نجاحاتها للسماء واستمرار نهضتها لخمسة قرون متتالية أثرت البشرية وأثرت فيها تأثيرات إيجابية طالت كل مناحي الحياة من تقدم وحضارة ورقي.

وبناءً على ذلك نجد أن هناك أسباباً عديدة ومتعددة، منها الفكر الفلسفي الذي انتشر في العصر العباسي، والذي دعم العلم والفكر والفلسفة والفن، وساعد على ازدهار الحضارة الإسلامية، والاهتمام بالثقافة والعلم والتعليم، حيث تم إنشاء العديد من المدارس والجامعات والمكتبات والمراكز العلمية في جميع أنحاء الخلافة العباسية، مما أسهم في تعزيز المعرفة والتثقيف لدى الناس.

واستناداً لما سبق اتسع نطاق الخلافة العباسية وتوسعها في الأراضي الإسلامية، والتي أدت إلى زيادة الثروة والتجارة والازدهار الاقتصادي، الاستقرار السياسي الذي حكمالخلافة العباسية، والذي أدى إلى توفير الأمن والاستقرار للمواطنين، وجعل الخلافة مركزاً للحكم والقوة في العالم الإسلامي، والاهتمام بالعدل والمساواة بين الناس، وتوفير الرعاية والدعم للفقراء والمحتاجين، وهو ما أسهم في جعل الناس يشعرون بالأمان والثقة في الخلافة العباسية.

إضافة على ذلك نجد الدعم الكبير الذي قدمه الخلفاء العباسيون للفن والأدب والعلم، والذي أسهم في تطوير الفنون والأدب والعلوم في العالم الإسلامي وجعلها مركزاً للتقدم والابتكار، وتبني الخلافة العباسية للعديد من التقاليد والثقافات الأخرى، مما أسهم في إثراء الحضارة الإسلامية وتوسيع آفاقها.

وكانت الخلافة العباسية منارة للعلم ودعم العلماء ومشهورة بإنشائها للعديد من المدارس والجامعات والمراكز العلمية في جميع أنحاء الخلافة، وكانت بعض هذه المؤسسات التعليمية مشهورة بشكل خاص، ومن بينها:

جامعة القرويين: وهي أول جامعة إسلامية في العالم، وتأسست في مدينة فاس بالمغرب في القرن الثالث الهجري، وكانت تعتبر مركزاً للتعليم والفكر والثقافة.

مدرسة النظامية ومدرسة البيت المقدس أما جامعة الزيتونة تميزت في الدراسات الإسلامية والعلوم الطبيعية والفلسفة والتاريخ.

تميزت الخلافة العباسية بتطوير العلوم والفنون والاختراعات في العديد من المجالات، ومن أهم هذه المجالات، الرياضيات والجبر ومن أشهر علماء الجبر في هذا العصر كان المتنبي والخوارزمي والإسماعيلي، والهندسة كان العالم المسلم الأندلسي الزهراوي، أما في مجالات الطب قد ساهم العلماء المسلمون في تطوير الطب ومن أشهر الأطباء في هذا العصر كان ابن سينا.

وفي نفس الصدد نجد الفلك والفيزياء ومن أشهر العلماء في هذا المجال كان العالم المسلم الفارابي، أما الفنون فقد تميزت الخلافة بتطوير الفنون والأدب،

ومن العلماء جابر بن حيان الذي وضع نظرية الكيمياء الحديثة، والمسعودي وهو عالم مسلم ومؤرخ.

أبرز سلبيات الخلافة العباسية وبداية انهيارها

كأي نظام حكم آخر فإن الخلافة العباسية كانت تحمل بعض السلبيات والعيوب ومن أبرزها الفساد الإداري حيث كانت هناك مشاكل في الإدارة الحكومية وفساد، وقد حدثت صراعات داخلية شديدة بين الخلفاء والأمراء والعلماء والجماعات المختلفة، مما تسبب في عدم

الاستقرار السياسي والاجتماعي في الخلافة.

بدأت الحضارة العربية في التراجع بسبب الصراعات الداخلية والتحفظ على العلماء والاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية.

بدأت بعض القيم والأخلاق الإسلامية في الانحدار والتلاشي، وظهور بعض الظواهر السلبية في المجتمع.

ومن ثم حدوث الاضطرابات السياسية التي كانت سبباً رئيسياً في انتشار الانحلال الثقافي والأخلاقي.

تراجع التعليم والعلوم: بدأت المدارس والجامعات في التراجع والتلاشي، وانخفض مستوى التعليم والعلم في المجتمع.

بدأت القيم والأخلاق الإسلامية في التغيير والتلاشي، وظهرت بعض الظواهر السلبية في المجتمع.

وكان الفساد والفوضى الاجتماعية سبباً في انتشار الانحلال الثقافي والأخلاقي، وقد زادت الأمور سوءاً بسبب انتشار الفقر والبطالة والجريمة.

وقد شهدت بعض التدخلات من قبل بعض السيدات في القصر في الحكم والتخطيط للمؤامرات والمكائد، وكان هناك بعض النساء في القصر يمارسن بعض النفوذ السياسي.

إحدى العيوب الرئيسية للدولة العباسية كما ذكرت هي توريث الحكم للأبناء الفاسدين وغير الصالحين للأسف، حيث كانت الحكمة والكفاءة ليست العوامل الحاسمة في تعيين الخلفاء الجدد، بل كان الأمر يعتمد بشكل رئيسي على الولاء والانتماء العائلي.

ومن بين الأسباب أيضاً إضعاف للجيش في الخلافة العباسية، وتسريح عشرات الآلاف من الجنود، مما أدى إلى تراجع القدرة العسكرية

بعض أبرز إيجابيات ومميزات الخلافة العباسية:

- تربعها على قيادة الأمم أكثر من خمسة قرون وأخذ زمام المبادرة
- أسباب النهضة العباسية ونجاحاتها كثيرة ولا حصر لها
- الوفرة المالية والثروات الإسلامية وارتفاع الخراج ورفاهية الشعب
- تأثيراتها الإيجابية الواضحة على الدول والشعوب في كافة المجالات
- انتشار وتمدد الثقافة الإسلامية العربية في أصقاع المعمورة
- تطوير العلوم والاختراعات والجبر والهندسة وسائر الفنون

للدولة وتدهور الأمن الداخلي والخارجي بحجة تخفيض النفقات العسكرية.

وهذا الأمر الذي أدى لتعجيل نهاية الخلافة العباسية عن طريق القضاء عليهم من المغول الذين أثخنوا في جسد الخلافة الإسلامية وقطعوها إرباً وتسببوا في إنهائها وقتل عشرات الآلاف من المسلمين والعلماء وحرق مكتبة بغداد العظيمة وإغراق كتبها في نهري دجلة والفرات.

بعض أبرز سلبيات وعيوب الخلافة العباسية:

- اعتماد الحكم الوراثي حتى لغير الصالحين من أبناء الخلفاء
- تدخل سيدات القصر بالحكم والتخطيط للمكائد والمؤامرات حتى على بعض أبنائهن
- إسناد الأمر لغير أهله من البطانة الفاسدة مثل الفرس والبرامكة والمنافقين
- عدم وجود دستور والاعتماد على منهاج ثابت وترك الأمر للمزاجية والفردانية
- إضعاف الجند وتسريح عشرات الآلاف منهم وقصر نظر بعض خلفائهم والتسبب في الغزو المغولي وانهيار الدولة
- ظلم الضعفاء وجباية أموالهم وغض الطرف عن أقويائهم

د. مرزوق العمري
أستاذ جامعي

من أعلام الدعوة الإسلامية
الشيخ عمر العرباوي

قيض الله عز وجل لخدمة دينه والدعوة إليه رجالا تميزوا بما آتاهم الله من علم ومن قدرة على العمل أن يكونوا دعاة يدعون الناس في كل جيل من أجيال الإنسانية إلى دين الله سبحانه، لعل الله قيضهم ليحفظ بهم دينه وتتحقق على أيديهم عالمية الرسالة الإسلامية. هذا ما تثبته لنا السنة النبوية من التبشير بظهور من يجدد للأمة أمر دينها، وهؤلاء المجددون هم العلماء والدعاة، وقد شهد التاريخ الإسلامي المعاصر الكثير من الدعاة من هذا الفصيل، لكن الشهرة لم تكن متكافئة؛ فبعضهم لقي من العناية والتعريف به بما يكفي، وبعضهم الآخر لم يكن له ذلك. والتعريف بهؤلاء الأعلام هو بكيفية أو بأخرى خدمة للدعوة الإسلامية لأنه تعريف برجالها الذين قاموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من فرائض الإسلام الباقية. ومن هؤلاء الدعاة الذين كان لهم الأثر في تاريخ الدعوة الإسلامية في تاريخها المعاصر الشيخ عمر العرباوي، فمن هو الشيخ عمر العرباوي؟ وما هي إسهاماته الدعوية؟



هو الشيخ الحملاوي بن الشيخ صالح بن عبدالكريم العرباوي؛ هذا هو اسمه المثبت في وثائقه الرسمية، ويدعى عمر وهو تقليد سائد في الأسماء لدى الجزائريين، خصوصا الذين عاشوا العهد الاستعماري، وقد ساد الاسم الذي يدعى به على الاسم الرسمي فكانت مقالاته يوقعها باسم عمر العرباوي وحتى كتبه نشرت باسمه هذا «عمر العرباوي» حتى اشتهر لدى الجزائريين بعمر العرباوي ولا يكاد يعرفه باسم الحملاوي إلا المقربون منه أو الذين اهتموا بترجمته وبحياته الشخصية. أما أمه فهي فاطمة بنت بلقاسم.

ولد الشيخ عمر العرباوي سنة ١٩٠٧م في قرية «سيدي عيسى»، وهي إحدى الدوائر التابعة لولاية المسيلة في التقسيم الإداري الحالي للجزائر. كان ذلك في فترة تاريخية عصيبة تمر بها الجزائر جراء الاستعمار الذي تعرضت له قبل ميلاد الشيخ بما يقارب القرن من الزمان.

ولد الابن عمر ونشأ، رحمه الله، في بيت بسيط بساطة الحياة الجزائرية

يومها، لكنه من بيوت القرآن الكريم؛ فوالده الشيخ صالح كان أحد معلمي القرآن الكريم في بلدته، ومن الذين تتلمذوا على يده ابنه عمر الذي بدأ حفظه للقرآن على يد والده ولكنه لم يكمل حفظه كله على يديه، إذ انتقل إلى إحدى الزوايا القريبة من تلك الناحية لإتمام الحفظ ولتعلم ما يمكن تعلمه من علوم الشريعة. كانت رحلته العلمية الأولى إلى زاوية الشيخ سعد بوطويلي بشلالة العذاورة وهي إحدى الدوائر التابعة لولاية المدية في التقسيم الإداري الحالي للجزائر، وتبعد حوالي ١٤٠ كلم جنوب العاصمة الجزائرية، بهذه الزاوية أتم الشيخ عمر العرباوي حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من العمر، ولطبيعة الظروف الاجتماعية الصعبة التي كانت تمر بها الأسرة الجزائرية ومنها اسرة الشيخ العرباوي لم تتمكن هذه الأسرة من تسديد ما يحتاجه الابن عمر الناشئ المتعلم، فاضطر إلى الإقامة عند عمته التي كانت تسكن في بئر خادم بالعاصمة الجزائرية.

ودفعته أوضاعه الاجتماعية الصعبة إلى البحث عن مهنة مناسبة يستعين بها على حاجاته فزاول هناك مهنة جني المحاصيل في المزارع، وفي هذه الفترة انتقل إلى زاوية سيدي المهدي بالبليدة فتعلم بها علوم الشريعة من: فقه وحديث وتفسير... وغيرها من العلوم الشرعية. وخلال هذا المسار التكويني عرف عنه رحمه الله حبه الشديد للعلم والسعي في طلبه، ويذكر من عرفه ومن بعض مترجميه أنه من صور هذا التفاني في طلب العلم أنه كان يملك شياها (جمع شاة) وكان يوما في حاجة إلى كتاب مختصر خليل في الفقه المالكي فباع من شياهه لشراء هذا الكتاب الذي كان معتمدا عند مالكية المغرب الإسلامي وعند الجزائريين خاصة بشكل كبير. وهذا أحد مظاهر شغفه بالعلم واهتمامه بالكتاب.

لما كبر الشيخ عمر العرباوي وببلوغه الثلاثين من العمر ابتلي العالم بالحرب العالمية الثانية وكان ذلك سنة ١٩٣٩م. أرغم من طرف الجيش الفرنسي على المشاركة في هذه الحرب، فأخذ إلى بلجيكا لكنه سرعان ما فر منها ليتجه إلى تونس ومنها كانت عودته إلى الجزائر، لكنه لم يعد إلى سيدي عيسى مسقطه رأسه بل إلى الحلوية تحديدا. والحلوية هي إحدى مراكز بلدية الصومعة التابعة لولاية البليدة.

ملامح شخصيته

إن الروح الدينية والوطنية التي تسكن الشيخ العرباوي وانشغاله بقضايا الأمة جعلاه يتميز في مواقفه إزاء التحولات التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية عموما والجزائر خصوصا غداة الاستقلال وحتى ثمانينيات القرن العشرين، فقد تميز مساره التكويني والدعوي بمحطات مهمة في تعاطيه مع قضايا الأمة يومها، وهذه المحطات شكلت مساره الدعوي وهي تستدعي منا الوقوف عندها وأخذ العبرة والدروس منها:

- **الحرص على العلم:** وهي خصلة تميز بها منذ صباه، وتمثل هذا في بيعه وهو صغير لغنمه ليتسنى له شراء الكتاب الفقهي (مختصر خليل)، وكما قيل البداية تدل على النهاية، فإن الذي يضحي ولو بالشيء القليل من أجل العلم ومن أجل فهم الإسلام سيتعود على التضحية في الأمور العظيمة بالشيء العظيم، فمن باع غنمه من أجل اقتناء كتاب، حتما سيبيع نفسه لله ويضحي بكل شيء من أجل دينه وعقيدته، وهذا ما تجلى في حياته في مرحلة لاحقة في شبابه وحتى في شيخوخته رحمه الله.

- **التقوى والعبادة:** لا شك أن العلم يورث التقوى الباعثة على العبادة وقد جاء في الأثر: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»، والذي لا يزيده العلم خشية بالله فليس بعالم وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر:٢٨)، فالعلم يدفع بصاحبه إلى رياض الخشية من الله والحب فيه، ويتجلى ذلك في عبادته والتزام طاعته، ولشيخنا العرباوي نصيب وافر من ذلك، فقد ذكر عنه أنه صلى لله ركعتين بالقرآن كاملا ولم يتعد سن الخامسة عشرة، فياله من اصطفاء واختيار!

نشاطه الدعوي

توزع النشاط الدعوي للشيخ عمر العرباوي على: التعليم والخطابة، والوعظ والإرشاد في المساجد والكتابة في الصحف وهو الفضاء الإعلامي المتاح في ذلك الوقت، شأنه في ذلك شأن رجال جمعية العلماء عموما.

ففي مجال التعليم وبعد عودته من بلجيكا وفراره من الجيش الفرنسي وقرار التجنيد الإجباري ولشغفه بالعلم انطلق في عمله الدعوي متخذا من فضاء التعليم الفضاء الرئيسي لهذا العمل، فقام بتأسيس مدرسة يعلم فيها الناس أمور دينهم، ويؤمهم في الصلاة فيها، وبعدها رجع إلى مسقط رأسه بمدينة المسيلة واشتغل بالتعليم الديني والإمامة والعمل الدعوي؛ فكان يؤم الناس في الصلاة ويعلمهم ويقدم لهم دروسا في الوعظ في مساجد مدينة المسيلة.

وحينما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي أسسها الشيخ عبدالحميد بن باديس وكتب لها الرواج، صار الشيخ عمر العرباوي من منتسبيها، وكان على صلة برجالها البارزين، مثل: الشيخ البشير

الإبراهيمي والعربي التبسي والطيب العقبي وأحمد سحنون، وكان انضمامه إلى الجمعية أواخر الأربعينيات وهي السنة التي تزوج فيها. وشغل منصب رئيس شعبة جمعية العلماء بالعاصمة الجزائرية، وفي هذه المرحلة ركز نشاطه الدعوي في العاصمة الجزائرية وفي أحيائها العديدة مثل: السحاولة التي أنشأ بها مدرسة قرآنية. وبعدها درس بالتهذيبية ببولوغين، وبمسجد بلوزداد وهذا إلى غاية سنة ١٩٥٦م، وفي هذه السنة من سنوات الثورة الجزائرية الكبرى اعتقل الشيخ العرباوي.

واندلعت الثورة الكبرى كان الشيخ العرباوي مثل أحرار الجزائر الذين يتوقون إلى الحرية، فكان ممن لبوا النداء حينما نادى المنادي، ولارتباطه بجمعية العلماء التي كانت مسكونة بهذا الشعور وهذا الأمل، فلبت النداء من أول يوم بدأت فيه الثورة التحريرية، وقسم الشيخ العربي التبسي المهام على أعضاء الجمعية، فكان نصيب الشيخ العرباوي ثقيلا، إذ كان مكلفا بالخطابة والتحريض على الجهاد ضد فرنسا، وكلف كذلك بتوجيه الراغبين في الالتحاق بميادين القتال، وبجمع المال والسلاح وإرساله إلى الثوار.

لما علم العدو الفرنسي بذلك، قام باعتقاله بعدما اعتلى منبر الجمعة في يوم من أيام رمضان سنة ١٩٥٦م، فعذب وسجن، ومر بعدة سجون بدءا بالبرواقية فبوسوي ثم آركول، وقد التقى في البرواقية برفقاء دربه الشيخين: أحمد سحنون ومصباح الحويذق، وهما من أئمة الجزائر أيام الثورة التحريرية وبعدها. ومكث في السجن حوالي خمس سنوات ونصف السنة، وفي ١٩٦١م أفرج عنه ليبقى تحت الإقامة الجبرية حتى خروج فرنسا سنة ١٩٦٢م. وبعدها عاد ليؤم المصلين ببلكور في العاصمة الجزائرية كمتطوع ثم إلى الحراش فسكن بها ودرس بها حتى وفاته رحمه الله، وفي ١٩٧٥م أحيل إلى التقاعد، لكنه لم يترك الدعوة والإرشاد، فدرس بمسجد باب الوادي بالعاصمة خمس سنوات متتابعة.

مواقفه الدعوية

انشغل الشيخ العرباوي بالقضايا التي كانت تجابه الإسلام وشهدها العالم الإسلامي في زمانه وتصدى للقضايا المؤثرة على الرؤية الإسلامية يومها على مستوى السياسة أو الاجتماع أو غير ذلك، وبذلك كان متفاعلا مع قضايا عصره، ومن هذه القضايا:

١- القضايا السياسية: وتأتي في صدارتها قضية الاشتراكية التي اتخذت كأيديولوجيا سياسية في الكثير من بلاد الإسلام، وبحكم محلية خطابه الدعوي كان يناقش النموذج الاشتراكي في صورته الجزائرية بحكم معايشته لهذه المرجعية السياسية الجديدة وكان ذلك خلال عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي أي بعد الاستقلال وتصفية الاستعمار. فقد آلمه حال الجزائر آنذاك، يقول رحمه الله: لما طرد الاستعمار من البلاد أخذ الجزائريون زمام الحكم بأيديهم، ولكن سرعان ما تنكر بعض الشباب للدين ولعوائده وأخلاقه وقطعوا صلتهم به، لعبت المادة والشهوات بعقولهم فراجت موجة ناتجة من الإلحاد كادت أن تعم طبقات الشعب، وأصبح الإسلام يتهم بالرجعية والتأخر.. وقد كان من الأوائل الذين عارضوا اختيار النظام الجزائري لمنهج الاشتراكية بعد خروج فرنسا، ورفض لقاء المسؤول الأول آنذاك، وشن حملته على الاشتراكية وأهلها، بخطبه التي كان يلقيها بمساجد العاصمة ودروسه التي يقدمه التلاميذه، وكذا بكتاباته فألف في ذلك كتابه «الاعتصام بالإسلام»، مبرزا فيه محاسن الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، وفاضحا الاشتراكية مبينا مثالبها وقبائحها.

لقد قام الشيخ رحمه الله بما يجب أن يقوم به العالم الرباني الذي عاهد الله على أن يصدع بالحق والتبليغ التام والكامل، فلاقى جراء كلمة الحق ما يلاقيه كل مصلح، فضيق عليه وهمش وأصبح مراقبا، ولازمه هذا التضييق إلى وفاته رحمة الله عليه.

٢- القضايا الدينية: وقد تمثلت في واقع التدين في زمانه، وتعاليم الإسلام وكيف يجب تقديمها، وتشخيص أسباب تدهور المسلمين، وغير ذلك وهي كما يلي:

أ - أثر الإيمان في صناعة الجيل الأول: وفيه عرج الشيخ العرباوي على تاريخ العرب قبل الإسلام مشخصا استصغار الواحد منهم لنفسه كونه يسجد لحجر معظما له، انتقل من هذا الوضع إلى وضع آخر تحققت فيه إنسانية الإنسان واهتدى فيه إلى خالقه وكان أول من فتح عليه بذلك الجنس العربي الذي كان يعيش الجاهلية فـ: «انتقل العرب والذين أسلموا عن معرفة بالجاهلية العليلة الغامضة الميتة إلى معرفة عميقة واضحة روحية ذات سلطان على الروح والنفس والقلب والجوارح، ذات تأثير في الأخلاق والاجتماع، ذات سيطرة على الحياة وما يتصل بها». والذي فعل بهم ذلك هو الإيمان بالله فهو الذي صنع الجيل الأول ويبقى أثره مستمرا ما استمر الإنسان في الالتزام بالدين وبتعاليم الإيمان كما أمره الدين بها.

ب - تعاليم الإسلام وحاجة الإنسان إليها. وهو جانب نجده حاضرا في الخطاب الدعوي بشكل عام وعند الدعاة من كل جيل من أجيال المسلمين ومنهم الشيخ العرباوي الذي كان يرى أن تعاليم الإسلام قوة روحية ومادية معا وأنها عدالة اجتماعية ورحمة لجميع الناس، مبينا من خلال ذلك

حقيقة الإيمان على أنه القوة الباعثة على العمل الصالح والموجه إلى الله عز وجل. وأن الإسلام هداية إلهية إلى الناس جميعا من خلال دعوته إلى السلام والتعاون وحمايته لحقوق الإنسان واستخلافه في الأرض وأمره بعمارتها، وبيان الأسس التي ينطلق منها الإسلام وأولها توحيد الله عز وجل، والالتزام بالدين منهجا حتى يعيشوا طائعين لا عصاة، وعليه فأساس التفاضل في الإسلام هو العمل الصالح، وبناء على ذلك رد الشيخ العرباوي على بعض المفاهيم الخاطئة التي سادت في جيله مثل المفاهيم الغربية القائمة على العنصرية والقومية القائمة على الجنس... وغيرها.

وفي ضوء هذه الشمولية الإسلامية عالج الكثير من المسائل التي كانت مطروحة في زمنه وبعضها لا يزال محل نقاش مثل: حرية المعتقد، وعلاقة المسلم بالآخر، والمساواة في الإسلام، وإحياء الشعائر الإسلامية، والعدل في الإسلام، وعالمية الإسلام، والتعليم الديني وطبيعة الحكم... وغيرها، وكل ذلك، ويشير الشيخ العرباوي إلى أن هذه المسائل الجليلة في الدين قد يتوقف أمر تبليغها على الداعية وكفاءته وأخلاقه حتى يكون ناجحا مؤثرا فيقول: «طلب الإسلام من كل داعية أن يكون هادئ الطبع لين العريكة، فيقول الله لنبيه الكريم: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩)».

٣- القضايا الاقتصادية: من الجوانب التي ناقشها الشيخ عمر العرباوي من منظور إسلامي قضايا الاقتصاد فذكر بأن الإسلام: قرر أن يمنع الاحتكار وكنز الأموال وقرر أن يمنع الاستغلال بغير عمل، وقرر أن يتداول الجميع الثروة ولا تكون دولة بين الأغنياء، وقرر أن تكون للضعفاء والمحرومين حصة سنوية، وقد يزاد عليها بأمر الإمام وإحسان المحسنين وإذا تقرر هذا في مجتمع إنساني فلا حرج عليه أن يتخذ له نظاما من نظم المعيشة الاقتصادية كيفما كان، والتطرق إلى الجانب الاقتصادي من الإسلام يأتي في إطار الحديث عن شمولية الإسلام لجوانب الحياة المختلفة وفي إطار السجال الذي عرفه زمن الشيخ العرباوي الذي تضمن صلاحية وعدم صلاحية الإسلام كمرجعية شاملة للمسلم المعاصر.

٤- القضايا الحضارية: من المسائل التي كانت مطروحة في زمن الشيخ العرباوي وقبله وما زالت حتى في زماننا هذا مسألة تأخر المسلمين حضاريا، وهي تهمة اتهم بها الإسلام من قبل خصومه، وقد وقف عندها الشيخ العرباوي مشخصا للمشكلة ليعطي لها الحل، فعن أسباب تدهور المسلمين حضاريا يقول: «سبب هذا التدهور هو الخلافات السياسية والدينية وتنازع الرئاسة والانصراف عن العقيدة إلى ألفاظ ميتة لا روح فيها، والانغماس في أنواع الترف والنعيم، والإقبال على لذائذ الحياة الماجنة، والغرور بسلطانهم والانخداع بقوتهم، وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم». هذه أهم الأسباب التي ورثت التخلف الحضاري لدى المسلمين، فمنها الديني ومنها الدنيوي، وقد وقف الشيخ العرباوي عند ظاهرة التخلف هذه بعد تتبعه لمحطات النهضة والسقوط من فجر الإسلام الأول حتى عصرنا الحديث فتاريخنا المعاصر.

وفاتــه

بعد حياة ملؤها الصدق والثبات على الحق توفي الشيخ عمر، رحمه الله، يوم الأحد ٩ ربيع الأول ١٤٠٥هـ الموافق ٢ ديسمبر ١٩٨٤م، ودفن بمقبرة سيدي رزين على الطريق الرابط بين الحراش وبراقي في العاصمة الجزائرية، رحمه الله برحمته الواسعة. وتخليدا لذكراه واعترافا بفضله قامت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بتسمية أحد مساجد العاصمة الجزائرية باسمه.

آثــاره

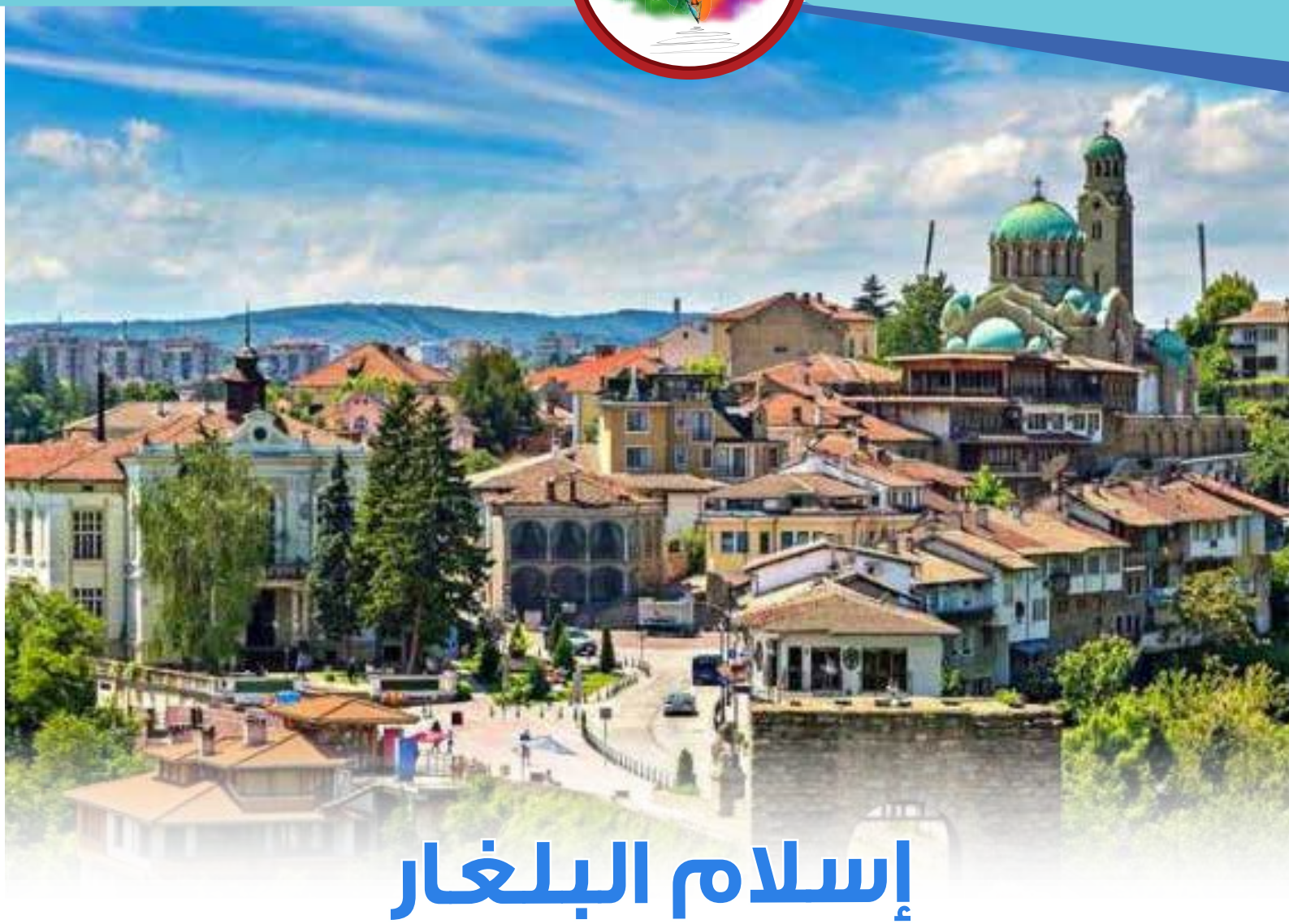
ترك الشيخ عمر العرباوي مجموعة مقالات نشرت في صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثل جريدة البصائر، وفي الاستقلال كان يكتب في مجلة التهذيب الإسلامي التي كانت تصدر عن جمعية القيم كما ترك كتابين اثنين هما:

١- الاعتصام بالإسلام: وألفه في فترة حكم الاشتراكية بالجزائر. وهو كتاب طرق الشيخ العرباوي فيه أهم المسائل الدعوية التي عاصرها ورأى أنها تضر بالإسلام بكيفية أو بأخرى، كما أنه ناقش فيه بعض القضايا التي فهمت فهما خاطئا وعمل على تصحيح التصورات التي سادت إزاء هذه القضايا فعالجها معالجة الداعية الرسالي مؤصلا لها بكيفية تلائم الذوق والفهم في زمنه ولذا يمكن القول إنه كان متفاعلا مع واقعه الدعوي.

٢- كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»، وهو كتاب في العقيدة، قدم فيه مسائل العقيدة بطريقة دعوية يشبه في ذلك ابن باديس ومبارك الميلي من شيوخ جمعية العلماء في عرضهم لقضايا العقيدة.

نتمنى أن يعتنى بهذا العلم من أعلام الدعوة الإسلامية في تاريخنا المعاصر ليتم التعريف به وبإسهاماته في خدمة الدعوة الإسلامية، فهذا من حقه علينا حق المعلم على التلاميذ على كل حال. وبعد وفاته وتخليدا لذكراه سمي أحد المساجد في العاصمة الجزائرية باسمه رحمة الله تعالى عليه.

د. نادية هشام عدلي محمود
باحثة أكاديمية



إسلام البلغار

البلغار قديما كانت تقع على ساحل بحر «مانيطس» وهو الآن بحر «آزوف» المتفرع من البحر الأسود، كانت مدينة عظيمة مبنية من خشب الصنوبر وسورها من خشب البلوط وحولها أمم كثيرة للغاية من الترك، يبلغ النهار عندهم عشرين ساعة وليلهم يبقى أربع ساعات وإذا قصر نهارهم يعكس ذلك، أما الجو فهو شديد البرودة لا يكاد الثلج ينقطع عن أرضهم صيفا أو شتاء، أما بالنسبة لبداية ظهور الإسلام بها حكى أن رجلا صالحا دخل البلغار وكان ملكها وزوجته مريضين فاقدي الأمل في الشفاء، فقال لهما: إن عالجتكما تدخلا في ديني؟ قالا: نعم! فعالجهما فدخلا في دين الإسلام، وأسلم أهل تلك البلاد معهما، فسمع بذلك ملك الخزر -وهي المملكة المجاورة لهم- فغزاهم بجنود عظيمة، فقال ذلك الرجل الصالح: «لا تخافوا واحملوا عليهم وقولوا الله أكبر الله أكبر»، ففعلوا ذلك وهزموا ملك الخزر، ثم بعد ذلك تصالحوا مع ملك الخزر وقال: «إني رأيت في عسكركم رجالا كبارا على خيل شهب يقتلون أصحابي! فقال الرجل الصالح: أولئك جند الله! وكان اسم ذلك الرجل «بلار»، فعربوه فقالوا «بلغار» هكذا ذكر القاضي البلغاري في تاريخ بلغار.

اتسم أهل البلغار بالصبر الشديد وهذا ما فرضته عليهم طبيعة الحياة الثلجية، فظهر ذلك في تحملهم البرد وساعدهم على ذلك أن أكثر طعامهم كان يتكون من العسل ولحم القندر والسنجاب، ونادرا ما يرى أهلها أرضا ناشفة، ويقول «ياقوت الحموي» إنه رأى الحيات عندهم كثيرة حتى إن

الغصن من الشجر ليتلف عليه عشر منها وأكثر، ولا يقتلونها ولا تؤذيهم، ولهم تفاح أخضر شديد الحموضة تأكله الجواري، وليس في بلدهم أكثر من شجر البندق، قال: ورأيت لهم شجرا لا أدري ما هو، مفرط الطول وساقه أجرد من الورق ورؤوسه كرؤوس النخل، وليس عندهم شيء من الأدهان سوى دهن السمك، فإنهم يقيمونه مقام الزيت والشيرج؛ لذا فهم كانوا زفرين، وملبسهم جميعا القلانس. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٨٥- ٤٨٨؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٦١٢-٦١٤).

دور البلغار في نشر الإسلام

لم يكن واضحا على وجه التحديد متى اعتنق البلغار الإسلام، لكن ما ذكره المؤرخون العرب أنه كانت هناك صلات تربط بين بلاد البلغار وبلاد العرب المسلمين منذ ظهور الإسلام، وأيضا قبل الإسلام عن طريق طرق التجارة الواقعة شمال بحر الخزر والتي ترجع إلى القرن الأول قبل الميلاد وكانت تتمثل في: الأنسجة والنبيذ وغير ذلك من سلع الأمم المتحضرة لمقايضتها بسلع الرعاة مثل: الجلود والرقيق، ولقد دخلت آسيا الوسطى منذ ذلك العهد في علاقات تجارية لا مع الهند وحدها بل ومع الصين أيضا لذا كان من الطبيعي وجود سلع الشرق الأقصى طريقها إلى جنوبي روسيا[١]، فالتجار العرب صعدوا لنهر الفولجا حتى بلاد البلغار، وكانت البلغار حينها نقطة تجمع منتجات الشمال[٢]، فالصلات بين البلغار والعرب بعضها كان لأسباب عسكرية تتعلق بوصول العرب إلى مناطق قريبة من منطقة الأتراك والبلغار والخزر والصقالبة وغيرهم، وبعضها تعود إلى أسباب اقتصادية متمثلة في التجارة والتبادل التجاري التي كانت عاملا مهما من عوامل انتشار الإسلام في تلك البلاد الشمالية[٣]، ثم جمعت بينهم الصلات الدينية بعد ذلك واعتناقهم للدين الإسلامي.

مما لاشك فيه أن قصة الرجل الصالح والمعاملات التجارية كانوا النواة لمعرفة تلك البلاد الشمالية عامة وجنوبي روسيا خاصة أي البلغار والصقالبة في معرفة الدين الإسلامي، حيث أرسل ملك البلغار رسالة إلى الخليفة العباسي يطلب منه أن يرسل له من يفقهه في الدين الإسلامي، أي كان بالفعل تم اعتناقه للإسلام وكان بحاجة لمعرفة تفاصيل هذا الدين الجديد، وهنا سأعرض خلاصة تلك الرسالة من خلال كتاب «رحالة ابن فضلان» الذي كان على رأس هذا الوفد الذي ذهب لبلاد البلغار والصقالبة.

رسالة ملك الصقالبة

وفد رسول ملك الصقالبة الذي يدعى «عبدالله بن باشتو الخزري»، وعجيب أن يرسل الصقالبة رجلا خزري الأصل؛ لعلهم اختاروه لمعرفته باللغة العربية، أو لثقتهم به، يطلب من أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يرسل إليه من يفقهه في الدين، ويعرفه شرائع الإسلام، ويبني له مسجدا، وينصب له منبرا، ولاقت هذه الدعوة الترحاب من الخليفة المقتدر ووزيره «حامد بن العباس»؛ سعيا إلى حلف ثقافي ديني عسكري[٤]، وقررا أن يكون الوفد الرسمي من أربعة أشخاص هم: «سوسن الرسي» مولي نذير الخرمي، و«تكين التركي»، و«بارس الصقلابي»، يرأسهم «أحمد بن فضلان»، برفقة رسول الصقالبة، ويخيل إلينا أن اثنين من أعضاء الوفد البغدادي يعرفان الروسية، الأول «سوسن» يبدو في نسبته من بلاد الروس، استجلب كرقيق ثم تعلم العربية وحسن إسلامه وترقى في المناصب حيث وصل لحاجب المكتفي فيما يبدو، والثاني «بارس الصقلابي» واسمه ونسبته دليلان على أصله، وأما الثالث «تكين التركي» فهو تركي الأصل، يجيد لغات الترك التي يمر ببلادها الوفد في طريقه إلى الفولجا، وكان يعمل حدادا في خوارزم، وقف على بيع الحديد في بلد الكفار، وهو الذي أقنع «نذير الخرمي» بإيصال كتاب ملك الروس إلى الخليفة المقتدر فيما تقوله الرسالة، أما الرابع «أحمد بن فضلان» كان يجهل اللغات الأجنبية، لكنه ملم باللغة العربية وبالشريعة الإسلامية، وهو رئيس الوفد وقائده، ويقول: «فندبت أنا لقراءة الكتاب عليه، وتسليم الهدايا، والإشراف على الفقهاء والمعلمين»، وقد أرفق الوفد بأشخاص ثانوية وهم الفقيه والمعلم والغلمان، وهم في مرتبة الملحقين المعاونين، وحمل الوفد

معه أدوية طلبها ملك الصقالبة من «نذير الخرمي»، هذا يدل على تقدم المملكة العباسية، وغنى حضارتها، وفقدان بلاد البلغار للأدوية والعلاجات آنذاك[٥].

إذا أسباب رحلة ابن فضلان لملك الصقالبة تتلخص في الآتي:

١- إرسال جماعة من المسلمين من علماء الدين ليفقهوا الملك وقومه في الدين ويعلمونهم أحكام الشريعة الإسلامية.

٢- بناء حصن من مال الخليفة يتحصن فيه من الملوك المخالفين له.

٣- بناء مسجد للملك، وينصب فيه منبرا ليقيم عليه الدعوة للخليفة في بلده وجميع مملكته.

٤- إرسال بعض العقاقير والأدوية؛ ليستعينوا بها في معالجة مرضاهم[٦].

يتضح من خلال هذه المطالب أن ملك البلغار أراد توثيق علاقاته مع الدولة العباسية في عهد الخليفة المقتدر بالله، ونستدل أن الملك كان مسلما قبل هذا الوفد، وأراد الاستفادة من إمكانيات الدولة العباسية وقدراتها وحضارتها؛ ليكسب قوة بانتسابه إلى خليفة المسلمين؛ لمواجهة أعدائه وأعداء الإسلام المجاورين له[٧].

الرحلة وسيرها

رحل الوفد من بغداد يوم الخميس الموافق ١١ من صفر ٣٠٩هـ/ ٢١ يونيو ٩٢١م، وظل يصعد شرقا وشمالا مارا بإقليم الجبال[٨]، فهمذان[٩] فالري[١٠] قرب طهران اليوم وعبر جيحون، فبلغ بخارى، ثم أوغل في البراري والبوادي



حتى وصل إلى الفولجا، عند ملك الصقالبة يوم الأحد الموافق ١٢ من محرم ٣١٠هـ/ ١١ مايو ٩٢٢م، استغرقت الرحلة أحد عشر شهرا[١١]، وحينا يذكر ملك الصقالبة باسم «الحسن» وحينا «ألمش بن يلطور أو بلطور أو فلاديمير أي أمير فولاذ[١٢]، وذكر ابن فضلان[١٣] إنه كان معهم واحد من الباشغرد دخل في الإسلام، وكان يخدمهم في طريقهم إلى ملك الصقالبة[١٤].

كان استقبال وفد ابن فضلان استقبالا يملؤه الإجلال والإكرام، استقبله أربعة ملوك من الصقالبة، متمثلين في أمير الصقالبة وإخوته وأولاده ومعهم الخبز واللحم والجاروس وساروا معهم مقدار فرسخين (٩ كيلو متر ونصف[١٥] واستقبلهم «ألمش بن يلطور» بنفسه، وعند رؤيتهم خر ساجدا شكرا لله ونثر عليهم دراهم، وأنزلهم في قباب، وعقب انتهائه من قراءة كتاب الخليفة المقتدر بالله كبروا تكبيرا ارتجت لها الأرض.

نتيجة رحلة هذا الوفد

بعد انتهاء مهمة السفارة التي شارك فيها ابن فضلان وعودته إلى بغداد لم تنقطع علاقة البلغار بالخلافة العباسية، ومن خلال وصفه أن ملابسهم ومقابرهم تشبه المسلمين، لذا هذا يؤكد أن الإسلام لم يكن جديد العهد بل له وجود في تلك البلاد من قبل هذا الوفد، وبعد ذلك أصبح عندهم مساجد ومدارس ومؤذنون وأئمة، وتصحيح ما كان سائدا بينهم من قيم تتعلق بألقابهم، وأسمائهم، وأسلوب الخطبة بأسمائهم، وأداء الصلاة، والأذان وغيرها من أمور، إذن نجحت بعثة ابن فضلان في تأسيس أول قاعدة إسلامية صحيحة وتعاليم إسلامية سليمة في تلك الأصقاع.

ويرجع الفضل في إسلام البلغار ومعرفتهم به قبل ذلك الوفد إلى التجار المسلمين، الذين كانوا يتاجرون في الفراء وسائر السلع التي كانوا يحصلون عليها من البلاد الشمالية[١٦]، وكان الروس أيضا يتاجرون في البلغار على نهر إتل حينها، ومما لا شك فيه أن الصلات التجارية للبلغار مع الخزر كانت تنمو وتتسع، وعن طريقها ساعدت الدين الإسلامي



على الانتشار بين البلغار ومما حولها، وكان إسلام البلغار حدثا عظيما في حوض الفولجا؛ لأنه تحول إلى قطر إسلامي[١٧]، فقد وجدت نقود عربية محفوظة في متحف «لننغراد» ضربت في عهد المقتدر بالله، لعلها جاءت مع بعثة ابن فضلان إلى البلغار[١٨].

ولم يقف الأمر عند التجارة فحسب، أو إرسال وفد ابن فضلان إلى ملك البلغار بل كان هناك احتكاكات من قبل ذلك بين المسلمين والبلاد الشمالية، ومن مظاهر هذه الاحتكاكات بين المسلمين والبلاد الشمالية عامة وبلاد الروس والصقالبة خاصة، أنه في سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م سار «يزيد بن عبد الملك» إلى القسطنطينية في البر برفقة «عمر بن هبيرة» في البحر مجتازين الخليج وفتحا مدينة الصقالبة[١٩]، فكانت تحوى البلغار جالية إسلامية لها مسجدها، ودار سكة نقود على طراز وأسماء الخلفاء العباسيين في القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري، وكان بها حي خاص بالمسلمين ويؤلفون ثلث سكان المدينة حينها[٢٠]، وملابسهم أيضا شبيهة بملابس المسلمين ولهم مقابر مثل مقابر المسلمين، وهذا ما ذكره ابن فضلان من وصف لملابسهم ومقابرهم، وكان يحمل إليهم من المسلمين الدراهم البيض المدورة[٢١]، وفي خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦: ١٥٨هـ/ ٧٥٤: ٧٧٥م) أرسل الداعية أبا مسلم إلى شمال القوقاز على رأس هيئة من العلماء ليواصل الدعوة للإسلام في تلك البلاد، وأقام فيها سنتين تقريبا ثم رجع إلى بغداد سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م بعد أن أقر كل أمير على إمارته وأخذ الإسلام يتغلغل في تلك القبائل الجبلية[٢٢].

الهوامش

١- بارتولد: معرفة العرب بالروس، ص١٢.
٢- هايد: تاريخ التجارة، ص٧٧.
٣- محمد كريم الشمري: التأثير العربي، ص١٣؛ حسين على الداقوقي: دولة البلغار، ص٢٠٦- ٢٠٧.
٤- ابن فضلانن: رحلة، ص٢٣.
٥- ابن فضلان: رحلة، ص٢٣- ٢٥.
٦- ابن فضلان: رحلة ابن فضلان، ص٢٢- ٢٥.
٧- محمد كريم الشمري: التأثير العربي الإسلامي، ص١٨.
٨- إقليم الجبال: هو منطقة جبلية غليظة يزيد طولها عن ١٠٠٠ كيلو متر وعلى ٢٠٠ كيلو متر عرضا، وهو نوع من سلسلة كثيفة مؤلفة من التواءات ضخمة متوازية، عرفت باسم إقليم الجبال في أيام الخلافة العباسية، وبها نهر واحد هو نهر ديالي، وهذا النهر لعب دورا مهما كطريق مواصلات بين الهضبة الإيرانية وبين سهل ما بين النهرين (موريس لومبارد: الجغرافية التاريخية، ص٦٣).
٩- همذان: كانت أكبر مدينة بالجبال، وكان بها الكثير من التجار (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤١٠- ٤١٧).
١٠- الري: هى مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، وهى محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١١٦).
١١- ابن فضلان: رحلة ابن فضلان، ص٢٥.
١٢- ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص١٤١؛ ابن فضلان: رحلة، ص٥٧؛ يوسف مرتضى: المسلمون في روسيا، ص٦٩.
١٣- رحلة ابن فضلان، ص١٠٨.
١٤- ابن فضلان: رحلة ابن فضلان، ص١١٣؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص٨٢- ٨٣.
١٥- الفرسخ: هو وحدة قياس للأطوال (المسافات) ويساوي ٣ ميل، أي بحدود أربعة أذرع (٤ كيلو متر ونصف) أي طول الفرسخ كان حوالي ٦ كم (فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٩٤).
١٦- توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٧٣.
١٧- حسين على الداقوقي: دولة البلغار المسلمين، ص٢٠٦- ٢٠٧.
١٨- ابن فضلان: رحلة ابن فضلان، ص٤٠، ٤٦، ٥٣.
١٩- الحميري: الروض المعطار، ص٣٦٨.
٢٠- ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص١٤٠- ١٤١؛ موريس لومبارد: الجغرافية، ص٣٠١- ٣٠٢.
٢١- ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص١٣١- ١٤٢.
٢٢- منير أرسلان: علاقات، ص١٢٢٢.

حسن عباس
محرر صحفي



انضمام الكويت إلى جامعة الدول.. تعزيز للهوية العربية

حلت علينا الذكرى الـ ٦٢ لانضمام الكويت إلى جامعة الدول العربية في خطوة رائدة في تاريخ المسيرة العربية والعمل العربي المشترك وتعزيز العلاقات العربية – العربية ورفع مكانة الجامعة في المحافل الدولية.

ففي ٢٠ يوليو من عام ١٩٦١م جاء انضمام الكويت إلى جامعة الدول العربية بعد أن تم إعلان استقلالها رسميًا عن الاحتلال البريطاني في العام نفسه، وبعد ٣١ يوماً فقط من الاستقلال، وعلى الرغم من ترحيب الدول الأعضاء والأمين العام بطلب الأمير الراحل الشيخ عبدالله السالم الصباح بالانضمام إلى صفوف أعضاء الجامعة؛ تم قبول عضوية الكويت بالجامعة في ٢٠ يوليو من عام ١٩٦١م كدولة.

ومع قبول طلب انضمام الكويت، قال الأمين العام للجامعة العربية للشؤون السياسية حينذاك د.سيد نوفل «إن الجامعة يسعدها أعظم السعادة انضمام الكويت إلى الأسرة

العربية»، مضيفا «أن الكويت في الواقع تمارس مظاهر العضوية الكاملة في الجامعة العربية منذ وقت بعيد سواء في الميادين السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية».

كما أصدر مجلس الجامعة قرارا ينص على «مساعدة الكويت على الانضمام إلى عضوية الأمم المتحدة»، وجاء هذا القرار ترجمة لما جاء في المادة الثانية من ميثاقها والذي ينص على «توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها».

وحرصت الكويت منذ انضمامها إلى جامعة الدول العربية على أن يكون لها دور مؤثر في العمل العربي ومناصرة القضايا العربية والإسلامية لاسيما القضية الفلسطينية وحل النزاعات القائمة بين البلدان العربية وتوطيد العلاقات فيما بينهم من خلال قيامها ممثلة بصاحب السمو الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية آنذاك بجهود ديبلوماسية في رأب الصدع العربي علاوة على انتهاج سياسة التوازن وتأكيد أواصر التعاون، ولعبت الحنكة السياسية لسموه دورا فاعلا في تسوية الخلافات الخليجية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي.

وللكويت بصمات رائدة في إبعاد الأزمات عن دول العالم العربي من خلال مشاركتها بالوساطة بين الأحزاب اليمنية منتصف ستينيات القرن الماضي وتحركها الديبلوماسي في سبتمبر ١٩٧٢م لإيقاف الاشتباكات المسلحة بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية، واستمرت وساطة الكويت من خلال اللجنة التي شكلتها جامعة الدول العربية لتحقيق المصالحة اليمنية حتى تم التوقيع على اتفاقية سلام واتفاقية خاصة بالتبادل التجاري بين الدولتين في أكتوبر عام ١٩٧٢م.

في موازاة ذلك كان للكويت دور فعال في تسوية الأزمة اللبنانية منذ اندلاع الحرب الأهلية عام ١٩٧٥م حتى أخمدت نارها عام ١٩٨٩م حيث عكفت الكويت على تقديم الدعم المادي والمعنوي للشعب اللبناني الشقيق.

وشهد عام ١٩٨٠م توسط الكويت بين جمهورية اليمن الديموقراطية وسلطنة عمان لتخفيف التوتر القائم بين البلدين وذلك بالتنسيق مع دولة الإمارات العربية المتحدة.

وبالنسبة لدور الكويت في دعم القضايا العربية فقد حرصت دائما على دعم القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى في المحافل الدولية ومطالبتها بوقف العدوان الإسرائيلي ورفع الظلم عن الشعب الفلسطيني والاعتراف بحقوقه المشروعة، وهو ما دعا إليه البيان الرسمي الأول للأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الذي ألقاه في الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الـ١٨ في مايو ١٩٦٣م إثر قبول الكويت عضوا في المنظمة.كما كانت الكويت حريصة على أن تقوم بتدشين وتنفيذ العديد من المشروعات والسياسات والبرامج المختلفة بهدف دعم مختلف القضايا العربية في كل المجالات دون استثناء، على سبيل المثال في القضايا المتعلقة بالمجال السياسي، المجال الاجتماعي، المجال الاقتصادي، والأمني والتنموي وغيرهم.

وحول موقف جامعة الدول العربية من الاحتلال العراقي للكويت فقد أصدرت الجامعة في ١٠ أغسطس عام ١٩٩٠م القرار رقم ١٩٥ الذي أدانت من خلاله الغزو العراقي للكويت ودعت خلال مؤتمر القمة العربي غير العادي العراق إلى الالتزام بقرارات مجلس الأمن الدولي، وأكدت الجامعة خلال القمة على سيادة الكويت واستقلالها وشجبت التهديدات العراقية قبل أن تتوالى بعدها القرارات الخاصة بالأسرى الكويتيين وتعويض الكويت عن الأضرار الناجمة عن الغزو العراقي.

وفي إطار حرص الكويت على أن يكون لها دور مؤثر وإيجابي في منظمة جامعة الدول؛ قامت الدولة باستضافة القمة العربية في النسخة رَقْم ٢٥ على أراضيها، حيث تم عقد هذه القمة في عام ٢٠١٤م، ومن قبل ذلك قامت أيضًا باستضافة مؤتمر القمة العربية الاقتصادي التنموي والذي قد انعقد في شهر يناير من عام ٢٠٠٩م، ولا تزال الكويت حتى الآن تسير في طريقها من أجل تفعيل مشاركتها في جامعة الدول العربية ودورها في هذه الجامعة دون تخلُّف أو تخاذل.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٨٢)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

ونبدأ هذه الحلقة بتناول اسم الذهبي، فهناك الذهبي أحمد بن عتيق (٦٠١هـ)، والذهبي (الحافظ) وهو محمد بن أحمد (٧٤٨هـ)، والذهبي (السجلماسي) وهو أحمد بن إسماعيل (١١٤١هـ) والذهبي مصطفى بن حنفي (١٢٨٠هـ).

١- أبو جعفر الذهبي (ت نحو: ٦٠١هـ):

هو أبو جعفر أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن فرج الأندلسي، المعروف بالذهبي: فاضل من أهل بلنسية.

ولد سنة: (٥٥٤هـ)، أصله من المرية.

من أبرز مصنفاته: (الإعلام بفوائد مسلم)، و(حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة)، وله فتاوى ونظم، توفي بتلمسان في طريقه إلى إفريقية[1].

٢- شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ):

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي



الشافعي، حافظ، مؤرخ، علامة محقق.
ولد بدمشق سنة: (٦٧٣هـ)، رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، وكف بصره سنة: (٧٤١هـ).
تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، من أبرزها: (دول الإسلام)، و(سير أعلام النبلاء)، و(الكبائر)، و(ميزان الاعتدال في نقد الرجال)، و(تجريد أسماء الصحابة)، و(المغني في الضعفاء)، و(الطب النبوي)، و(زغل العلم)، و(معرفة القراء الكبار).
توفي بدمشق، ودفن بمقبرة الباب الصغير[٢].

٣- أبو العباس الذهبي (ت: ١١٤١هـ):

هو أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن الشريف محمد الحسني المولى السجلماسي، المعروف بالذهبي، من سلاطين دولة الاشراف العلويين في إفريقية.
بويع بعد وفاة أبيه سنة: (١١٣٩هـ) فبسط يده في العطاء حتى عرف بالذهبي، وكانت عاصمته مكناسة (غربي فاس)، وقتل كثيراً من عمال أبيه وأركان دولته.
وكان ضعيفاً في إدارته، يستشير عبيده في أكثر شؤونه، فتسلطوا على الناس، فثار أهل فاس سنة: (١١٤٠هـ) ونقضوا بيعته وبايعوا لأخيه عبد الملك بن إسماعيل، فنفاه عبد الملك إلى سجلماسة.
ثم انتقض العبيد على أخيه عبد الملك ففر إلى فاس، وأعيد أبو العباس الذهبي، فجددت له البيعة في العام نفسه، فجهز جيشا حاصر به مدينة فاس خمسة أشهر، وكان قد استولى عليها أخوه عبدالملك، فدخلها وقبض على أخيه وعاد به إلى مكناسة، فمرض مرض الموت فأمر بخنق أخيه فخنق.
ومات أبو العباس بعده بثلاثة أيام مسلولاً[٣].

٤- مصطفى الذهبي (ت: ١٢٨٠هـ):

هو مصطفى بن حنفي بن حسن الذهبي الشافعي المصري، فقيه مفسر مشارك في بعض العلوم.
ولد بمصر، وأخذ عن الدمنهوري والفضل الفضالي والقويسني وغيرهم، تصدر للتدريس والإقراء، وصنف رسائل، من أبرزها: (تحرير الدرهم والمثقال والرطل)، و(رسالة في المناسخة)، و(تفسير غريب القرآن)، و(الرسالة الذهبية في المسائل الدقيقة المنهجية)[٤].

المتفق والمفترق في اسم (الفضالي):

١- أبو الفتوح الفضالي (ت: ١٠٢٠هـ):

هو أبو الفتوح سيف الدين بن عطاء الله الوفائي الفضالي الشافعي البصير، كان شيخ القراء بمصر.
له كتب، منها: (الحواشي المحكمة على ألفاظ المقدمة) يعني الآجرومية، و(الجواهر المضيئة على المقدمة الجزرية) في التجويد، و(اللؤلؤ المكنون في جمع الأوجه من سورة الكوثر إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، ورسائل كثيرة في القراءات، توفي بمصر[٥].

٢- محمد الفضالي (ت: ١٢٣٦هـ):

هو محمد بن شافع الفضالي المصري الشافعي، متكلم، من كبار فقهاء الشافعية.
أخذ عنه إبراهيم الباجوري.
من أبرز كتبه: (كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام)، وللباجوري حاشية عليه، وتوفي بمصر[٦].

الهوامش

١- انظر: الأعلام للزركلي (١٦٧/١) معجم المؤلفين (٩٠/٢) وفيه: أحمد بن محمد بن الحسن بن عتيق: .
٢- انظر: هدية العارفين (١٥٤/٢)، الأعلام للزركلي (٣٢٦/٥)، ومعجم المؤلفين (٢٨٩/٨).
٣- انظر: الأعلام للزركلي (٩٨/١).
٤- انظر: هدية العارفين (٤٤٧/١)، الأعلام للزركلي (٢٣٢/٧)، ومعجم المؤلفين (٢٤٩/١٢).
٥- انظر: هدية العارفين (٤١٣/١)، الأعلام للزركلي (١٤٩/٣)، ومعجم المؤلفين (٢٨٨/٤) (٥٤/٨).
٦- انظر: هدية العارفين (٣٦٠/٢)، والأعلام للزركلي (١٥٥/٦)، ومعجم المؤلفين (٦٠/١٠) (١٢٧/١١).



هشام الصباغ
باحث لغوي

المؤرخ الأديب

حسين مؤنس

■ حين يتحدث تدفعه نفس سمحة وعقل راجح؛ وكلمات تغوص إلى بواطن الأمور؛ محللة ومنقبة، فتلقى حديثه نافذا القلوب والعقول بالرأي السديد والحجة البينة، والحقيقة الساطعة.

■ كتب في عصور مختلفة وحقب متنوعة امتدت لتشمل أربعة عشر قرنا من الزمان، وتحيط بأرض الإسلام من الصين حتى المغرب، ومن جنوبي أوروبا حتى وسط إفريقيا.

■ تجده في كل ما يكتب غزير المادة، عميق النظر والتأمل، موضوعي القلم، لا يشتط فيغرق في المدح والثناء، أو يسرف في النقد والذم، هو وسط بين ذلك.

■ هو مؤرخ سار على خطى الطبري والمسعودي وابن الأثير والمقريزي، وعلى دربهم نهج وكتب.. لذا تجده يقف أمة وحده بين مؤرخي العرب المحدثين.

■ لم يترك كتابا أو اثنين، بل ترك تراثا ضخما، وإنتاجا ثرا، يكفي بضعة منه ليجعل صاحبه يتبوأ مكانة عالية بين كبار المؤرخين.. إنه الأستاذ والمؤرخ العظيم حسين مؤنس.

المولد والنشأة

■ ولد حسين مؤنس في مدينة السويس في (٤) رمضان (١٣٢٩هـ)، الموافق (٢٨) أغسطس (١٩١١م)، ونشأ في أسرة كريمة، وتعهده أبوه بالتربية والتعليم، فشب محبا للعلم، مفطورا على التفوق والصدارة.

■ في التاسعة عشرة من عمره نال الشهادة الثانوية، ثم جذبته إليها كلية الآداب بمن كان فيها من أعلام النهضة الأدبية والفكرية، فالتحق بقسم التاريخ، ولفت بجده ودأبه في البحث أساتذته.

■ في عام: (١٩٣٤م)، تخرج مؤنس متفوقا على أقرانه وزملائه، لكنه لم يعين بعد تخرجه في الكلية؛ لأنها لم تكن قد أخذت بعد بنظام المعيدين، فعمل مترجما عن الفرنسية ببنك التسليف.

«الجامعيين لنشر العلم»

■ أثناء عمله مترجما في «التسليف»، اشترك مؤنس مع جماعة من زملائه في تأليف لجنة أطلقوا عليها «لجنة الجامعيين لنشر العلم»، بهدف نشر بعض ذخائر الفكر الإنساني، فترجمت كتاب «تراث الإسلام» الذي وضعه مجموعة من المستشرقين، وكان نصيب مؤنس ترجمة الفصل الخاص بإسبانيا والبرتغال.

■ في تلك الفترة أيضا، نشر مؤنس كتاب «الشرق الإسلامي في العصر الحديث» (أول مؤلفاته التاريخية)، عرض فيه لتاريخ العالم الإسلامي من القرن السابع عشر الميلادي إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، ثم حصل على درجة الماجستير برسالة عنوانها «فتح العرب للمغرب» عام: (١٩٣٧م).

في الجامعة

■ بعد حصوله على الماجستير عين في الجامعة، ثم لم يلبث أن ابتعث إلى فرنسا لاستكمال دراسته العليا، فالتحق بجامعة باريس، وحصل منها عام: (١٩٣٨م) على دبلوم دراسات العصور الوسطى، وفي السنة التالية حصل على دبلوم في الدراسات التاريخية من مدرسة الدراسات العليا.

■ حالت الحرب العالمية الثانية بينه وبين إكمال دراسته في فرنسا، فغادرها متجها إلى سويسرا، وأكمل دراسته في جامعة زيورخ، ونجح في الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ سنة: (١٩٤٣م)، وعين مدرسا بها في معهد الأبحاث الخارجية الذي كان يتبع الجامعة.

■ لما انتهت الحرب العالمية الثانية ووضعت أوزارها عاد إلى مصر عام: (١٩٤٥م)، وعين مدرسا بقسم التاريخ بكلية الآداب، وأخذ يرقى في وظائفه العلمية حتى عين أستاذا للتاريخ الإسلامي عام: (١٩٥٤م).

«الألف كتاب»

■ إلى جانب عمله بالجامعة انتدبته وزارة التربية والتعليم عام: (١٩٥٥م)، ليتولى إدارة الثقافة بها، وكانت إدارة كبيرة تتبعها إدارات مختلفة للنشر والترجمة والتعاون العربي، والعلاقات الثقافية الخارجية، فنهض بها، وبث فيها حركة ونشاطا، وشرع في إنشاء مشروع ثقافي، عرف بمشروع «الألف كتاب»، ليزود طلاب المعرفة بما ينفعهم ويجعلهم يواكبون الحضارة، وكانت الكتب التي تنشر بعضها مترجم والآخر مؤلف وتباع بأسعار زهيدة.

«الدراسات الإسلامية» بمدريد

■ في عام: (١٩٥٤م)، تولى مؤنس إدارة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد لمدة عام، نهض به، واستكمل مكتبته حتى أصبحت من أغنى المكتبات العربية في إسبانيا، وأشرف على مجلته، وأرسى قواعد النشر بها في

قسميها العربي والأوربي، ثم عاد إلى القاهرة.

■ عام: (١٩٥٧م)، وأثناء وجود مؤنس بالقاهرة كلفته مصلحة الاستعلامات القيام برحلة طويلة إلى دول أميركا اللاتينية، الناطقة بالإسبانية، لتوثيق الروابط بينها وبين مصر، والعمل على إنشاء عدد من المراكز الثقافية بها، فنجح في مهمته وأصبحت تلك المراكز تاليا على صلة بالمعهد المصري في مدريد.

■ في عام: (١٩٥٨م)، عاد مؤنس مرة أخرى إلى إسبانيا لتولي إدارة المعهد، وظل هناك حتى بلوغه سن التقاعد (١٩٦٩م)، وتعد هذه الفترة من أزهى عصور المعهد، إذ أصبح ملتقى للمستشرقين وأساتذة الجامعة المهتمين بتاريخ المسلمين في الأندلس، وأقبل عدد كبير من الطلاب على دروس اللغة العربية التي ينظمها المعهد، وتردد الجمهور على المحاضرات والندوات التي تعقد به، وصارت مجلته معرضا لما حفلت به من أبحاث عميقة، ونشطت مطبوعاته، سواء العربية أو الإسبانية.

■ كما أن تلك الفترة تعد أخصب فترات حياة مؤنس العلمية إنتاجا، إذ أخرج عددا كبيرا من مؤلفاته ومترجماته، وحقق بعض النصوص العربية.

في الكويت

■ بعد بلوغ مؤنس سن التقاعد عاد إلى مصر، لكنه لم يستقر فيها طويلا، إذ دعته جامعة الكويت ليعمل بها أستاذا للتاريخ، فمكث هناك ثماني سنوات حفلت بمختلف النشاط العلمي، ونشر فيها بعض مؤلفاته، وأعاد نشر ما سبق له من إنتاج، ولم يكف عن إمداد الصحف بمقالاته المتنوعة في التاريخ والأدب والاجتماع، وكان له عمود يومي في صحيفة القبس الكويتية بعنوان «كلمة طيبة»، يسجل فيه ما يعن له من خواطر وأفكار.

العودة إلى الوطن

■ بعد أن قضى مؤنس بالكويت ثماني سنوات عاد إلى أرض الوطن عام: (١٩٧٧م)، واشتغل أستاذا غير متفرغ بجامعة القاهرة في قسم التاريخ، وفي الوقت نفسه دعته مؤسسة الهلال الصحيفة، ليتولى رئاسة تحرير مجلة الهلال (أقدم المجلات الأدبية في العالم العربي).

■ نهض مؤنس بالمجلة في الفترة التي تولى فيها رئاسة تحرير «الهلال»، وطور في شكلها ونظام إخراجها وجدد في تبويبها، وكانت افتتاحياته لها قطعا أدبية رائعة، ثم انتقل بعد ذلك إلى مجلة أكتوبر الأسبوعية، وظل يكتب بها حتى وفاته، وكانت مقالاته بالمجلة من أروع وأجمل ما ازدانت به هذه الصحيفة.

إنتاج غزير ومتنوع

■ تقلب مؤنس في وظائف مختلفة، وشد رحاله إلى بلاد متعددة، ولكن ذلك كله لم يشغله عن التأليف والتصنيف الكثير في عدده، الغزير في مادته، العميق في تناوله، المتنوع في موضوعاته، فألف في ميدان الكتابة التاريخية، وله كتب متنوعة في الحضارة الإسلامية وفلسفة التاريخ، وكتب في ميدان تحقيق التراث وفي مجال الترجمة عن اللغات، إذ كان يجيد الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية.

■ لم يكن مؤنس مؤرخا فذا فحسب، بل كان أديبا موهوبا، صاحب بيان وأسلوب، ولو تفرغ للأدب لكان له شأن كبير، وما تركه من إبداع في ميدان الكتابة الأدبية شاهد على ملكاته الأدبية في الرواية والقصة القصيرة والأدب المسرحي، فمن أعماله القصصية «إدارة عموم الزير» تدور حول البيروقراطية المصرية، وبلغ من شهرة هذا القصة، أن سارت مثلا سائرا بين الناس، و«أهلا وسهلا» و«الجارية والشاعر» وحكايات «خيرستان»، و«قصة أبو عوف» و«غدا تولد شمس أخرى».

تقديرات وأوسمة

■ لقي مؤنس تقدير الهيئات العلمية، فدعي أستاذا زائرا في كثير من جامعات العالم، فحاضر في جامعة الرباط ولندن، ودرهام، وأندرو، وكمبردج، وأدنبره، وهامبورج، وبون.

■ اختير عضوا في كثير من المجامع العلمية، مثل الجمعية المصرية التاريخية، والمجمع العلمي المصري، والمجلس الأعلى للفنون والآداب، والمجالس القومية المتخصصة، وانتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام: (١٩٨٥م).

■ في عام: (١٩٦٥م)، نال جائزة الدولة التشجيعية في العلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.. كما حصل على وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى عام: (١٩٦٦م).. ونال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى للثقافة، عام: (١٩٨٦م).. كما نال عدة أوسمة من دول مختلفة.

وفاته

■ ظل مؤنس وافر النشاط متوقد الذهن على الرغم من كبر سنه، وضعف قدرته على الحركة، وملازمته للمنزل حتى لقي الله في (١٧) مارس (١٩٩٦م).

إسهاماته مع «الوعي»

■ كانت للأستاذ الأديب المؤرخ حسين مؤنس مشاركة واحدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «دور المساجد في بناء الجماعة الإسلامية» (ع:١٠٣).

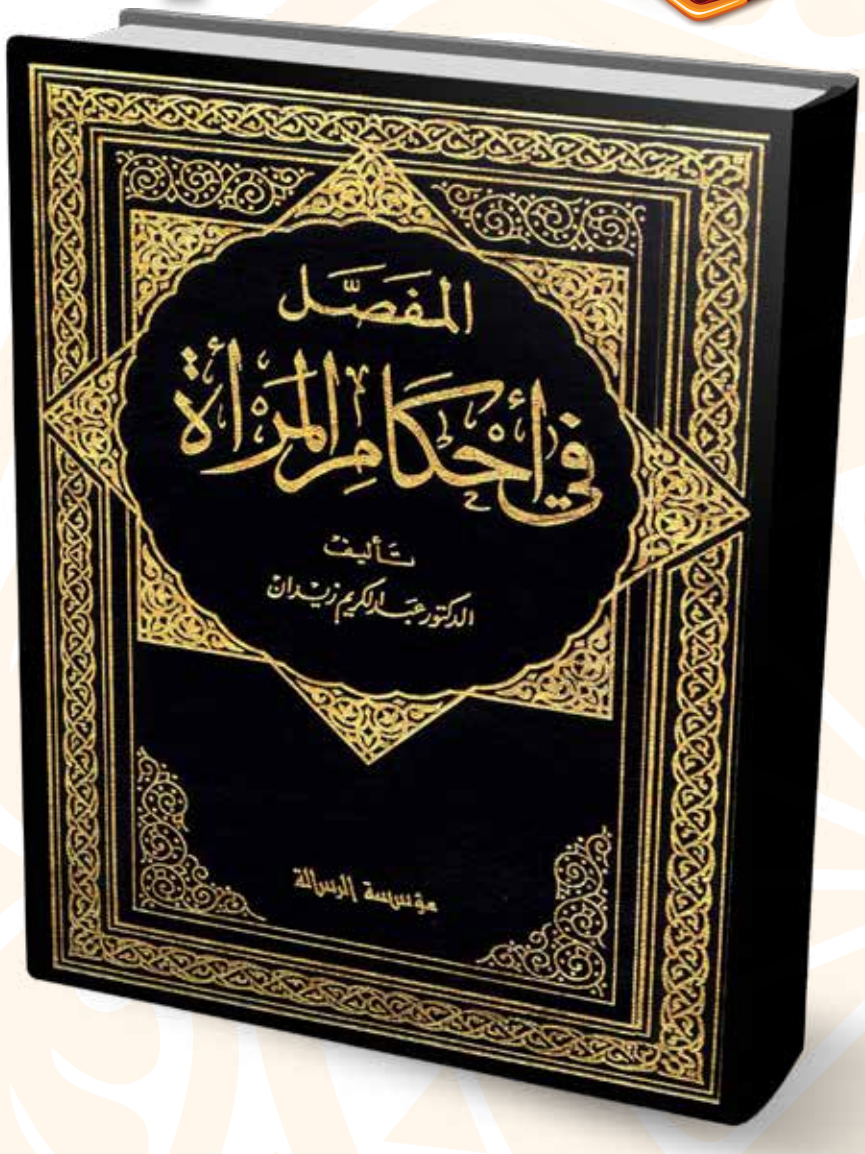
المصادر

- كتاب «الكشاف» (ج١)، مجلة «الوعي الإسلامي».
- موقع إسلام أونلاين.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- موقع «رشف».

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

المفصل في أحكام المرأة

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.



ويأتي كتاب: «المفصل في أحكام المرأة» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

المفصل في أحكام المرأة هو كتاب موسوعي في ذكر أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، يتألف من (١١) مجلدًا، مُنح مؤلفه عبد الكريم زيدان جائزة الملك فيصل العالمية سنة: (١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م) في الدراسات الإسلامية، التي تناولت مكانة المرأة في الإسلام بسبب تأليفه لهذا الكتاب.

التعريف بالكاتب

عبد الكريم زيدان العاني، فقيه عراقي وأحد أبرز علمائها في العصر الحديث، وقد برز في علم الفقه وأصوله، ولد عبد الكريم زيدان بهيج العاني في بغداد بجانب الكرخ في منطقة سوق حمادة وذلك في عام: (١٩١٧م) - كما هو مدون في الوثائق الرسمية - لكنّ ولادته الحقيقية كانت عام: (١٣٣٩هـ/١٩٢١م)، ونشأ فيها، وتدرج في مراتب العلم بداية بتعلم قراءة القرآن الكريم في مكاتب تعليم القرآن الأهلية. وتلقى العلم بطريقيه الأكاديمي والتقليدي مستفيدا من المشايخ والأساتذة العراقيين والمصريين، من أمثال الشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ عبد القادر الخطيب، والشيخ نجم الدين الواعظ، والشيخ محمد محمود الصواف، والشيخ علي الخفيف، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ حسن مأمون، والشيخ عبد الكريم الصاعقة.

بعدها التحق بمدرسة الكرخ الابتدائية وأتمها، ثم درس في (متوسطة الكرخ)، وبعد أن أنهى هذه المرحلة الدراسية التحق بـ(المدرسة الثانوية) وهي الوحيدة في بغداد آنذاك، وقضى فيها مدة سنتين، وهي مدة الدراسة الثانوية آنذاك، وبعد تخرجه فيها التحق بمهنة التعليم الابتدائي؛ فَعُيِّن في منتصف الثلاثينيات معلماً خارج بغداد في محافظة ديالى ثم في المقدادية، ثم نقل بعدها إلى أحد مدارس بغداد الابتدائية للتدريس فيها. وفي سنة: (١٩٤٦م) التحق بالدراسة المسائية في كلية الحقوق لأنه كانه موظفاً بالتعليم، وقد تخرج في كلية الحقوق في سنة: (١٩٥٠م)، وكان من الأوائل بين الناجحين في السنوات الأربعة في الدراسة في كلية الحقوق وقد حصل على درجة (ليسانس) في الحقوق، ثم عُيِّن بعدها مديرا لثانوية النجيبية الدينية، ثم التحق بمعهد الشريعة الإسلامية في جامعة القاهرة ونال شهادة الماجستير. ثم حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة سنة: (١٩٦٢م).

تقلد د. عبد الكريم زيدان عدة مناصب من أستاذ بالتعليم في مختلف مراحله إلى أن عين وزيرا للأوقاف العراقية سنة: (١٩٨٦م)، ثم بعدها عضوا في مجالس المجامع الفقهية المختلفة.

توفي د. عبد الكريم يوم الإثنين (٢٦ ربيع الأول١٤٣٥ هـ/ ٢٧يناير ٢٠١٤م)، في العاصمة اليمنية صنعاء عن عمر ناهز (٩٧) عاما، نقل جثمانه إلى بغداد حيث دفن فيها بمقبرة الكرخ.

مؤلفاته

للدكتور عبد الكريم زيدان مؤلفات علمية كثيرة في مختلف الاختصاصات الشرعية والقانونية والفكرية والدعوية التي تم اعتماد بعضها كمواد دراسية في العديد من المدارس والجامعات العربية والإسلامية، نذكر منها:

أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، أصول الدعوة، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، القصاص والديات في الشريعة الإسلامية، القيود الواردة على الملكية الفردية للمصلحة العامة في الشريعة الإسلامية، الكفالة والحوالة في الفقه المقارن مع مقدمة في الخلاف وأسبابه، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، الوجيز في أصول الفقه، الوجيز في شرح القواعد الفقهية، علوم الحديث، مجموعة بحوث فقهية معاصرة، مجموعة بحوث فقهية، موجز الأديان في القرآن، نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، نظرات في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، مختصر شرح العقيدة الطحاوية. بالإضافة إلى عدة بحوث ومقالات علمية.

المحتوى العام للكتاب

يعنى هذا الكتاب ببيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة والبيت المسلم في مقارنة فقهية للمذاهب الفقهية الإسلامية مع ترجيح المؤلف لما يراه راجحًا من أقوال الفقهاء لديه. فقد اشتمل الكتاب على ما يلي:

أولًا: المواضيع الخاصة بالمرأة مثل لباسها وزينتها...

ثانيًا: المواضيع التي تشترك في أحكامها العامة المرأة مع الرجل ولكن تختص المرأة بأحكام في بعض جزئياتها...

ثالثا: فصل القول بالنسبة للبيت المسلم منذ تكوينه عن طريق الزواج الشرعي وبين أحكامه وأحكام أفراد هذا البيت.

رابعًا: ذكر أقوال الفقهاء ورجح من أقوالهم ما ظهر له أنه هو الراجح، وما لم يظهر له رجحانه سكت وذكر الأقوال وحكى الخلاف.

خامسًا: ذكر المسائل الجديدة التي لم يقف على قول صريح بشأنها عن الفقهاء القدامى مثل حق المرأة في الانتخابات واختيارها لعضوية مجلس الأمة وقد حاول استخلاص الحكم الشرعي لهذه المسائل من قواعد الشريعة ومبادئها العامة ومن السوابق الفقهية وعمل الصحابة الكرام وتابعيهم بإحسان.

وقد جاء كتابه هذا في أحد عشر مجلدًا، وقد جعل أبحاث الكتاب ومواضيعه في كُتب، وقسم الكتاب إلى أبواب، والباب إلى فصول، والفصل إلى مباحث، والمبحث إلى مطالب، والمطلب إلى فروع. وقد جاء الأجزاء معنونة كالآتي:

الجزء الأول: العبادات. الجزء الثاني: تابع العبادات - الأيمان والنذور - الأضاحي. الجزء الثالث: الحظر والإباحة. الجزء الرابع: تابع الحظر والإباحة - الحقوق والواجبات. الجزء الخامس: الجرائم والعقوبات. الجزء السادس: البيت المسلم: أحكام العائلة وسائر الأقارب. الجزء السابع: تابع البيت المسلم: أحكام العائلة وسائر الأقارب. الجزء الثامن: تابع البيت المسلم: أحكام العائلة وسائر الأقارب. الجزء التاسع: تابع البيت المسلم: أحكام العائلة وسائر الأقارب. الجزء العاشر: تابع البيت المسلم: أحكام العائلة وسائر الأقارب - التصرفات المالية - المرضى والموتى. الجزء الحادي عشر: تابع المرضى والموتى - زواج النبي ﷺ وأولاده وأهل بيته.

نسخة «الوعي الإسلامي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذا الكتاب الموسوعي القيم، وهو في متناول قراءها الكرام المهتمين بكتب الفقه.

المصادر

المفصل في أحكام المرأة.

الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

إعداد/ تركي محمد النصر

من عجائب الناس

قال العلامة ابن مفلح الحنبلي رحمه الله تعالى: «من عجيب ما رأيت ونقدت من أحوال الناس: كثرة ما ناحوا على خراب الديار وموت الأقارب والأسلاف، والتحسر على قلة الأرزاق، وذم الزمان وأهله، وذكر نكد العيش فيه، والحديث عن غلاء الأسعار، وجور الحكام، وقد رأوا انهدام الإسلام، والبعد عن المساجد، وموت السنن، وتفشي البدع، وارتكاب المعاصي، فلا أحد منهم ناح على دينه، ولا بكى على تقصيره، ولا آسى على فائت دهره، وما أرى لذلك سببا إلا قلة مبالاتهم بدين الإسلام، وعظم الدنيا في عيونهم».

(انظر: الآداب الشرعية ٣/ ٢٤٠).

فتنة كثرة الكلام

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض، وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت كيف كانوا، كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه، وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم، وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين والتابعون أعلم منهم؛ فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد».

(انظر: بيان فضل علم السلف على الخلف ص/٥).

عقوق الأيام وظلم النفس

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: «من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه؛ فقد عق يومه وظلم نفسه»

(انظر: فيض القدير ص/٢٨٨).

المنهج القويم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «أهل السنة لا يبتدعون قولا، ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفا لهم، مكفرا لهم، مستحلا لدمائهم، كما لم يكفر الصحابة الخوارج، مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم».

(انظر: منهاج السنة النبوية ٥/ ٩٥).

استعمل الصمت

قال العلامة شمس الدين محمد بن محمد الراعي الأندلسي رحمه الله: «روي عن يحيى بن يحيى الليثي قال: آخر ما اجتمعت بمالك قال: أذكر لك شيئا تبلغ به حكمة الحكماء؛ إذا حضرت مجلسا فاستعمل الصمت، فإن أصابوا استفدت، وإن أخطأوا سلمت. وشيئا تبلغ به طب الأطباء؛ لا تأكل حتى تجوع، وارفع يدك وأنت تشتهي».

(انظر: انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك ص/٣١٤).

مشاركة: يعقوب الجناع

الحكمة في التعامل مع المذنبين

«ينبغي أن تحب المسلم لإسلامه، وتبغضه لمعصيته، فتكون معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال، فأما ما يجري منه مجرى الهفوة التي يعلم أنه نادم عليها، فالأولى حينئذ الإغماض والستر، فإذا أصر على المعصية، فلا بد من إظهار أثر البغض بالإعراض عنه والتباعد، وتغليظ القول له على حسب غلظ المعصية وخفتها»

(انظر: مختصر منهاج القاصدين ص/٤٢).

عيوب ابن آدم وسترها

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «بلغنا أن قس بن ساعدة، وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟

فقال: هي أكثر من أن تحصى...فوجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها.

قال: ما هي؟ قال: حفظ اللسان».

(انظر: الأذكار ١/٤٢٣).

العلم لا ينال بالحسب

قال الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله: «العلم مواهب يؤتيه الله من أحب من خلقه، وليس يناله أحد بالحسب، ولو كان لعلة الحسب؛ لكان أولى الناس به أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم».

(انظر: طبقات الحنابلة ١/٧٥).

صلاح الدين والدنيا

قال صالح بن كيسان: خرج علينا الزهري من عند هشام بن عبد الملك فقال: لقد تكلم اليوم رجل عند أمير المؤمنين ما سمعت كلاما أحلى منه! قال له: يا أمير المؤمنين اسمع مني: أربع فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك، قال: ما هي؟ قال: «لا تعدن أحدا عدة وأنت لا تريد إنجازها، ولا يغرنك مرتفق سهل إذا كان المنحدر وعرا، واعلم أن الأعمال آخر فاحذر العواقب، وأن الدهر تارات فكن على حذر».

(انظر: التماس السعد في الوفاء بالوعد لأبي الخير السخاوي ١/٤٥).

العلم النافع

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: «واعلم أن في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها...: أنه إذا ذكرت سيرة حازم، ووصفت عاقبة حاله؛ أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم، أو إن ذكرت سيرة مفرط، ووصفت عاقبته؛ أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم المعقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول».

(انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١/١١٧).



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

إعداد: التحرير

وقفة للتأمل

كثير من الناس يسألون أنفسهم ويتحاورون معها: ما لنا نبحث عن السعادة ولمّا ندركها بعد؟ هل وقف بنا قدرنا عند هذا الحد؟ وهل ثمة قوانين يمكن السير عليها للوصول إلى تلك الغاية البعيدة؟ وهل أن المال له علاقة مباشرة بالسعادة؟ -كما يعتقد البعض- حيث إن الغالبية من الناس يلهثون للحصول على الأموال، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم في معرض الذم بقوله: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر:٢٠)، لكن في معرض آخر سمى المال خيرا: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ (البقرة: ١٨٠).

هذا المعنى الذي ارتبط في أذهان الناس من كون السعادة رافدها الأول هو المال الوفير مع كثرة الأولاد والزوجات الحسناوات وحصول الجاه، حتى رأينا من تحقق لهم ذلك يصارح نفسه أو يصارعها أنه لم يسعد قط، ونسي هؤلاء وأولئك ما يعرف بنظرية الثابت والمتغير، فتركوا الثابت وانشغلوا بالمتغير، فلم يستطيعوا أن يغيروا مسار هذه الأغيار، فوقع الألم واتسعت الجراح وزادت البلية، لأنهم جعلوا من الوسائل غايات فتاهوا وتحيروا وانكسروا.

وهؤلاء الذين يعتقدون ذلك فاتهم أن المال الوفير، قد يوجد وتغيب الصحة والسلامة البدنية، فنكتشف أن السعادة ليست في المال وحده، وقد نحصل على المال والصحة معا ولا نجد وقتا حقيقيا للتمتع بهما، بسبب كثرة الشواغل التي انغمسنا فيها، ومن هنا نؤكد: أن السعادة الكاملة ليست فيما اعتقد البعض مما ذكرناه، بل تتوقف على الرضاء النفسي والراحة القلبية والأنس بعطاء الملك سبحانه، فليست الحياة صفو مشارب، بل صفو قلوب وصفاء نفوس، فيها من الرضا والقناعة والعفاف ما يسعد الكون كله، ربما توجد السعادة في كسرة يابسة وإدام يسير وشربة ماء بارد واستراحة في الشمس مع كوب الشاي الساخن، فالسعادة معنى يحتاج إلى يد ماهرة تفتش عنه وتستخرجه من مظانه.

وما زلنا نؤكد على أن السعادة جميلة عندما تشرق في نفوس أصحابها، وسر المسالة أن السعادة تنبع من داخل النفس البشرية، وأجمل ما فيها أنها لا تخطىء الضعفاء والفقراء لتستقر في بيوت الأغنياء والوجهاء والأقوياء، بل غالبا ما يشعر بها الفقير والضعيف أكثر من غيره من أثرياء الأرض وأقويائهم، لأنها لمسات رقيقة حانية تنبعث من صفاء النفوس ورقتها وقدرتها على الرضا وحبها لمن حولها ممن يفهمون معاني الأشياء على حقيقتها، على الرغم من بساطة عيشهم، لأنهم يضعون الفكرة في موضعها، ويردون الكلمة إلى صوابها، ويعيشون اليوم بامتداد ساعاته غير كارهين أو متسخطين لما يجري فيه من لمّات عارضة، وفوق ذلك فهم لا يحملون حقدا لأحد.

● د. على مدني رضوان الخطيب

بأقلام القراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد الأستاذ المحترم/ فهد الخزي رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي. أسرة المجلة الكرام، يسألني الأبناء دوما عن عدد المجلة بداية كل شهر هجري.. وقد وصلنا عدد رمضان في ثوبه الجديد اشتريته من البائع.. وقد لاحظني أمسك بالعدد أحد زملائي فأعجب بالمجلة من الناحية الفنية والإخراج والمادة العلمية، حتى سألني عن مكان بيعا وثمنا، كما أعجب أيضا بهدية العدد، وقد نشرته بين أصدقائي أدام الله عطاءكم وحفظ الله الكويت من كل مكروه وسوء.

● د. صابر علي عبدالحليم

تقوى الآباء تأمين على الأبناء

ضمانات المتقين في كتاب الله المبين تفوق الوصف كما وكيفا، ومنها -تمثيلا لا حصرا-: اليسر/المفاز/الكرامة/سعة الرزق/ الولاية/ البشرى/تكفير السيئات/عظم الأجر/الرحمة/إصلاح الأحوال/ النجاة في الدنيا من المضايق، وفي الآخرة من النيران/ دخول أعلى درجات الجنان عند الملك الواحد الديان.

ولأن كرم الله الوهاب ليس له حدود، فقد تجاوز إكرام المتقين أنفسهم، إلى أبنائهم وذويهم.

إذ من الفطر التي جبل عليها الإنسان: خوفه على مستقبل فلذات كبده، خصوصا الصغار منهم والمرضى، ولأننا لا تخفى منا خافية أمام علام الغيوب، وهو سبحانه مطلع على نقطة ضعفنا تجاه أحبابنا، فقد أرشدنا بما علينا فعله إذا خفنا على أبنائنا وبناتنا ومن له الحق علينا من الذرية الضعفاء، وأردنا حمايتهم وحفظهم بعد موتنا، قال سبحانه: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء:٩). نعم إنها التقوى خير زاد يتسلح به الأكياس.

ومن أجل أن ننتبه إلى هذا الأمر أكثر، رغّبنا سبحانه وتعالى على لسان رسوله الكريم ﷺ أن نقرأ سورة الكهف كل أسبوع، ورتب على ذلك عدة أسرار وأنوار، لا يفقهها إلا من ذاق شهدها، والعسل لا يمكن وصف حلاوته لمن لم يذقه. ومن أنواع العسل القرآني المبثوث بين ثنايا خلية سورة الكهف النورانية، عسل الجدار وكنز الأسرار، فبصلاح الأب حفظ الله القدير الكنز للغلامين، وبطريقة غريبة تكسر أفق المتلقي، إذ إن السيناريو المنتظر بعد أن رفض أهل القرية إطعام سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح، هو هدم الجدار وليس إصلاحه. ولكنه سحر التقوى، يعكس الضعف قوة، والهدم بناء، ويحيل الظلام نورا، والحزن سرورا، ويُصَير ذل اليتم عزا، وبرده دفئا، وفقره غنى...قال سبحانه وهو يربط بين السبب والنتيجة بالفاء: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾(الكهف:٨٢)، فكان من شكر الله تعالى لهذا الرجل الصالح، أن يكون رؤوفا بأبنائه، وهذا من بركة الصلاح في الآباء، أن يحفظ الله الأبناء.

● د. حسن بن أحمد بلحبيب

بناء الإنسان

كثيراً ما نهتم ببناء البيت والحديقة، ونحافظ على رونق الأثاث والملبس، وننسق ألوان المجالس والملابس، ونصلح كل خراب قد يظهر في مركباتنا وسيارتنا ومنازلنا، ثم نتناسى أنفسنا ومن نعول من الأولاد والزوجات والأصدقاء ومن لهم حق علينا، نهتم ببناء البيت ونهدم بناء الأسرة.

نهتم بجوده المنتجات والخدمات والسلع، ونحرص عليها إنتاجاً وبيعاً وشراءاً وتسويقاً، ولا نتهم برقي العامل المنتج لتلك السلعة أو الخدمة.

ننسق ألوان المجالس والملابس، ونمزق أواصر الرحم والمحبة، نصلح ما يخرب من سياراتنا ومراكبنا، ونخرب علاقتنا مع كل قريب وحبيب، أليس الإنسان هو محور ارتكاز البشرية جمعاء؟

أليس من أجله كانت هذه الأرض ولبلايين السنين سخرها الله عز وجل، وقدر فيها أقواتها، ووضع فيها سنناً وقوانين؟

الإنسان هو الاستثمار الأمثل للأمم والشعوب والدول والأسر والجماعات، الإنسان هو صانع الحضارات وسر قوتها وعظمة ابتكارتها، تنهضُ دول من لا شي بقائد عظيم، ويستنير العالم بفكرة إنسان طموح، ويسعد المليارات من البشر بجهد إنسان مثابر.

إذا فلنعود إلى أنفسنا، فإن فيها ما يسعد العالم أجمع، لنعود إلى الإنسان فنبنيه حق البناء، وننميه حق التنمية، وننهض به حق النهوض، لنعود إلى الإنسان نتلمس نواقصه ونسعى في ترقيته وتعليمه وتثقيفه، فهو عمود كل حضارة، لا قيمة لحضارة البنيان إن هي أضاعت الإنسان، لا قيمة لبناء المدن وتوسيع المتلكات إن فقدنا الإنسان ولم نوسع مداركه، إنها رسالة أولاً إلى الآباء والأمهات، قد تعانون من الفقر وضيق الحال، وعندكم الكنوز المليئة في أحضانكم، وعندكم الثروة الكامنة في أولادكم، أحسنوا التربية والتعليم، أحسنوا التنمية والتدريب، أحسنوا البناء لا الهدم.

ورسالة ثانية إلى المعلمين والمربيين، أمانة الأجيال القادمة في أيديكم، فأحسنوا تحمل الأمانة كما هي رسالة للنظم الحاكمة، من أراد الاستقرار لوطنه وشعبه والنهوض لأمته ومجتمعه، فعليه بالإنسان وفقط.

كما هي رسالة لنا جميعاً، فنحن من نملك مفاتيح السعادة والشقاء، ونحمل معاول الهدم والبناء، ونحوى كنوز الدنيا، وفينا سر العالم الأكبر.

● علاء منصور المخلافي

حقيقة الحياة

من أشد ما يجعل الناس حيارى في حياتهم، ومن أكثر ما زلقت فيه أفكارهم وأقلامهم: مسألة الخير والشر، والسراء والضراء، فنرى الكثير منهم متعجبين متسائلين: لماذا قسم لفلان من البلواء ما يرق له الفؤاد مع تقواه وطاعته، بينما فلان الآخر يتقلب في النعم دونما منغص مع فسقه ومخالفاته الشرعية، وما السبب في أن فلانا من الناس قد أصيب بالنقص في الأهل والمال وهو من المتقين، بينما غيره من أهل الغفلة ينعم بالسلامة في أهله وماله؟

ألا يثير العجب رؤية بعض المتقين يعانون في بعض محطات حياتهم من الأكدار، في حين أن بعض الفجار يرتعون فيما يشتهون ويحبون؟!

أسئلة نجدها على ألسنة الكثيرين وفي قلوبهم، يجهر بها البعض ويسر بها آخرون، بل قد صار هذا إشكالا يشكل شبهة في فكر فئة كبيرة ممن ليس لديهم كبير صلة بالعلم الديني وأهله!

ولكن: هل جاء في القرآن الكريم ما يخبرنا أننا إن اتقينا سوف ننعم بالطيبات وإن لم نتق فسوف نعاني الشدائد؟! هل هناك آية تنبئ بنعيم في هذه الحياة الدنيا للصالحين وبشقاء فيها للفاسقين؟!

يقول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود: ٧)، ويقول جل شأنه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢).

الآيتان السابقتان تنبئان بأمر جليل: وهو أن خلق هذا الكون البديع الخلقة العظيم إنما هو لابتلاء الناس، أي اختبارهم وامتحانهم.

إذن: فالدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء، ومحل امتحان وليست محل الثواب أو العقاب، وموضع التكليف والاختبار وما كانت يوما ولن تكون موضع مكافأة المحسن ومجازاة المسيء.

بل إن هنالك آيات من القرآن الكريم تستنكر صراحة على من يظن العطاء تكريما والمنع عقابا، يقول الله سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ (الفجر ١٥-١٦).

إن في الآيات التي ذكرتها موجزة كفاية للمسترشد ودليلا للمحتار، وفيها عنوان فلسفة حياة الإنسان المبنية على ما أراده الخالق منه، لا على ما يتوهمه هو، وفيها أعظم ترغيب على موافقة أمره سبحانه، وشدة الإخلاص له، ودوام مراقبته سبحانه، ليتزود بذلك لما بعد الموت؛ كما يتزود في حال السعة والرخاء لحال الضيق والشدة.

د. راوية نور الدين عتر
عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة
في جامعة دمشق

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

alwaeiq8@gmail.com

@Alwaei_Alislami

مجلة الوعي الإسلامي

موقع مجلة الوعي الإسلامي

جديدنا



موسوعة شمائل المصطفى ﷺ

إصدار جديد ومميز من إصدارات مجلة (الوعي الإسلامي) بوزارة الأوقاف في دولة الكويت، للأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العمري، أستاذ السيرة النبوية، وهذه الموسوعة القيمة تتناول علم الشمائل والصفات النبوية بطريقة علمية تدلُّ على غزارة علم مؤلفها وسعة معرفته، وتقع الموسوعة في سبعة أجزاء.

العدد ٧٠٠ - السنة ٦١ - محرم /١٤٤٥ هـ - يوليو ٢٠٢٣م